

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



ISSN 2311-5181

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Liban - Tripoli: Branche Abou Samra P.O. Box 8 - jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com



العام الرابع - العدد 30 - أبريل 2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المشرفة العامة: د.سرور طالي

المؤسس ورئيس التحرير: أ.جمال بلكاي

jilrc-magazines.com - social@jilrc-magazines.com

ISSN 2311-5181

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة تصدر دورياً عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دورياً في كل عدد.

اهتمامات المجلة و أبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر موقعها وكذا مركز جيل البحث العلمي، مع إضافتها لفهارس أغلب محركات البحث الجامعية، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية:

علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة من داخل الجامعات الجزائرية ومن خارج الجزائر مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا).
د.ديبش فاتح (جامعة ٨ ماي ١٩٤٥، قلمة، الجزائر).
أ.م.د. فليح مضحي أحمد السامرائي (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د.سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر).
أ.م.د. السيد محمد سالم سالم العوضي (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د.رضوان شافو (جامعة الشهيد حمّ لخضر، الوادي، الجزائر).
رئيس اللجنة العلمية: أ.د.علي صباغ (جامعة قسنطينة ٢، الجزائر).

اللجنة العلمية:

- د.نعموني مراد (جامعة لونيبي علي، البليدة ٢، الجزائر).
د.براك خضراء (جامعة تبسة، الجزائر).
أ.م.د. داود عبد القادر إيليغا (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا).
د.بوزيد مومني (جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، الجزائر).
د. بشرى سعدي (جامعة مولاي اسماعيل، المغرب).
د.مراد علة (جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر).
د.طيب العيادي (جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب).
د.ساسبي سفيان (جامعة الطارف، الجزائر).
د.تاج الدين المناني (جامعة كيرالا، الهند).

أعضاء لجنة التحكيم الاستشارية لهذا العدد :

- د.حازم مطر (جامعة حلوان، القاهرة، مصر).
د.ربيع عبد الرؤف عامر (جامعة الملك خالد السعودية).
د.عادل بوزيد (المعهد العالي للفنون و الحرف قابس، تونس).
د. أحلام نعمه لفته (الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق).
د.خيرة قول (جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر).
د.نوري محمد أحمد شقلابو (جامعة الزاوية، ليبيا).
د.مسلم فايز أبو حلو (جامعة القدس، فلسطين).
د.مراد علة (جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر).

التدقيق اللغوي :

- أ.م.د.م.ميعاد جاسم السراي (الجامعة المستنصرية، العراق).
أ.د.محمد جواد حبيب البدراني (جامعة البصرة، العراق).

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

ISSN 2311-5181

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة ، أو مؤتمر في الوقت نفسه ، ويتحمل الباحث لظلم المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث.
 - اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية لل فقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@jilrc-magazines.com

الفهرس

الصفحة

- الافتتاحية 9
- العنف في الحياة اليومية لأطفال أسر العشوائيات الحضرية: دراسة ميدانية بمدينة بسكرة، د.فتيحة طويل/جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر 11
- التحولات السوسيوديموغرافية للعائلة الجزائرية صغيرة فوزية، جامعة أي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر 23
- أغاني الربيع والتغير الاجتماعي في الشرق الجزائري: قراءة في المضامين التربوية، د.شهيرة بوخونوف/جامعة عبد الحفيظ بوالصوف، ميله، الجزائر 37
- الأمثال الشعبية الجزائرية وعلاقتها بالصحة النفسية د.عبد الرزاق سيب، جامعة تلمسان، الجزائر 49
- تدريس الفلسفة بالتعليم الثانوي التأهيلي ومسألة النقل الديدانكتيكي د.بريزي عبد الله، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب 67
- التنشئة الاجتماعية للطفل و انعكاسات العالم الافتراضي أ.غضاب يمينة/جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2. 89
- علاقة ضغوط أحداث الحياة اليومية بأساليب مواجهتها لدى عينة من طلبة جامعة باتنة ١، الجزائر، أ.قاشي محمد، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر ٢ 99
- صناعة الأخبار التلفزيونية (مقاربة نظرية) أ.قعوير هشام/جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، الجزائر 115
- تأثير شبكة الطرق على النقل الجماعي: حالة مدينة قسنطينة الباحث طريفة محمد/جامعة قسنطينة ٣ 125

- 147 شباب الأحياء الهامشية بين قوة القيم التقليدية وإكراهات القيم الحديثة، الباحثة نجاة باسو ود.عبد اللطيف كداي/جامعة محمد الخامس، المغرب
- 169 دور العوامل المدرسية في تنامي العنف المدرسي أ.زيتوني محرز/جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
- 181 أثر البرنامج العلاجي النفسي الجماعي في الامتناع عن الإدمان على المخدرات عند المراهق المتمدرس، أ. شيهان عبد المالك/جامعة وهران، الجزائر

مقالات باللغات الأجنبية

- 201 **Le bénévolat dans le milieu associatif : Entre engagement et militantisme.**
Mr : ALLOU ZOUHIR. Doctorant/ Université Alger 2. M^r :MAHDID FATAH. Doctorant/Université Mouloud Mammeri Tizi-Ouzou.

الإفتاحية

باسم الله المولى الأجلّ سبحانه له الحمدُ في الأولى والآخرة، نستفتحُ بالذي هو خير، ربنا عليك
توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
والتابعين، أما بعد:

يسعدنا أن نضع بين أياديكم أعزاءنا القراء العدد الثلاثون من مجلة "جيل العلوم الإنسانية
والاجتماعية"، راجين من الله تعالى أن ينفع بما فيه من بحوث علمية جاءت متنوعاً بين تخصصات
العلوم الإنسانية والاجتماعية المتعددة، وأن تفتح هذه البحوث آفاقاً للبحث العلمي الذي يحمل جودة
عالية، انطلاقاً من أحد أهداف مركز جيل البحث العلمي المتمثلة في نشر ثقافة البحث العلمي وتعزيز
مبادئها وقيمتها، وكذا تشجيع الدراسات والبحوث العلمية، وما كان لهذه المجلة أن تصل إلى ما بلغت لولا
جهود ثلة من الباحثين من مختلف التخصصات، الذين أثروا المجلة بأبحاثهم، كما لا ننسى الطاقم
القائم على التحكيم والتدقيق و إخراج المجلة في شكلها النهائي، فلکم منا فائق التقدير والاحترام.
تضمن العدد ثلاثة عشر مقالاً موزعاً عبر تخصصات مختلفة، مما يدل على حرص المجلة دائماً
على بناء قالب علمي متكامل بين تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

والله ولي التوفيق والنجاح
رئيس التحرير / أ. جمال بلبكاي

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي © 2017

العنف في الحياة اليومية لأطفال أسر العشوائيات الحضرية:

دراسة ميدانية بمدينة بسكرة

د. فتحة طويل/جامعة مح مد خيضر بسكرة، الجزائر

ملخص:

كثيرة هي أنواع العنف في عالم الطفولة، حيث يبرز أو يخف تأثيرها حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية... لكن من المؤلم جدا حضورها مجتمعة، كأحد أكثر مظاهر الوجود الإنساني، وسط العشوائيات أو الأحياء القصديرية، كبؤر مريضة في جسد المدينة. التي تفرز نموذجا فريدا لطفل يعاني من واقعه وبيئته المتدهورة، وأحواله المعيشية والصحية السيئة... التي يمتصها في بداية عمره كعنف رمزي ويمارسها مع نموه كعنف جنسي مع محارمه، ويألفها في حياته اليومية كعنف لفظي وجسدي... لتزج به فيما بعد في عالم العمالة الهامشية والانحراف والإجرام... ليتعلم بالخبرة والتقليد والمحاكاة في الحياة اليومية وسط الشوارع، التي تشكل وعيه بالعنف الذي لا يستطيع دفعه، فيحمل داخله الرغبة على القهر البشري، تحت ستار ضرورات نفسية واجتماعية تبسط أمامه، وكأنها محتمة بل ومفيدة ضد المجتمع فيما بعد، ليتحولوا بذلك من ضحايا إلى فاعلين في عالم العنف.

الأمر الذي يتطلب فهم حقيقي لتلك الشبكة المعقدة، من ، على أساس دراسة علمية ميدانية وفق عدة نظريات، كالفيونومينولوجيا والتعلم الاجتماعي والضغط البيئي... لتحليل فعل وسلوك أطفال العشوائيات الحضرية في الحياة اليومية، وليس فقط كمجرد أحداث عنف أو أسبابه أو آثاره... وعلاقتها بالبناء الاجتماعي القائم، بعد فهمه وكشف مظاهر التحكم والاستغلال الكامل فيه، كنوع من النقد الاجتماعي الذي ارتبط بأطروحات " رايت ميلز" في الخيال السوسيولوجي، حول فهم العلاقة بين الإنسان ومجتمعه. محاولين وضع استراتيجيات كطقوس عبور، لهذه الطفولة إلى حياة آمنة وسعيدة، على الأقل في ظاهرها؟؟.

تمهيد:

إن قراءة العنف في الحياة اليومية لأطفال أسر العشوائيات الحضرية، والمساءلة عن النموذج الفريد للطفل الذي تفرزه هذه العشوائيات، هي دراسة ضرورية يملها الواقع الذي يعانيه هؤلاء الأطفال من بيئة متدهورة، وأحوالهم المعيشية والصحية السيئة... التي يمتصوها في بداية أعمارهم كعنف رمزي ويمارسوها مع نموهم كعنف جنسي مع محارمهم، ويألفوها في حياتهم اليومية كعنف لفظي وجسدي... لتزج بهم فيما بعد في عالم العمالة الهامشية والانحراف والإجرام... ليتعلموا بالخبرة والتقليد والمحاكاة في الحياة اليومية وسط الشوارع، التي تشكل وعيهم بالعنف الذي لا

يستطيعون دفعه، فيحملون داخلهم الرغبة على القهر البشري، تحت ستار ضرورات نفسية و اجتماعية تبسط أمامهم، وكأنها محتمة بل ومفيدة ضد المجتمع فيما بعد، ليتحولوا بذلك من ضحايا إلى فاعلين في عالم العنف.

ولهذا فهم بحاجة لأن نسمع خطابهم اليومي، ونفكك وقائعه وننقد أقنعتهم ونكشف الحجب، ومختلف أشكال و مظاهر العنف ضد (ومن لدن) أطفال العشوائيات الحضرية، من أجل بناء نظرة علمية عن الحياة اليومية، إذ يمكن أن تكون مسارا واعيا، ومعرفة بالواقع حتى يمكن اتخاذ ذلك المسار الواعي فيه، وبالتالي تغييره أو العمل أو السلوك في اتجاه ذلك التغيير، كما تشهد بذلك المفردات التي يحفل بها الخطاب اليومي، بأنواعه اللغوية وغير اللغوية لعينة الدراسة .

لفهم البنية الحقيقية لواقع العنف عند أطفال العشوائيات الحضرية، ومختلف الجوانب المكونة له والفاعلة والمنفصلة فيه، والتحكم في جوانبها وتنميتها على أساس دراسة علمية ميدانية. وسط المنطقة الغربية لمدينة بسكرة، اخترنا بطريقة عشوائية عينة قصديه لحوالي عشر بيوت قصديرية، قريبة من منطقة حمام الصالحين، من خلال مجموعة من الأدوات والإجراءات التي تساعدنا في جمع المعلومات من الواقع المعاش. بدا من المنهج الوصفي، الذي تم تنفيذه بالاستعانة بأداة المقابلة والملاحظة التي توجه انتباه الباحث وإدراكه، إلى بعض خفايا الظاهرة المدروسة، وفق تكامل مجموعة من الأطر النظرية: كالفيثومولوجيا والصراع والتعلم الاجتماعي والضغط البيئي... لامتحان طفل سكان الأحياء القصديرية أمام عالمه العي، بكل معضلاته وملابساته التي خلفتها السياسة والتنمية الحضرية في البلاد، لاكتشاف أقنعة الواقع الذي يعيشه هؤلاء الأطفال، والوقوف على مختلف الأزمت والتراكمات والتفاعلات التي شكلت سلوكهم الإجرامي والعنيف، وما خلفه بعدها من آثار وتداعيات على المجتمع بأكمله.

صار الحديث عن العنف كفعل مادي و معنوي، يتم بصورة مباشرة أو غير مباشرة.. ويستهدف إيقاع الأذى البدني كالتشاجر والاعتداء على الأشخاص والممتلكات والانتهاك الجسدي.. أو النفسي كالتهديد والترويع والنبذ.. ضد الذات وضد الشخص الأخر أو الجماعة أو المجتمع، بما يشمل من مؤسسات مختلفة¹، فكيف إذ كان هذا الفعل من لدن أو ضد الطفولة التي تشكل جانب كبير من شخصية الإنسان، وتحمل رمز البراءة والطهر والأمل والمستقبل...؟.

هذه الطفولة التي أصبحت تعاني اليوم، ومع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلاد، الكثير من أنواع العنف في حياتها اليومية، كالعنف الجسدي: وهو تعرض الطفل للعنف والتعذيب الجسدي، ويظهر على الشكل القتال: وهو فقدان الطفل لحياته نتيجة للشدة أو القسوة في التعامل معه.

و الشكل الخطر: وهو ما ينتج عنه إصابات خطيرة مثل الكسور، إصابات الرأس والحروق الشديدة. إلى جانب الشكل الأقل خطورة: وهو ما يكن له آثار على الجسم مثل حدوث التجمعات الدموية (الكدمات) حول العينين، الأنف، الفم أو اليدين أو أي مكان آخر.

أما النوع الثاني من العنف، هو ما يعرف بالعنف الجنسي: الذي يعرض فيه الطفل لأي نوع من أنواع الاعتداء أو الأذى الجنسي مثل: الاتصال الجنسي: وهو قيام شخص راشد باتصال جنسي مع طفل. وسفاح الأقارب: وهو قيام أحد

1. محمود سعيد إبراهيم الخولي: العنف في مواقف الحياة اليومية-نطاقات التفاعل - سلسلة قضايا العنف(1)، ط1، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر

الأبوين أو أحد الأقارب بعمل علاقة جنسية مع أحد أطفالهم. والاعتصاب: وهو تعرض الطفل للاعتداء الجنسي بالقوة من قبل أي فرد راشد. إلى جانب الشذوذ الجنسي: وهو الاعتداء الجنسي الشاذ من قبل فرد راشد مماثل له في الجنس. و التحرش الجنسي: وهو الإساءة الجنسية ضد الطفل بالكلام أو الفعل بدون الاعتداء الجنسي والاستغلال الجنسي: وهو إغراء أو استدراج الطفل لاستغلاله جنسيا. وإجبار الطفل على مشاهدة صور وأفلام إباحية .

أما النوع الثالث من العنف هو ما يسمي بالإهمال، ويشمل الإهمال العاطفي: وهو عدم إشباع حاجات الطفل العاطفية الضرورية، مثل الحب والتقدير أو تعريض الطفل للمواقف العاطفية السلبية مثل المشاجرات بين الوالدين.. والإهمال الطبي: وهو عدم توفير العلاج أو الرعاية الطبية اللازمة للطفل. والإهمال الجسدي: وهو الإخفاق في حماية الطفل من الأمور الخطرة، أو عدم توفير الحاجات الأساسية مثل الأكل والمشرب والمسكن، أو تركه وحيدا دون إشراف. والإهمال التعليمي التربوي: وهو عدم توفير التعليم الأساسي، أو رفض تسجيل الطفل في المدرسة، أو عدم متابعته دراسيا. والإهمال الفكري: وهو الإخفاق في تشجيع الطفل على المبادرة المفيدة، مثل المسؤوليات الفردية أو الجماعية أو سلب حقوقه أو ممتلكاته الفكرية .

العنف النفسي كنوع رابع من العنف، وهو التعامل مع الطفل بشكل سلبي عاطفي أو نفسي مثل الرفض: وهو عدم توفير الراشد لحاجات الطفل الأساسية. والعزل: وهو عزل الطفل عن اكتساب التجارب الاجتماعية. و التهيب: وهو التهجم على الطفل لخلق جو من الرعب والخوف والهلع في نفسه. والتجاهل : وهو تجاهل النمو العاطفي، والتطور الثقافي للطفل. و الإفساد : وهو تشجيع الطفل أو إجباره على القيام بسلوك تدميري، مثل السرقة أو التسول أو استغلاله في الترويج المخدرات و الإساءة اللفظية والحركية: وهو التلفظ بعبارات أو إشارات أو حركات، تعبر عن الإهانة النفسية للطفل¹.

و قد تبرز أو تخف تأثيرات هذه الأنواع في الحياة اليومية للطفل، حسب الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية.. لان الحياة اليومية بالنظر لشموليتها تحتوي جميع هذه الظروف، باعتبار مفهوم اليومي و كونيته الواسعة الفسيحة في الزمان والمكان، وفي اللغة العربية الفصحى، إذ يشتق من اسم "يوم"، الذي يرتبط بما يتم تكراره كل يوم دون انقطاع .

أما في بعده العلمي، فيكتسب معناه ضمن فروع سوسولوجيا الحياة اليومية، إذ يشير المفهوم إلى مجال الحياة اليومية، هذا المجال الذي لا يمكن اختصاره في تعاقب زمني للحظات مختلفة - صبح ظهيرة عشية مساء- ولا في مجرد انتقال الإنسان من العمل، لتلبية الحاجات الحيوية إلى راحة واستكانة، كما لا يمكن رده إلى ما يتم تكراره يوميا أو أسبوعيا أو شهريا.

ذلك أن مجال الحياة اليومية مجال جد شاسع² ، لأنه يشمل الوجود المعاشي للإنسان بكل جوانب المعاش اليومي الذي ينظمه، ويحدد علاقته مع البناء الاجتماعي الواسع، ومختلف أشكال التبادل سواء كانت المادية أو الثقافية، والتي

¹. (<http://forum.brg8.com/t26458.html>)

². أحمد زايد: خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري، ط ١، القراءة للجمع النشر والتوزيع، دبي الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٢، ص ٢١.

تساهم في تفاعل أوساط المعيشية للأفراد، وتسهيل مختلف أشكال التبادل في إعادة إنتاج حياتهم اليومية. التي تستمر في الزمان وتنتقل عبر عوالم مكانية مختلفة للأفراد¹.

إذ كثيرا من الأحيان لا تعبر هذه الحياة عن نفسها بطريقة جد مستقيمة وواضحة، لأنها مكونة من أفعال بسيطة جدا، متعددة ومرتبطة ومتفجرة، إن لها عموم الظلمة القاتمة. وقد سبق لهنري لوفيفر صاحب الدراسات الكلاسيكية حول الحياة اليومية، أن اعترف بالقول بلغة واضحة وصريحة: فالغموض خاصة من خصائص الحياة اليومية، ويمكن أن تكون خاصة أساسية، بمعنى أن اليومي ليس مكشوفًا وعاريا على الدوام، بل هو مجال للإخفاء والتظاهر والنفاق والزيف، والاستلاب والتغيير غير المباشر عن المواقف والحاجات.

ويتضح ذلك أكثر حين نأخذ في الحسبان مكانة اللغة في الحياة اليومية، كأداة محددة كل التحديد. لا كمجرد شرط للحياة الاجتماعية فقط، بل كنمط لهذه الحياة بما يعنيه ذلك من إكراهات خاصة، لكل نمط يساهم في تحديد الملامح الرئيسية للحياة اليومية بهذا المجتمع أو ذاك²، لعينة دراستنا. إلى جانب مختلف الإيحاءات والمعاني، التي تنقلها عبر العديد من الاتصالات غير الشفوية، كتغيرات ملامح الوجه والإيماءات وحركات الجسد³.

ولهذا فهم بحاجة إلى أن نسمع خطاهم اليومي، ونفكك وقائعه وننقد أقنعتهم ونكشف الحجم، ومختلف أشكال الأحقاد والاكتئاب والضياع الذي يحياه الطفل وسط الأحياء القصدية، وتفرض منه نموذجا فريدا لطفل يعاني من واقعه وبيئته المتدهورة وسط العشوائيات أو الأحياء القصدية، كبؤر مريضة في جسد المدينة ومناطق مزدحمة بالسكان، بنيت بطريقة غير مخططة عشوائيا من صفائح القصدير أو الخشب أو الطين.. وغالبا ما تتواجد في أماكن منعزلة أو في ضواحي المدن أو بالقرب من مجاري صرف المياه، وتظهر نتيجة للهجرة الريفية والاستيطان الصناعي، وتعد هذه الأحياء المتخلفة وكرا للأمراض والفقر والآفات الاجتماعية، فهي غير مجهزة بالمرافق الضرورية للحياة، ولا تسكنها إلا الطبقات الفقيرة المحتاجة في اغلب الأحيان.

وهو ما تؤكد المعينة المباشرة لهذه الأحياء، والتي تبين مقدار المعاناة المادية لها و تشوه مبانيها وقدمها.. ذات الحجم الضيق، التي تنعدم فيها التهوية والحدائق والمجاري، إلى جانب قلة المواصلات وضيق الشوارع، وانتشار القذارة والتلوث البيئي في كل مكان. على الرغم أن البعض منهم نلاحظ عليه مظاهر الغنى، حيث عادة ما نجد عنده الشاحنة النفعية بجانب الكوخ، والهوائيات المقعرة فوق الأسطح. تناقضات الواقع الذي يبرز الخاصية الفيزيقية للأحياء القصدية. التي يوضحها المرجع⁴.

فوسط هذه الأحياء القصدية، تتدفق الحياة اليومية للأطفال في مختلف هذه الأماكن، وتتشكل محددات بنائية أوسع نطاق، قابلة للتغيير في ضوء الخصائص الفيزيقية، والظروف المبعثرة التي يعيشونها. لتخضع هذه الحياة لزدواجية المصير السيء وخداع الذات، حسب ما يقول سارتر⁵، لي عبر البناء الاجتماعي، عن مدى الاستغلال الذي يمارسه على

¹. [http : www :ahewar. org /debat/show.art.asp ?aid=123387](http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=123387)

². أحمد زايد: مرجع سابق، ص ٢٠.

³. [http : www :ahewar. org /debat/show.art.asp ?aid=123387](http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=123387)

⁴. تشارلز أمبرمز: المهينة ومشاكل الاسكان، ت. لجنة من الأساتذة الجامعيين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص ١٢، ١٣.

⁵. أحمد زايد: مرجع سابق، ص ١٥٧.

فاعليه خاصة الأطفال، كعنف رمزي في بداية حياتهم باختراقه الواقع ولا معقول، بالعنف السياسي والاقتصادي... تحت اسم السياسة الحضريّة، وما خلفته من وصمة عار في حق هذه العشوائيات الحضريّة. ولما تشيعة من معوقات وخلل في وظائف هذا البناء الاجتماعي الذي يعيشه الطفل، وحرمة المسكن اللائق ومنعه الحياة الكريمة.. التي يحياها في مثل عمره، والعادات السيئة التي تكتسبها من محيط الأحياء القصديرية، كالتدخين وإدمان المخدرات.. كعنف ممارس على الطفولة، وهو أحد الأنواع التي يحددها محمد العلوي. وهو العنف من الدولة ضد سكان العشوائيات¹ بدليل ما أكدته هذه الدراسة، بأن السلطات المحلية لم تقم بأي جهود لتحسين أوضاع المنطقة، إلا محاولاتها في هدم هذه البيوت القصديرية، خلال سفر أهلها لبعض الوقت، ونجد² ١% يقر أصحابها بجهود البلدية في محاولة النظافة، حيث لم تنفع جهودهم مع الواقع المزري لهذه الأحياء.

ولتوضيح العنف الصحي والاجتماعي، سنقف عند الناحية الاجتماعية، كخاصية أخرى لهذه الأحياء، وما يعاني سكانها خاصة الأطفال، من ظروف قاسية تعمل على تشكيل مختلف أنواع العنف عند ساكن الأحياء القصديرية، بمحاولة تحليل المقابلة مع عينة الدراسة، والتي بينت المعلومات الأساسية لسكان الأحياء القصديرية، بأن معظم أفراد العينة متزوجين بنسبة³ ٧٠%، ويرجع هذا للظروف المعيشية الصعبة التي يعاني منها المتزوجين، والتي تضطربهم للسكن في مثل هذه البيوت، وهذا ما يفسر انعدام فئة العزاب بهذه الأحياء، كما يوجد⁴ ٢٠% من الأراامل وغياب رب الأسرة الذي يتكفل بالعائلة، مما اضطر الأم للسكن بهذه الأحياء بعد أن تم طردها، وتقل النسبة عند المطلقين الذين يتحملوا معاناة هذه البيوت بنسبة⁵ ١٠%. ويدل هذا على مقدار الحاجة و الفقر لسكان هذه الأحياء التي تتحمل الظروف الصعبة.

كما تبين الدراسة أيضا، أن أغلب المبحوثين⁶ ٦٠% موطنهم الأصلي الريف، وقاموا بالهجرة إلى المدينة بحثا عن العمل والحياة الأفضل المتوفرة في المدينة. وهذه أحد وظائف الأحياء القصديرية التي تعتبر مأوى للمهاجرين والذين بدؤوا حياتهم في المدينة، كما هو موجود في المرجع⁷. إلى جانب هذه الهجرة توجد هجرة بين الولايات بحوالي⁸ ٢٠% بحثا عن الأمن بعدما تعرضت بلدياتهم للإرهاب في العشرية الأخيرة، كما نجد⁹ ٢٠% من سكان المدينة ترجع إقامتهم في هذه البيوت القصديرية إلى التفكك الأسري الناتج عن رب الأسرة أو طلاقه.

نستنتج مدى فقر الريف من المرافق الضرورية اللازمة لسكانه الذين اضطرتهم الحاجة للهجرة للمدينة ليصبحوا فقراء المدن، كما تميزوا بضعف المستوى التعليمي، أميون لا يجيدون القراءة والكتابة بنسبة¹⁰ ٣٠%، أما الذين يجيدون القراءة والكتابة قدروا بنسبة¹¹ ٢٠% وأغلبهم تلقوا التعليم في كتاتيب حفظ القرآن. أما الذين دخلوا المدرسة فكانت نسبتهم¹² ٢٠% إلى جانب¹³ ٢٠% من الذين واصلوا تعليمهم إلى الإكمالية، في حين نجد¹⁴ ١٠% من الذين واصلوا تعليمهم إلى الثانوية.

^١ . محمود سعيد إبراهيم الخولي: مرجع سابق، ص ٦٨.

^٢ . طيب سحنون: المدينة الجزائرية وتحديات المستقبل، الملتقى الوطني لتنمية المناطق الصحراوية، معهد الهندسة المعمارية، جامعة محمد خيضر يسكرة، (يوم ٢٠ - ٢١ نوفمبر ١٩٩٩)، ص ١٥٧.

نستنتج انخفاض المستوى التعليمي لسكان الأحياء القصديرية، سواء كان السرب عدم اهتمامهم بالتعليم، أو أن الظروف لم تسمح لهم بمواصلة تعليمهم نتيجة الفقر أو البعد عن المدارس، فتجد البعض منهم يسعى لتعليم أبنائه، أما البعض الآخر لا يهتم بدعوى ماذا فعل الذين يحملون الشهادات العليا في واقعنا المر.

ولهذا السبب ولغيره ارتفعت نسبة البطالة في أوساط المبحوثين بنسبة^٨% كما نجد^١% من يحترفون حرف خاصة تعود عليهم ببعض المال، ونجد^١% من العمال يوميا كالباعة الجائلين، وتنعدم نسبة الموظفين^٥% لأن أغلب سكان الأحياء القصديرية من المهاجرين الذين يحملون معهم فقر وجهل الريف ليصبحوا فقراء المدن.

لنصل لنفس النتيجة التي وصل لها الباحث "بوعنافة": بأن البطالة تنتشر وسط سكان الأحياء القصديرية، الذين يصعب عليهم تأمين الحياة المعيشية والصحية لعائلاتهم، الشيء الذي ساهم في زيادة القلق النفسي والاكتئاب لأرباب هذه الأسر التي دفعت بأطفالها للتسول، بعد ترويضهم على ممارسته إلى جانبهم لإثارة شفقة المارة، فيما يرسل الآخرون إلى المقاهي والمطاعم والمساجد، ومؤخرا الجامعة لطلب الصدقة بطرق يقشعر لها البدن مقابل مبلغ مالي زهيد، عراة حفاة أئوابهم بالية ورثة .. ليتعلموا كل أنواع التواكل وطلب الرزق من الآخرين دون عناء، إلى جانب مختلف أساليب الجريمة والانحراف.

وفي المقابل هناك من حالفهم الحظ في الحصول على مقعد في المدرسة، لكن الحرمان والتهميش في مختلف جوانب حياتهم، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القاهرة، حالت دون استمرار بعضهم لينضموا لعالم الشغل، موزعين على أرصفة المدينة، يبيعوا حزم المعدنوس أو سجاجير التبغ.. وحراسة السيارات ليلا ونهارا، والعمل كقابضين للحافلات، ويلتقطون فتات حاويات القمامة، عليهم يجدون لقمة تسد جوعهم أو شيء ثمينا يبيعونه، كالخردوات والمواد النحاسية والبلاستيكية و الخبز اليابس.. ليعيشون الموت الاجتماعي social death، بتعرضهم للانحراف والوقوع ضحية للسلوك المنحرف، خاصة مع انتشار التدخين والمخدرات والسرقة، والمشاجرات وحوادث الاعتداء الجنسي والاعتصاب، وانتشار عصابات الشوارع^١. ليتعلموا بالخبرة والتقليد والمحاكاة في الحياة اليومية وسط الشوارع، مما يجعل مستقبلهم أكثر عنفا وإجراما، كما تري نظرية التعلم الاجتماعي. هذه الحياة اليومية التي تشكل وعيه بالعنف، الذي لا يستطيع دفعه فيحمل داخله الرغبة على القهر البشري، تحت ستار ضرورات نفسية و اجتماعية تبسط أمامه، وكأنها محتمة بل ومفيدة ضد المجتمع فيما بعد، ليتحولوا بذلك من ضحايا إلى فاعلين في عالم العنف.

بدليل حالات من الأطفال الذين تعودوا على سرقة المحلات التجارية، في حي البخاري وزقاق بن رمضان في مدينة بسكرة، رغم تعرضهم للضرب والإهانة عدة مرات، غير أنهم أصبحوا لا يبالون من المخاطر التي تعودوا عنها، المهم الحصول على المال بأي قوة ووسيلة من الذين يملكون المال، لإعانة الأسرة تارة، وشراء الدخان وشراء غراء العجلات المطاطية المثقوبة تارة أخرى، ليسكروا بها عن همومهم ومشاكلهم وحضهم ... وهذا ما تشير إليه نظرية الصراع، التي تركز على الشعور الشخصي بالحرمان، بما يرغب فيه الناس وما يحصلون عليه، وبين انخفاض المستوى الاقتصادي لهؤلاء الأطفال الذين

^١ محمد سيد فهمي: أطفال الشوارع-مأساة حضارية في الألفية الثالثة-ط١، المكتب الجامعي الحديث، الأزريطية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص١٢٦.

لجوءوا إلى السرقة لحرمانهم من أبسط الأمور، مما يزيد من النزوع نحو الجريمة والعنف، نتيجة الإحساس بالظلم الاجتماعي، وانعدام العدالة الاجتماعية وسيطرة القيم المادية¹.

ليعلن هؤلاء الأطفال عن جريمة الفاعل وقصديه وعيه بذاته وبجريمته. فالنشاط المنظم الذي قام به هؤلاء الأطفال يفترض أن يكونوا واعين وعارفين ولديهم رصيد من الخبرة بعد السرقة الأولى، مما يسهل قابليتهم لامتلاك الوعي وامتلاك المعرفة. وبالتالي امتلاك القدرة على الفعل الإجرامي مرة أخرى، عن وعي وعن قصد دون مقاومة، كما تراه الفينومولوجيا. إلى جانب أنه خطاب منفعل في كل محادثات هؤلاء الأطفال، ولغتهم تميل نحو استخدام تعبيرات مادية لأوصاف مجسدة، التي تقرب المعنى بكلمات قبيحة وبعلامات أكبر قبج، من الغضب والحزن والانتقام والسخرية، التي تظهر في ملامحهم، والأكيد أن خطاب هؤلاء الأطفال يتشكل من البناء الأسري والمجتمع، الذي عاشت وتعيش فيها.

أما عن أوضاع المسكن ومرافقه الضرورية، يرجع المبحوثين سبب إقامتهم في هذا المكان لبعده عن المدينة وعن أنظار الناس بنسبة ٥% في حين يرجع ٣% من المبحوثين السبب لعدم وجود مسكن بالمدينة، نتيجة التوزيع غير العادل للمشاريع على مختلف أرجائها، وغياب الاختيار الموضوعي لطرق الانجاز وضعف هياكل التخطيط، ويرى ٢% أن السبب وجود أهل بهذه المنطقة وهذا ما يخفف عنهم بعض المعاناة بوجود من يشعر بهم وبظروفهم.

حتى الأراضي التي تبنى عليها هذه البيوت القصدية بينت المقابلة أن ٧٠% من الأراضي ملك للبلدية، و ٢% ملك للخواص ويرجع هذا لأن أغلب المبحوثين من المهاجرين الذين لا يجدون مأوى سوى بناء بيوت قصدية على أراضي غير معمرة ليتم الاستيلاء عليها، في حين نجد ١% من الأراضي ملك لأصحاب البيوت القصدية وهم من سكان المدينة الذين لا يملكون المال لبناء مسكن لائق هروبا من المشاكل العائلية، ومن هنا نستنتج وجود استعمال غير سليم لمساحات الأرض بالمدينة، نتيجة انعدام التخطيط الواضح وعدم السيطرة والتحكم في هذا النمو العشوائي، الذي يؤثر على المساحات الحضرية، وهي أحد أسباب ظهور الأحياء القصدية الموجودة.

هذه البيوت القصدية التي لا تكفي غرفها لحجم الأسر التي تسكنها، إذ يؤكد ٩% أن هذه البيوت لا تليق للعيش شكلا ومضمونا، إذ لاحظنا ارتفاع الحائط لبعض البيوت القصدية^١. ١ م من طول الإنسان وكأنه كهف في العصر الحجري، والغريب أن فوق أسطح هذه البيوت توجد الهوائيات المقفلة، وكان جواب المبحوثين عن هذا التناقض أن ثمن هذا لا يشترى بيتا، على الأقل أروح عن نفسي وأنسى همومي بهموم العالم ؟، كما وجدنا ١% من آراء المبحوثين يرون كفاية غرف البيوت القصدية نوعا ما لأنه لا خيار أمامهم سواها مع قلة حجم الأسرة مقارنة مع بقية المبحوثين.

نستنتج بأن أغلب غرف البيوت القصدية غير كافية، لاحتوائها على غرفة أو غرفتين على الأكثر، يتزاحم فيها أفراد الأسر الذين بلغ عددهم ما بين ٥ أفراد إلى ١٢ فرد، الشيء الذي يزيد من معاناة أفراد الأسرة عامة والأطفال خاصة، ويساهم في ارتكاب الفواحش بين ذوي القربى- زنا المحارم- كعنف جنسي ارتبط بالمنطق ما بعد الحداثة. هذا المنطق الذي يفكك العلاقات الاجتماعية، القائمة على الموروث المنحدر من الحداثة، وسعيه إلى تشكيل أسرة ما بعد الحداثة، الأسرة المرقمة التي تتألف من أفراد لا تجمع بينهم قرابة الدم والنسل.

¹ . جلال إسماعيل حلمي: العنف الأسري، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٤٦-٤٩ / ٢٤ - أحمد زايد: مرجع سابق ص ٦٨.

العنف والجريمة التي يفقد الباحث أمامها نقاط الاستدلال، وتدعوه إلى الانخراط مع العديد من المفكرين وعلماء الاجتماع، وسط جدلية البناء الاجتماعي الأسري تحديداً، ومختلف الفاعلين وأيهما أسبق عن الآخر، والأكثر تأثيراً وفاعلية في تنمية هذه الظاهرة، بأساليب مباشرة وغير مباشرة، بينها دراسة حالة من أطفال العشوائيات، وهي تروي حكايتها خلصة عن والدتها و تقول: بعمر البراءة الذي لم يتجاوز الثمن سنوات، وأصبحت عرضة لمضمون ما تشاهده وما تسمعه في الليل، من ممارسات الجنس وجماع بين الوالدين، لتحاول تقليدها بعدما زودت بطرق زنا المحارم، وكيفية فعلها مع أقرب الناس لها شقيقها، الذي يكبرها بعامين.. لتواجه أمر غير مألوف، أصابها بالخوف والشك والحيرة والارتباك، وهز في نفسها الثوابت وجعلها تنظر إلى نفسها وإلى غيرها نظرة شك وحيرة، وإلى والديها نظرة حقد وكرهية، وتنازعها مشاعر متناقضة جعلتها تتمزق من داخلها. لتغرق في العنف النفسي والمعنوي الذي نتج عنه التبول اللاإرادي لهذه الحالة، وانتهاك الذات بعظ ظهر يدها حتى أصبحت مشوهة بجروح حمراء، إضافة إلى بعض السلوكيات الشاذة...وهو نوع من العنف ضد الذات¹.

نتيجة طبيعية لحياة مضغوطة وملغمة بالصراعات والتوترات، التي خلفتها السياسة الحضارية داخل أسرة هذه العشوائيات التي تسكن غرفة واحدة، ليعبر البناء الاجتماعي والأسري عن مدى الاستغلال الذي يمارسه على فاعليه، باختراقه الواقع وألا معقول بجريمة زنا المحارم، ولما يشيعه من معوقات وخلل في وظائفه، ليرز الخطأ في أساليب التنشئة الاجتماعية وسط العشوائيات.

و من خلال الملاحظة أيضا لواقع البيوت القصدية واستجواب سكانها، يتبين أن هذه الأحياء تعاني العديد من الأمراض، دون أن يدرك أصحابها بأنها أمراض خطيرة، لأن المريض عندهم من يرقد في المستشفى أو يقترب من مشارف الموت، ويسعون جاهدين لمعالجته عند الأطباء والمستشفيات علي حساب غذائهم.

أما الأمراض التي اعتادوا عليها نجد للشمانيا أو ناموسة بسكرة، التي يتم علاجها بطرق تقليدية كطلاع الأظافر والكبريتية والبتروول.. لارتشارها بكثرة وسط هذه الأحياء، التي يكثر فيها البعوض والجرذان والذباب...الناقل لهذا المرض، ومرض التيفوئيد وهو من الأمراض المعوية الحادة التي تصيب الأمعاء الدقيقة، الناتج عن تلوث المياه وكثرة النفايات، أو تعفن الغذاء وتسممه الناتج عن خلل في النظام الغذائي العشوائي، وسوء التغذية الذي أدى لإصابة بعض الأطفال بالكساح، والإسهال الذي ساهمة في موت طفلين، و آخر مات بمرض الكوليرا.. إلى جانب إجهاض العديد من الأمهات، وإصابتهم بأمراض النساء، إلى جانب انتشار مرض الرمد الحبيبي، ومرض الربو لقللة الأكسجين وسط هذه الأحياء، وكثرة الرطوبة في فصل الشتاء في مساكن من قصدير وطوب، وفقر الدم والكيس المائي والسلطان، إلى غيرها من الأمراض التي اعتاد عليها سكان هذه الأحياء، كضغط الدم والمعدة... الناتجة عن الأمراض النفسية، التي أرهقت العديد من أطفال هذه الأسر.

وهذا ما يجعلنا نؤكّد أن ظروف العيش وسط هذه الأحياء القصدية، من ضيق المسكن ونقص المرافق والغذاء اللازم، وقلّة الدخل ونقص الوعي لوسائل العلاج والوقاية والعادات السيئة، إذ كثير من سكان هذه الأحياء، تترك أطفالها يستحمون في الترع، أو التبول والتبرز في المياه الراكدة، والمشي على الأقدام... وكذلك العلاج بالكي لأعراض الروماتيزم و الفجعية.. دون إدراك للمضاعفات الخطيرة الناتجة عن الكي... وفي بعض الأحيان يتم الاستعانة

¹. [http //forum.stop55/127692.html](http://forum.stop55/127692.html)

بالمشعوذين والسحرة أو التسليم بالقضاء والقدر، بالإدعاء بأن المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين... كلها عوامل ساهمت بشكل كبير على انتشار الأمراض الاجتماعية وسط هذه الأحياء، كتعاطي الكحول والمخدرات، وانحراف الأحداث وتشتت العائلة..

كما أقر ٦٠% من أفراد العينة أن لديهم دورة مياه خاصة إلى جانب ٤٠% من أفراد العينة لا يملكون دورة مياه في مساكنهم، وأغلبهم يشترك مع أقربائه وجيرانهم في دورة مياه تقل فيها النظافة والمياه..

كما لا يملك ٢٠% من أفراد العينة الكهرباء، ويستعينون بالمصابيح الغازية للإنارة و التي تؤدي إلى قصر النظر بسبب قلة الضوء، و ٨% من المبحوثين يستعملون الكهرباء كوسيلة لإضاءة مساكنهم، كما شاهدنا الهوائيات المقعرة فوق سطح البيوت القصديرية، كما يلاحظ غياب المستلزمات الضرورية للكثير من البيوت القصديرية، كالثلاجة التي تحمي الأطعمة والمكيف والحمام.. الأمر الذي يساهم في انتشار العديد من المكروبات، التي تلوث الأطعمة والمياه.. أما عن رضي المبحوثين عن حياتهم في هذه المساكن أجاب ٩% بكلمة: أه ثم آه، هذه الآه التي تعبر عن عمق المعاناة و حياة اللارضى و اللاسعادة بسبب هذه الأحياء القصديرية من الناحية الفيزيقية و الاجتماعية، كما هي موضحة في خصائص هذه الأحياء في المرجع¹، في حين بين ١% من المبحوثين عن رضاهم بهذه المساكن لأنها أرحم من المساكن التي كانوا يسكنونها والتي لم توفر لهم العمل والأمن.

أما عن المشاكل التي تعاني منها منطقة المبحوثين، فجميعهم ركزوا على مشكل السكن والعمل، وكذا صعوبة المعيشة في هذه المناطق التي تعاني التدهور البيئي من رمي الفضلات تراكم الأتربة و برك المياه القذرة.. وتنقص فيها مراكز الصحة وتنعدم أماكن الراحة والمساحات الخضراء، مع نقص الإضاءة والماء والأمن في مناطق كثر فيها الانحراف و التشرذم...

و نتيجة لهذه المشاكل التي ألغها الطفل، كما ألف معها العنف اللفظي والجسدي، من السباب والشتائم... والإيذاء الجسدي لأحداث الألم والأذى الجسدي والنفسي، وسط الأسرة وخارجها.. فقد تشكلت هوية ذات ساكن الأحياء القصديرية، بأنواعها التي تظهر في قلقها وفقدان احترامها لذاتها، نتيجة إحساسها بالنقص.. وثباتها لذاتها وصيرورتها وانفتاحها على الإقبال، لأن هذه الذات مرتبطة بالآخر الاجتماعي والتاريخي، هذا الآخر الذي يرجعون له العداء ومشاعر الظلم والإحباط، والمتمثل في السلطات المحلية الحضرية التي لم تقم بأي جهود لتحسين أوضاع المنطقة إلا محاولاتها في هدم هذه البيوت القصديرية خلال سفر أهلها لبعض الوقت كما بينته المقابلة.

كثيرة هي المشاكل التي تعاني منها الأحياء القصديرية والتي لا تخرج عن خصائص الأحياء المتخلفة من الناحية الفيزيقية والاجتماعية، و التي تعبر عن غضب وألأ رضا للمبحوثين عن حياتهم في هذه المساكن إذ أجاب ٩% بكلمة: أه ثم آه، هذه الآه التي تعبر عن عمق المعاناة و حياة ألا سعادة، بسبب ظروف العيش في هذه الأحياء القصديرية، من الناحية الفيزيقية و الاجتماعية. في حين بين ١% من المبحوثين عن رضاهم بهذه المساكن، لأنها أرحم من المساكن التي كانوا يسكنونها، والتي لم توفر لهم العمل والأمن، كما أكدوا أن السلطات المحلية لم تقم بأي جهود لتحسين أوضاع المنطقة، إلا

¹. بن السعيد اسماعيل: معوقات التنمية العمرانية- دراسة في ثقافة سكان مناطق البناء الفوضوي في مدينة باتنة- رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع الريفي الحضري، ١٩٩٠-١٩٩١، ص ٦٤-٦٦.-/جلال عبد الله: السياسة والتغيير الاجتماعي في الوطن العربي، مركز البحوث والدراسات السياسية، مطبعة الأطلس، جامعة القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٥٢-١٥٤.-/تشارلز أمبرمز: مرجع سابق/ محمد عاطف غيث: علم اجتماع التنظيم- التغيير والمشاكل- دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٧، ص ٤٣٣-٤٣٤.

محاولاتها في هدم هذه البيوت القصدية، خلال سفر أهلها لبعض الوقت، ونجد¹ % يقر أصحابها بجهود البلدية في محاولة النظافة، حيث لم تنفع جهودهم مع الواقع المزري لهذه الأحياء.

فمن خلال هذا الوجود الحاضر وسط الأحياء القصدية، التي قلما أعطيناها حقها وانتبهنا إليها، وإلى ما تعانيه من مشاكل وأوضاع سيئة، عملت على تشكيل وعي وهوية الطفل بطريقة لا شعورية، ضمن تجربته الحياتية اليومية، التي يعيشها بألم وفقر ومرض وعنق. حيث بينت المقابلة، أنهم على وعي كبير بما يحيط بهم من ظروف سيئة متدهورة وتمدنية، ووجود أماكن أفضل يعيش فيها الآخرون، وأنهم يعانون من الإحساس بالتلوث والفقر، وانعدام النظافة والعيش وسط القمامة، ويحلمون بتغيير بيئاتهم التي يعيشون فيها أحياناً¹ ويرفضون هذه الحياة، ويختلفون مع الآخر اختلافاً قد يصل إلى تكوين فئة ساخطة على الآخر، المتمثل في السياسة الحضرية والناس الراضين لهذه الأحياء، سواء وسط المدارس أو الشوارع..الذين يقابلون ساكنها بنظرة احتقار وفجور وتكالب وشراسة..التي تعبر عن تجسيد لعقلية المفاضلة ومنطق السخرية، أو غريزة القوة وإرادة الاستيلاء والتكبر والتعالي، التي تسوغ للفرد أو لمجموعة الأحياء الراقية، الاعتقاد من حيث دورهم وموقعهم ومهنتهم، يمثلون الصفوة أو النخبة أو الطليعة، وبصورة تبرز لهم التصرف الأعظم والأولى عن بقية الناس، سواء من حيث الوجود أو من حيث الكرامة، الذين تزين لهم نرجسيتهم بأنهم الأفضل² من الساكن وسط هذه الأحياء القصدية المتخلقة، مصدر العنف والجريمة والفساد...التي تهدد المجتمع وتؤثر فيه بكامله .

لذا علينا أن نطالب بإعادة النظر في السياسات الحضرية، التي تمثل حقيقة مطالب هذه الأحياء، دون القضاء على اختلافات الناس وهويتهم. مع العلم أنها أفرزت نموذجاً فريداً لطفل يعاني من واقعه وبيئته المتدهورة، وأحواله المعيشية والصحية السيئة... التي يمتصها في بداية عمره كعنف رمزي، ويمارسها مع نموه كعنف جنسي مع محارمه، ويألفها في حياته اليومية كعنف لفظي وجسدي... لتزج به فيما بعد في عالم العمالة الهامشية والانحراف والإجرام... ليتعلم بالخبرة والتقليد والمحاكاة في الحياة اليومية وسط الشوارع، التي تشكل وعيه بالعنف الذي لا يستطيع دفعه، فيحمل داخله الرغبة على القهر البشري، تحت ستار ضرورات نفسية واجتماعية تبسط أمامه، وكأنها محتمة بل ومفيدة ضد المجتمع فيما بعد، ليتحولوا بذلك من ضحايا إلى فاعلين في عالم العرف كما بينته المقابلة.

والأهم من ذلك أن المسألة اليوم، أكثر بكثير من فهم العنف في الحياة اليومية لأطفال العشوائيات الحضرية، فهي تتجاوز كل ذلك، لأنها تتعلق بمستقبل الطفل وسط هذه الأحياء، وهو ما يجعلنا نضع رؤية جديدة في هذه الأحياء، بتفعيل عقد جديد بين الطفل ونفسه وبينه وبين غيره، وخاصة بينه وبين المجال المكاني والزمني والاجتماعي، لتنمية المدن متجاوزين ثنائية الذات والآخر، محققين بقراءة الفيلسوف والاقتصادي والاجتماعي، وثقافة المجاهد الصابر والمربي للروح والنفس.. ووفق سياسة وتنمية حضرية مستدامة، حقوق واحتياجات الطفل في التعليم والرعاية الصحية والتربية، وبناء العلاقات الاجتماعية، والحماية والوقاية من العنف، والحق في المشاركة في جميع الأمور المتعلقة بحياتهم، وهويتهم التي تشكل وتتجزأ وسط الأحياء القصدية. بإرساء قواعد العدالة الاجتماعية والتقليل من الفوارق الاجتماعية الطبقية، بمزيد من التكافل والتضامن الاجتماعي، لشعب وحكومة مسلمة.

¹ محمد سيد فهمي: مرجع سابق، ص ١٢٣-١٢٤.

² علي حرب: الأختام الأصولية والشعائر التقدمية-مصائر المشروع الثقافي العربي- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠١، ص ١٢٤.

قائمة المراجع:

- ١ - أحمد زايد: خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري، ط ١، القراءة للجمع النشر والتوزيع، دبي الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٢.
- ٢ - بن السعيد اسماعيل: معوقات التنمية العمرانية- دراسة في ثقافة سكان مناطق البناء الفوضوي في مدينة باتنة- رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع الريفي الحضري، ١٩٩٠-١٩٩١.
- ٣ - تشارلز أمبرمز: المدينة ومشاكل الاسكان، ت. لجنة من الأساتذة الجامعيين، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ٤ - جلال إسماعيل حلمي: العنف الأسري، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩.
- ٥ - جلال عبد الله : السياسة والتغيير الاجتماعي في الوطن العربي، مركز البحوث والدراسات السياسية، مطبعة الأطلس، جامعة القاهرة، ١٩٩٤.
- ٦ - طيب سحنون: المدينة الجزائرية وتحديات المستقبل، الملتقى الوطني لتنمية المناطق الصحراوية، معهد الهندسة المعمارية، جامعة محمد خيضر يسكرة، (يوم ٢٠-٢١ نوفمبر ١٩٩٩).
- ٧ - علي حرب: الأختام الأصولية والشعائر التقدمية- مصائر المشروع الثقافي العربي- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠١.
- ٨ - محمد سيد فهمي : أطفال الشوارع- مأساة حضارية في الألفية ١ لثالثة- ط١، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
- ٩ - محمد عاطف غيث: علم اجتماع التنظيم- التغيير والمشاكل- دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٧.
- ١٠ - محمود سعيد إبراهيم الخولي: العنف في مواقف الحياة اليومية- نطاقات التفاعل- سلسلة قضايا العنف(١)، ط١، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

11- [.http://forum.brg8.com/t26458.html](http://forum.brg8.com/t26458.html)

12- <http://forum.stop55/127692.html>

13- <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=123387>

التحولات السوسيوديموغرافية للعائلة الجزائرية

صغيري فوزية، طالبة دكتوراه/جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر

ملخص:

إن السياق الاجتماعي الذي تطورت فيه العائلة الجزائرية تميز بعدة تغيرات و تحولات اجتماعية، اقتصادية، سياسية...، التي مست مختلف جوانب الحياة، إذ مرت من خلالها العائلة الجزائرية من نمط تقليدي (أسرة ممتدة) إلى نمط حديث (أسرة نووية)، و تعتبر تلك التغيرات بمثابة تحول نوعي في النظام و الأنساق و الأجهزة الاجتماعية سواء كان ذلك من حيث البناء أو الوظيفة، ولما كانت النظم في المجتمع متكاملة بنائيا و متساندة وظيفيا فإن أي تغيير يحدث في ظاهره لا بد وأن يؤدي إلى سلسلة من التغيرات الفرعية التي تصيب معظم جوانب الحياة بدرجات متفاوتة و تغير بعض القيم السائدة التي كانت تقوم عليها العائلة الجزائرية و السمة الغالبة عليها، فما هي مظاهر و عوامل التغير الاجتماعي التي مست البناء السوسيوولوجي و الديموغرافي للعائلة الجزائرية؟

الكلمات المفتاحية: العائلة، التغير الاجتماعي، الأسرة النووية، الأسرة الممتدة.

مقدمة:

التغير الاجتماعي كمفهوم متعارف عليه في علم الاجتماع، يعد من السمات التي لزمّت الإنسانية منذ فجر نشأتها حتى عصرنا الحاضر، فالتغير هو إحدى السنن المسلم بها و اللازمة لبقاء الجنس البشري و الدالة على تفاعل أنماط الحياة على اختلاف أشكالها، والتي تميزت بتحولات اجتماعية و اقتصادية و سياسية أثرت على تركيبة العائلة الجزائرية و هذا ما سوف نقوم بعرضه من خلال هذا المقال بدراسة مختلف مظاهر و عوامل التغير الاجتماعي داخل العائلة الجزائرية و ما صاحبه من تأثيرات في البناء الاجتماعي و النظم المكونة لهذا البناء.

أولا: ملامح عملية التغير الاجتماعي في الأسرة الجزائرية

١ - مفهوم التغير الاجتماعي

يعرف معجم العلوم الاجتماعية التغير الاجتماعي على أنه "كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو وظائفه خلال فترة زمنية معينة ويشمل ذلك كل تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي و نظمه الاجتماعية أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم و المعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد و التي تحدد مكانهم و أدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها"¹

¹ - أحمد بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٨٢.

- وبصفة أدق وبما يتناسب مع طبيعة الموضوع نحدّد التغيير الاجتماعي على أنه نوع "من التباين و الاختلاف الذي يحدث على مكونات البناء الاجتماعي والنظم و الظواهر الاجتماعية والذي يؤدي إلى حدوث تغير في أنساق التفاعل و العلاقات وأنماط السلوك و النشاط الإنساني ويعد السّمة المميزة لطبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة"¹

٢- مظاهر التغيير الاجتماعي داخل الأسرة الجزائرية

- يشير التغيير الاجتماعي إلى التعديل في الأنماط القائمة للعلاقات الاجتماعية الداخلية ومعايير السلوك والقيم الأسرية، باعتبار الأسرة نظام أولي تتداخل مع النظم الأخرى، وقد تكون هذه العملية بطيئة أو سريعة كما هو الوضع في المجتمعات الحديثة المعقدة²، ونتيجة للتغيرات الاجتماعية و الثقافية المستمرة والعميقة التي تحدث في المجتمع، و من هنا يمكن حصر أهم التغيرات التي حدثت في الأسرة على النحو التالي:

- تعليم وعمل المرأة وهو أول تغير مباشر وعامل مؤثر على الأسرة والقيم الأسرية، فأصبحت المرأة تشارك الزوج في تخطيط الميزانية الأسرية و تقاسم الأعباء المادية، و المشاركة في اتخاذ القرارات وهذا ما سمح لها بإعادة النظر في دورها التقليدي، بالإضافة إلى تأثير وسائل الإعلام و زيادة الخصائص الحضرية وكذا تغير النمط الأسري والابتعاد عن سلطة الأسرة الكبيرة، أدى إلى تغير ملحوظ في دور الزوجة وفي مركزها في الأسرة إلى حد التي يستطيع معها القول بأنها تشارك بصفة بطيئة وتدرجية في مسؤولية رعاية الأسرة وتخطيط مستقبلها³.

- يعتبر حجم الأسرة الصغير نسبيا من أهم الدعائم التي تقوم عليها الأسرة الجزائرية حاليا، والتي لها خصائص الأسرة النواة التي تحدث عنها علماء الاجتماع، ومن بين أهم العوامل التي أدت إلى تناقص حجم الأسرة في الوقت الحاضر هو الاتجاه نحو التحكم في عملية الإنجاب، يعتبر مؤشرا على أن هناك اقتناعا بضرورة تحديد حجم الأسرة، وهذا يؤكد أن الدّعوة السابقة إلى إنجاب عدد أكبر من الأبناء للمساعدة في الأعمال الإنتاجية والزراعية لم تعد لها فعالية في تحديد اتجاهات الأسرة، وذلك بالعمل على تعليم أطفالها ورعايتهم الصحية وتهيئة أفضل الظروف لهم للمشاركة في العمل الاقتصادي انطلاقا من عامل الخبرة والمؤهل، وقد تبين من حيث النظرية والواقع أنه كلما ارتفع دخل الأسرة قلت رغبتها في إنجاب عدد كبير من الأطفال، و كلما انخفض دخلها اقتنعت بالمساوي المترتبة على كثرة الإنجاب في الوقت الذي لديها أطفال كثيرون بالفعل⁴.

- إن التغيير الاجتماعي الواحد الذي يتّسم به العصر الحديث وعلى وجه الخصوص التغيير الاقتصادي الناتج عن التقدم التكنولوجي، قد أحدث هزة في كيان الأسرة وتماسكها⁵، ويعتقد البعض أن التغيير الاجتماعي والتكنولوجي قد فرض على الأسرة مصيرا لمفر منه وهو الانحلال التدريجي حيث ينهار نمطها التقليدي الممتد إلى أسرة نواة¹.

¹ - محمد الدقس، التغيير الاجتماعي بين النظرية و التطبيق، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، الأردن، ١٩٨٧، ص ١٩.

² - عوفي مصطفى، خروج المرأة إلى ميدان العمل وأثره على التماسك الأسري، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، العدد ١٩، جوان ٢٠٠٣، ص ١٣٩.

^٤ - السيد عبد العاطي وآخرون، الأسرة و المجتمع، دار المعرفة الجامعية مصر ٢٠٠٢، ص ١٧.

^٤ - عوفي مصطفى، خروج المرأة إلى ميدان العمل وأثره على التماسك الأسري، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، العدد ١٩ جوان ٢٠٠٣، ص 18.

^٥ - عوفي مصطفى، المرجع نفسه، ملج العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، العدد ١٩ جوان ٢٠٠٣، ص 140.

- ويمكن تلخيص مظاهر تغيرات الأسرة الجزائرية في النقاط التالية:

أ- التغير في الحجم: الانتقال من نمط الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية المتكونة من الأب والأم والأبناء الغير متزوجين وهذا بفعل التحضر السريع، تحول بناء الأسرة الجزائرية من النظام الممتد (تقليدي) إلى النظام النووي (عصري)، لم يكن يبرز بشكل واضح وسريع إلا بعد أن انتقلت الأسرة إلى الوسط الحضري.²

جدول (أ): تطور معدل الخصوبة العام حسب السن (بـ %)

الفئات العمرية	٢٠٠٠	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠١١	٢٠١٢	٢٠١٣	٢٠١٤
١٩-١٥	١٠.٧	٨.٨	٩.٦	١٠.٢	١٠.٧	١١.٨	١٢.٤	١٣.٥
٢٤-٢٠	٨.٠٢	٧٦.١	٧٧.٩	٨٤.١	٨٧.٠	٩٤.٩	٩٤.١	١٠٠.٩
٢٩-٢٥	١٣٧.١	١٤٢.١	١٤٤.٣	١٤٦.٠	١٤٦.٧	١٥٥.٧	١٥١.٥	١٥٩.٢
٣٤-٣٠	١٣٦.١	١٥٢.٦	١٥٤.٣	١٥٠.٨	١٤٧.٤	١٥١.٩	١٤٤.٠	١٤٦.٩
٣٩-٣٥	١٠٢.٦	١٢١.٧	١٢٢.١	١٢٣.٩	١٢٣.٧	١٢٩.١	١٢٢.٦	١٢٣.٧
٤٤-٤٠	٤٧.٧	٥٢.١	٥٣.٢	٥١.٤	٥١.٢	٥٣.٦	٥٣.٢	٥٤.٦
٤٩-٤٥	١٠.٢	٨.٢	٨.٣	٧.٣	٧.٢	٧.٤	٧.٨	٧.٩

المصدر: ONS, Démographie Algérienne 2014, N⁰ 69

ب- التغير في وظائف الأسرة: كانت تقوم العائلة الجزائرية بجميع الوظائف المرتبطة بالأسرة وأفرادها في العهد الاستعماري من تربية واقتصادية ودينية وأمنية وكل ما يتعلق بتنشئة الأبناء وهذا بمساعدة العائلة الكبيرة، وبعد الاستقلال وانتشار عمليات التحضر والابتعاد عن العائلة الممتدة، أصبحت الدولة والمرافق العامة لها تنافس الأسرة في هذه الوظائف مما أثر على التنشئة الاجتماعية للأبناء.

ج- التحضر المتسارع: من خلال النزوح الريفي نحو المدن وارتفاع نسبة التحضر، حيث قدرت سنة ١٩٨٤ بـ ١٦.٤%، سلا ١٩٩٣ بـ ٣٠%، أما سنة ١٩٩٤ بـ ٦١%.

^١ - السيد عبد العاطي وآخرون، المرجع نفسه، دار المعرفة الجامعية مصر ٢٠٠٢. ص ١٩.

^٢ - محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر، ديوان المطبوعات الجزائرية، ١٩٨٤ ص ١٩.

د- تناقص الأمية وارتفاع نسبة التعليم: انظر الجدول رقم (2)

الجدول رقم (2): تطور نسبة التعليم بين 1966 و 2002:

السنوات	1966	1977	1987	1998	2002
الذكور	56.80	80.80	87.75	85.28	95
الإناث	36.90	59.60	71.56	80.73	92.10
المجموع	47.20	70.40	79.86	83.05	93.60

المصدر: Données ONS& EASF2002- rapport principal-juillet

ه- عمل المرأة: توسع خروج المرأة للعمل ومشاركتها في مختلف النشاطات والمجالات التي كانت حكرًا على الرجال فقط كقطاع السلك الأمني وغيرها. انظر الجدول رقم (3)

الجدول رقم (3): معدل نشاط الإناث من 1966 إلى 2010 ب(ب (%):

السنة	معدل النشاط
1966	1.8
1977	2.6
1987	4.4
1998	14.8
2010	11.5

المصدر: ONS: Collections statistique n 123. démographie algérienne n 575

و- اختفاء الزواج المبكر: وذلك بارتفاع سن الزواج الأول مقارنة بما كان عليه سابقاً، انظر جدول رقم (4.9)

جدول (٨): تطور السن عند الزواج الأول في الجزائر للفترة ٢٠١٤-٢٠٠٨:

٢٠٠٨	١٩٩٨	١٩٨٧	١٩٧٧	١٩٦٦	
٢٩.٣	٢٧.٦	٢٣.٧	٢٠.٩	١٨.٣	إناث
٣٣.٠	٣١.٣	٢٧.٦	٢٥.٣	٢٣.٨	ذكور

المصدر: LOUADI, T., les déterminants de la baisse de la fécondité en Algérie, Revue des Sciences Humaines-Université

Mohamed Khider Biskra N° :24, Mars 2012, p p 43-61

جدول رقم (٩): سن الزواج الأول في الجزائر:

المجموع	إناث		ذكور		السنوات
	ريفي	حضري	ريفي	حضري	
23.1	19.8	23.1	24.3	27.3	RGPH 77
25.7	22.3	24.8	26.4	28.8	RGPH 87
28	24.6	26.9	28.9	31.2	EASM 1992
29.45	26.9	27.9	30.3	31.9	RGBH 1998
30.62	27.9	29	31.9	33.7	EASM2002
31.7	28.9	30	32.06	34.2	MICS3 2006

المصدر: Annuaire Statistiques de l'Algérie 1977-70 à 2000:

EASF 2002 et MICS3 2006

ز- تغير ثقافة الإنجاب وتنظيم الأسرة: لقد عرف السلوك الإيجابي للمرأة الجزائرية تغيرا واضحا مما كان عليه في الماضي، وهذا رجع لعوامل عديدة أهمها تأخر السن الزواج الأول واستخدام وسائل منع الحمل وانتهاج برامج تنظيم الأسرة، قدرت نسبة استخدام وسائل منع الحمل سنة ١٩٩٧ بـ ٠٤.٠%، أما سنة ٢٠٠٤ قدرت بـ ٦.١%. أنظر جدول رقم (٦)

^١ - الخصوبة. دوت كوم، تراجع الخصوبة في المغرب العربي، تقرير المعهد الوطني الفرنسي للسكان، ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٣.

جدول (٦): توزيع السيدات حسب معدلات الخصوبة العمرية ومعدل الخصوبة الكلي والمستوى التعليمي لسنة ٢٠٠٢:

معدل الخصوبة الكلي	٤٩-٤٥	٤٤-٤٠	٣٩-٣٥	٣٤-٣٠	٢٩-٢٥	٢٤-٢٠	١٩-١٥	المستوى التعليمي
٢.٩	١٠	٥١	١١٨	١٥٧	١٤٥	٨	١٢	أمية
٢.٤	١١	٣٥	١٠١	١٣١	١٢٨	٦٦	١٠	تقرأ/تكتب
٢.٢	٧	٣٠	٩٠	١١٥	١١٢	٧٣	٦	ابتدائي
٢.٠	٧	٣٣	٨٧	١١٩	١٠٧	٥٠	٢	متوسط
١.٥	-	١٥	١٠٤	١٠٨	٦١	٧	-	ثانوي فأكثر

المصدر: المسح الجزائري حول صحة الأسرة ٢٠٠٢، ص ١٠٤.

٣- عوامل التغير الاجتماعي :

يتطلب التغير الاجتماعي عدة عوامل أساسية تساعد على حدوث التغير وتختلف تلك العوامل باختلاف الظروف و المجتمعات، ولقد تحدث كثير من علماء الاجتماع عن عوامل التغير الاجتماعي وقسمها البعض إلى عوامل داخلية تنبع من داخل المجتمع وعوامل خارجية نابعة من تأثيرات أخرى ومن ظروف خارجة عن المجتمع نذكر منها ما يلي:

- البيئة :

يعتبر مفهوم البيئة مفهوماً واسعاً متعدد الجوانب فهناك البيئة الطبيعية و البيئة الاجتماعية والبيئة الأسرية، فاستغلال الإنسان لبيئته الطبيعية ولقدراته في تسخير تلك البيئة وتوجيهها نسبياً لصالح التغير يترتب عليه تغيير في البيئة، يتبعه تغير في طرق التكيف معها والملائمة بينها وبين أساليب الحياة للأفراد والجماعات، وتغيير في أنماط معيشتهم^١.

- العامل الديموغرافي:

الديموغرافيا هي الدراسة الإحصائية للسكان من حيث حجمهم وتوزيعهم وتركيبهم ، تهتم بموضوعات معينة أبرزها التغيرات في الخصوبة، وحجم الجماعات أو المجتمعات، معدلات المواليد والوفيات سواء بزيادة أو النقصان، الهجرة سواء كانت داخلية أم خارجية، استحداث مناطق جديدة لل عمران والسكن والعلاقات الاجتماعية، مستوى التكيف بالنسبة للمهاجرين وقاطني المناطق السكانية الجديدة، نسبة الأطفال أو الشباب أو الشيخوخة إلى سكان المجتمع، لذلك فن أي تغير في الحجم أو التوزيع يؤدي بالضرورة إلى التغيرات الاجتماعية، ويتبع التاريخ نجد أن أي زيادة أو نقصان في

^١ - محمد عوده، أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، تقدم السيد محمد خير، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٤٢.

حجم السكان كانت تؤدي إلى تحولات في أنماط حياة الأسرة، فنمو السكاني السريع تتبعه مشاكل معينة مثل النقص في الغذاء أو فرص العمل أو المدارس والإسكان، وهذا ما ذهب إليه "دوركايم" حين قال: "بأن الزيادة في عدد السكان تؤدي إلى تقسيم العمل الاجتماعي، ومن ثم يكون هناك تقسيم أو انتقال من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي الذي يرجع إلى العامل السكاني"¹.

- العامل التكنولوجي:

يعد العلم واستخداماته التكنولوجية علاقة مباشرة بعملية التغيير الاجتماعي، فالاختراعات والابتكارات والاكتشافات العلمية، والتقدم في وسائل الاتصال والنقل كلها ذات أثر في إحداث تغييرات تنعكس على الأساليب الفكرية للناس وعلاقاتهم الاجتماعية وتغير السلوك البشري². إذ أن التغيرات المادية تصاحبها تغييرات اجتماعية كبيرة باعتبار عناصر الثقافة نوعان عناصر مادية وغير مادية، فالتغير في العناصر المادية يتبعه تغير في شكل الحياة الاجتماعية وظهور طبقات جديدة وخدمات قد تؤدي إلى تغير كثير من القيم والعلاقات والمبادئ السائدة.

- العامل الثقافي:

تعتبر سهولة التواصل بين المجتمعات وتبادل الثقافات من العوامل التي تؤثر على سرعة التغيير الاجتماعي لأثرها الواضح في نقل الأفكار وتبادلها واحتكاك الثقافات، يترتب عليها تغير في أساليب الحياة وبناء اتجاهات جديدة وأهداف مستحدثة وتنمية لبعض العادات أو التخلي عنها، وتغير تدريجي في طريقة التفكير مما لا يمكن أن يغفل أثره وخاصة في المجتمعات الحديثة التي تتميز بالتقدم السريع في وسائل الاتصال³.

- العامل الاقتصادي

يتمثل في جميع النواحي المادية التي تحيط بالمجتمع، فالبناء الاقتصادي للمجتمع هو بمثابة المحدد للتطورات و الأحداث التاريخية من جهة، وعن توجيه عمليات التغيير الاجتماعي في المجتمع والدور الذي يقوم به في التنظيم السياسي والقانوني والأخلاقي والفلسفي في المجتمع من جهة أخرى⁴.

- العامل الإيديولوجي

يشمل التغيرات التي تحدث في إيديولوجية الجماعة معتقداتها مذهبها الفكري فلسفتها و أخلاقياتها وقيمها، فتبني أي جديد في هذه الجوانب يتحدى واقع الجماعة، وكل تفسير في الأصول الفكرية والمذهبية يؤدي إلى تغيير بعيد الأثر في النظم والأوضاع، والإيديولوجية في حد ذاتها لا تخلق الحركات الاجتماعية ولكنها تؤدي وظيفة الإثارة وتساندها وتبعث الفوضى في النظام القائم، لتخلخل البقاء الاجتماعي وتجعل الأفراد غير واثقين وغير قابلين للأحداث التي تجري حولهم فيعملون على تغييرها⁵.

١ - عبد علي سلمان، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٥، ص ١٢٣.

٢ - أمينة علي كاظم، التغيير الاجتماعي والثقافي في المجتمع القطري، هجر للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٣، ص ٨٢.

٣ - سناء الخولي، التغيير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣، ص ٦٧.

٤ - محسن عبد الحميد، التغيير الاجتماعي والإسلام، مطبعة النعمان، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٣.

٥ - سناء الخولي، التغيير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣، ص ٨٥.

- العامل البيولوجي :

يضم الاستعدادات التي تعين المرء على الحياة ويعمل تحت تأثير الظروف البيئية والاجتماعية والثقافية سواء أكانت عادات أم معتقدات، لغة أو أسلوب عمل، وهذا ما أشار إليه العالم الفرنسي "آرثر جوبيتو" على عدم تكافؤ الأجناس وهذا ما يفسر اختلاف في خصائص الأجيال المتتالية¹.

ويعتبر سن النضج البيولوجي من العوامل المؤثرة في تغير الأسرة، حيث نجد أن عددا كبيرا من المجتمعات يكون فيه سن الزواج للأنثى هو سن البلوغ البيولوجي وأي تأثيرات تطراً على هذا النضج يؤثر في سن الزواج، ومن الأشياء التي تؤثر على هذا النضج التحكم في الأمراض منذ الطفولة².

- العامل السياسي :

يلعب العامل السياسي دورا هاما في التغير الاجتماعي نظرا لارتباطه بالسلطة السياسية العليا وما يصاحبها من تأثير، وذلك عن طريق التخطيط المباشر لأحداث التغير المطلوب، ويتعلق الأمر كذلك بما تملكه السلطة السياسية للدولة من موارد مادية وبشرية، وما تملكه من معلومات تؤهلها في التحكم والسيطرة على عملية التغير وتوجيهها.

ثالثا : مؤثرات التغير الاجتماعي وعلاقتها بالتحول الأسري :

١- أثر العوامل الاقتصادية على تركيبة الأسرة الجزائرية :

* لعبت العوامل الاقتصادية والثقافية والسياسية دورا واضحا في تغيير النسق والبناء العائلي في الجزائر وخاصة بعد الاستقلال، فالعائلة الجزائرية هي في حالة تحول مستمر من عائلة ممتدة إلى عائلة نووية، وهذا نتيجة لما فرضته الظروف المادية والتكنولوجية المعقدة التي لا تتلائم مع طبيعة الأسرة النووية.

كما شهد النمو الحضري في المجتمع الجزائري مقارنة مع أيام الاستعمار نسب عالية، ففي سنة ١٨٨٨ قدرت بـ ٨% وفي سنة ١٩١٩ بـ ١٩%، سنة ١٩٣١ بـ ١٣%، سنة ١٩٥٥ بـ ٢١%، سنة ١٩٧٤ بـ ٤١%، سنة ٢٠٠٠ بـ ٦٠%، وهذا راجع إلى سياسة التوازن الجهوية التي تبنتها القيادة الجزائرية^{١٩٦٦}، وفسر هذه الظاهرة (سرعة التحضر)، إلى الظروف المعيشية المتوفرة في الوسط الحضري من مرافق الثقافية والتعليمية والمراكز الاستشفائية والاقتصادية وقطاع الخدمات الاجتماعية وغيرها.

* إن التغير الذي حدث في العائلة الجزائري من الممتدة إلى النووية يعود إلى استقلالية الزوجين عن أفراد العائلة الممتدة من أباء و أجداد وأعمام، وانطلاقا من البحوث السوسولوجية ترتفع العائلة النووية كلما زاد ضغط السكن كما تزيد هذه النسب في المناطق الحضرية مقارنة بالمناطق الريفية، ومن خلال الدراسة التي تناولها "مصطفى بوتفنوشت" حول الأسرة الجزائرية في تطورها وخصائصها والتي شملت حوالي ١٢ أسرة داخل ثلاثة مدن جزائرية كبرى، أن البنية الأسرية المركبة في طريقها إلى الاختفاء من جيل لأخر بنسبة ١%، في حين أن نسبة العائلة البسيطة تنمو بنفس

١ - صبحي محمد قنوص، علم دراسة المجتمع، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع مصراته. الطبعة الثانية، ١٩٩٣، ص ١٤٣/١٤٥.

٢ - محمد عاطف غيث "المشاكل الاجتماعية و السلوك الانحرافي"، دار النشر الإسكندرية، ١٩٦٥، ص ١٤.

الوتيرة¹ ، والجزائر كغيرها من دول العالم النامية عرفت خلال السبعينيات تنمية اقتصادية و اجتماعية، من خلال إتباعها لسياسة التصنيع، مما أدى بالكثير من السكان بالتوجه إلى المصانع وترك النشاط الزراعي الذي قدرت نسبة العاملين فيه سنة ١٩٦٦ بـ ٦١% ثم انخفضت إلى ٥٠% سنة ١٩٧٤.

* إن التحول من النشاط الزراعي إلى النشاط الصناعي أدى بالعديد من السكان المهجرة من الريف إلى المدن مما نتج عنه اكتظاظ سكاني في المدن الكبرى، حيث بلغت نسبة التمدن ٥٠% حسب تعداد ١٩٨٧، ليزداد هذا الارتفاع إلى ٦٠% حسب تعداد ١٩٩٥، كما أدت التنمية الاقتصادية و الاجتماعية في الجزائر إلى تحسن المستوى المعيشي وكذا نسبة التعليم وتراجع معدلات الأمية، وتحسين المستوى الصحي والمراكز الصحية، ما نتج عنه انخفاض وتراجع ملحوظ في معدل الوفيات وبالتحديد الأطفال الرضع، حيث قدر المؤشر التركيبي للخصوبة حسب معطيات الدراسة الوطنية للسكان عام ١٩٧٣ بـ ٨.٣ طفل لكل امرأة، ليصل حسب معطيات المسح الوطني الجزائري الخاص بالخصوبة سنة ١٩٩٦ إلى ٤.٤ طفل لكل امرأة وإلى ٢.٣ طفل لكل امرأة حسب معطيات الأمم المتحدة لسنة ٢٠٠٠.

* عرفت الأسرة الجزائرية تغيرات ملموسة في بنائها وحجمها ووظيفتها ، وهذا ما نلمسه من خلال معالجة التغير الذي عرفتته الأسرة الجزائرية خلال النصف الثاني من القرن العشرين والعقد الأول من القرن الحالي، نتيجة للتغيرات الاقتصادية التي عرفتها البلاد، ومن أهم هذه العوامل سياسة التصنيع، التعديل الهيكلي، الشغل والبطالة، التمدن، السكن ورفاهية المسكن.

- عامل التصنيع و تحديث: الذي كان العامل المحفز لهجرة الكثير من السكان الريفيين إلى المدن التي تحتوي على مختلف متطلبات الحياة العصرية.

- عامل التمدن السريع: له الأثر الواسع في تغيير سلوك الأسرة الإنجابي والاستهلاكي والسكني من جهة، و الأثر على العلاقات الأسرية والأدوار الموجهة لكل فرد منها.

- أزمة السكن و البطالة: دور أساسي في تأخر سن الزواج لكلا الجنسين، أدى إلى تراجع المستوى العام للخصوبة، وارتفاع نسبة العنوسة.

٢/ عمل المرأة وتغير وضعيتها داخل الأسرة الجزائرية :

لقد عرفت المرأة الجزائرية تغيرات واضحة نتيجة تغير الظروف السوسيوقتصادية، سياسية ونفسية بالإضافة إلى حركة التمدن والتصنيع اللذان شهدتهما الجزائر، كلها عوامل متداخلة ساهمت بخروج المرأة لسوق العمل وحصولها على نفس الحقوق والواجبات والفرص المهنية، مما أدى إلى بروز وضعية جديدة للمرأة داخل العائلة و المجتمع، وكذا بفضل استكمال المرأة لدراساتها إلى مراحل متقدمة أصبح بإمكانها منافسة الرجل وتواجدها في مختلف القطاعات الاقتصادية التي يسيطر عليها العنصر الذكري (الجدول رقم ٨٧).

ويمكن الاستدلال على بعض التغيرات التي حدثت في بنية العائلة التقليدية وأثرت على مكانة المرأة من خلال:

^١ - مصطفى بوتفروش، العائلة الجزائرية" التطور والخصائص الحديثة، ترجمة دمري أحمد، سلسلة المجتمع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر ١٩٨٤
صفحة ٢٢٩.

- استقلالية المنزل والعيش في شقة بعيدا عن أهل الزوج، وبذلك ابتعدت المرأة عن قوة وسلطة العادات والتقاليد وتراجع بعض القيم الأسرية.
- انفجار إطار الحياة المنزلية وتحوله إلى إطار حياة خارجية عن البيت بواسطة العمل المأجور (عمل المرأة) وتغير دور المرأة ووظيفتها عما كانت عليه في الأسرة التقليدية.
- اتساع شبكة الاختيار الزوجي للشريكين وخرجها عن الإطار العائلي وتراجع زواج القرابة (الداخلي)، مما سمح بتوفير توازن عاطفي أحسن بين الزوجين يسمح إلى علاقة تتميز بتساوي أكبر¹.

الجدول (٧): توزيع النشاط للنساء حسب الفئات العمرية:

الفئات العمرية	١٩٦٦	١٩٧٧	١٩٨٧	٢٠٠٠	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠١١
١٩-١٥	٥.٨	٤.٢	٤	٤.٩	٥.٤	٢.٦	٢.٦	٢.٥	١.٧
٢٤-٢٠	٤	٧.٢	١٣.١	١٣.١	١٥.٧	١١.٧	١٤.٢	١٥.٥	١٦.٨
٢٩-٢٥	٣	٦	١٣.١	١٥.٦	٢٣.١	٢٢.٣	٢٥.١	٢٦.٥	٢٧.٤
٣٤-٣٠	٢.٧	٤.٤	٩	١٠.١	٢١	١٩.٣	٢٠.٣	٢١	٢١.٨
٣٩-٣٥	٢.٨	٣.٨	٨	٩.٤	٢١.٨	١٨.٨	١٩	١٩.٤	١٨.٨
٤٥-٤٠	٣.٢	٥.٥	٦.٨	٨.١	٢٠.٧	١٧.٣	١٩.١	١٧.٤	١٧.٦
٤٩-٤٥	٣.٣	٦.٢	٦.٩	٧.٣	١٨.٢	١٣.٣	١٦	١٦.٤	١٣.٧
٥٤-٥٠	٣.٦	٤.٤	٥.٧	٥.٥	١٢.٤	١٠.٦	١٢.٢	١٢.١	١٢
٥٩-٥٥	٣.٥	٤.٢	٥.٢	٤.٩	٩.٧	٧.٥	٨.١	٢.١	٧.٦
٦٠ سنة وأكثر	١.٣	١.٧	١.٦	١.٥	٣	١.٩	٢.١	٢	١.٧

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء، تعداد ١٩٨٧، ١٩٩٧، ٢٠٠٠، ٢٠٠٤، ٢٠٠٩، ٢٠١٠، ٢٠١١.

^١ - يونس حمادي علي، ٢٠١٠، مبادئ علم الديموغرافيا لدراسة السكان، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن. الطبعة الأولى، ص ٣٤٥.

الجدول (٨): توزيع المجتمع النشط حسب الفئات العمرية:

الفئات العمرية	المجتمع النشط	المجتمع النشط "رجال"	المجتمع النشط "نساء"
أقل من ٢٠ سنة	١٣	٢٣.٣	٢.٥
٢٠-٢٤	٤٣.٣	٦٨.٩	١٥.٥
٢٥-٢٩	٥٨.٤	٨٨.٥	٢٦.٥
٣٠-٣٤	٥٦.٣	٩٣.٨	١٩.٤
٣٥-٣٩	٥٥.٣	٩٤.١	١٧.٤
٤٠-٤٤	٥٤.٤	٩٤.٣	١٦.٤
٤٥-٤٩	٥٥.٩	٩٥.٢	١٢.١
٥٠-٥٤	٤٨.٩	٨٤.٢	٦.٧
٥٥-٥٩	٤٠.٢	٦٨.٧	٢.٠
٦٠ سنة فأكثر	٩.٤	١٧.٥	١٤.٢

المصدر: O.N.S. لسنة ٢٠١١

٣/ مكانة المرأة وعلاقتها التحول الأسري و الديموغرافي:

إن المكانة التي أصبحت عليها المرأة ولو ظاهريا سمحت بوجود علاقة ما بين هذه المكانة وما يعرفه المجتمع من تحولات ديموغرافية هامة ، والتي لا يمكن عزلها عما تعرفه الأسرة من تحولات، كما أن هذه المكانة تسمح بتحديد مدى أهمية و سرعة وحركية التحول الديموغرافي المتماشى مع التغير الاجتماعي والاقتصادي، فبعدما كان بناء واستقرار الأسرة يقاس بمدى نجاح المرأة في تقلد أدوارها الطبيعية في الأسرة - زوجة و أما و عضوا فعالا-، أصبح هذا البناء والاستقرار محدد بالمكانة الاجتماعية التي وصلت إليها أولا في المجتمع و التي عملت بشكل واضح على إعادة النظر في الهيكل البنائي و الوظيفي للأسرة .

و يمكن أن تكون مكانة المرأة سببا و نتيجة في نفس الوقت للتطورات الأسرية، حيث يمكن أن نلاحظ من جهة تأثيرات تحولات مختلف الأدوار الأنثوية على ديناميكيات الأسرة، ومن جهة أخرى تغير دور ومكانة المرأة كنتيجة لدينامكية الأسر.

و يتجلى تأثير مكانة المرأة على الأسرة في بعض السلوكيات الديموغرافية أبرزها الزواج، الإنجاب، عدد الأطفال ، المباشرة بين الولادات واستعمال موانع الحمل وهي قرارات هامة تتحكم في تحديد حجم الأسرة و نوعها وذلك من خلال توجيه السلوك الإنجابي، إذ أظهرت عدة دراسات وجود علاقة بين مختلف أبعاد مكانة المرأة واستخدام وسائل تحديد النسل في مختلف المجتمعات(الجدول رقم ٩).

جدول (٩): تطور استعمال وسائل منع الحمل (%) من ١٩٨٦ إلى ٢٠٠٦ حسب وسيلة الاستعمال:

نوع الوسيلة	١٩٨٦	١٩٩٢	٢٠٠٢	٢٠٠٦
حبوب	٢٦.٤	٣٨.٧	٤٥.٥	٤٥.٩
اللولب	٢.١	٢.٤	٣.٠	٢.٣
الواقي	٠.٥	٠.٧	١.٢	٢.٣
الحقن	٠.٦	٠.١	١.٨	١.٤
وسائل أخرى	٢.١	١.٣	١.١	١.٤
مجموع الوسائل الحديثة	٣١.١	٤٣.١	٥٠.٨	٥٢
العزل	٣.١	١.٧	١.٧	٣.٣
الرضاعة	-	٤.١	٠.٩	١.٩
(الامتناع الدوري) فترة الأمان	١	١.٦	٢.٢	٤.١
مجموع الوسائل التقليدية	٤.٤	٧.٧	٥.٤	٩.٤
المجموع	٣٥.٥	٥٠.٨	٥٦.٢	٦١.٤

خاتمة:

من خلال مختلف المعطيات النظرية والبيانات الإحصائية التي تم تقديمها، يمكن القول أن المجتمع لا يبقى في حالة استقرار أو ثبات ولكنه في حالة دائمة من الحركة والتطور المستمر، ولذا فإن عملية التغيير الاجتماعي عملية دائمة ومستمرة وتعتبر ظاهرة طبيعية تحدث في كافة المجتمعات، وتغيير يمس طبيعة و أدوار وتركيب المجتمعات ونظامها، وكذلك العلاقات بين الأفراد و وظائفهم، وباعتبار الأسرة هي الخلية الأولى والأساسية في المجتمع، فإن أي تأثير أو تأثير حاصل ينعكس بصفة مباشرة على البنية و التركيبة السوسيوديموغرافية للمجتمع .

قائمة المراجع:

- ١- أحمد بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧.
- ٢- أمينة علي كاظم، التغيير الاجتماعي والثقافي في المجتمع القطري، هجر للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٣.
- ٣- الخصوبة، دوت كوم ، مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر، ديوان المطبوعات الجزائرية، ١٩٨٤.
- ٤- سناء الخولي، التغيير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣.
- ٥- صبحي محمد قنوص، علم دراسة المجتمع، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع مصراته، الطبعة الثانية، ١٩٩٣.
- ٦- عبد العاطي وآخرون، الأسرة والمجتمع، دار المعرفة الجامعية مصر، ٢٠٠٢.
- ٧- عبد علي سلمان، الأنتروبولوجيا الاجتماعية، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٥.
- ٨- عوفي مصطفى، خروج المرأة إلى ميدان العمل وأثره على التمسك الأسري، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، العدد ١٩ جوان ٢٠٠٣.
- ٩- محسن عبد الحميد، التغيير الاجتماعي والإسلام، مطبعة النعمان، بغداد، ١٩٨٦.
- ١٠- محمد الدقس، التغيير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨٧.
- ١١- محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر، ديوان المطبوعات الجزائرية، ١٩٨٤.
- ١٢- محمد عاطف غيث، المشاكل الاجتماعية والسلوك الإنحرافي، دار النشر الإسكندرية، ١٩٦٥.
- ١٣- محمد عودة، أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي، تقديم السيد محمد خيري، دار النهضة العربية، بيروت.
- ١٤- مصطفى بوتفونوش، العائلة الجزائرية " التطور والخصائص الحديثة، ترجمة دمري أحمد، سلسلة المجتمع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٤.
- ١٥- يونس حمادي علي، مبادئ علم الديموغرافيا لدراسة السكان، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.

أغاني الربيع والتغير الاجتماعي في الشرق الجزائري: قراءة في المضامين التربوية

د. شهيرة بوخونوف/جامعة عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة، الجزائر

ملخص:

حاولنا في هذه الدراسة الميدانية التي قمنا بها في بعض مناطق الشرق الجزائري بمنطقة سطيف، ومنطقة برج بوعريبرج دراسة أغاني الربيع التي يرددها الأطفال أثناء الخروج لاستقبال الربيع في شهر مارس... فتحدثنا عن الأغاني الميدانية الشفوية التي جمعناها في مجتمع الدراسة أثناء المعيشة الحية لطقوس استقبال الربيع، ثم تحدثنا عن الأغاني والأنشيد المدونة في الكتب المدرسية التي لها علاقة بالربيع... وملاحظة التغيرات التي طرأت على تلك الأغاني السنوية، مع استقراء بعدها التربوي...

الكلمات المفتاحية: أغاني الربيع، التغير الاجتماعي، المضامين التربوية.

تمهيد:

تعد الأغاني الشعبية من أشكال التعبير في الأدب الشعبي، معروفة في أغلب بقاع العالم، تعبر عن الشعور، وتصور الأحداث المختلفة، صاغتها الذاكرة الجماعية لتعبر عن ذاتها ووجودها في هذا الكون الفسيح، إنها مرآة تصور مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية قصد كشف نمط وواقع المجتمع وتشكيله الاجتماعية والثقافية... إنها تسلي وتمتع وتثري الفكر وتنبئ الخيال... لكن الشيء الملفت للانتباه في الآونة الأخيرة تقلصها نتيجة التغير الاجتماعي والتطور التكنولوجي الذي شهده المجتمع، فعوضت بأغاني أخرى مبنوثة في مختلف وسائل الإعلام الحديثة... من هنا نتساءل: هل لا تزال أغاني الربيع موجودة في المجتمع، وهل هي مبرمجة في الكتب المدرسية الجزائرية أم لا؟ وهل تعرضت للتغيير؟ وما دورها التربوي التعليمي...؟

نود أولاً قبل الحديث عن أغاني الربيع الشفوية والمدونة في الكتب المدرسية والتغير الذي طرأ عليها ودورها التربوي الأخلاقي، الوقوف ولو قليلاً عند بعض المصطلحات على اعتبار أن "مفاتيح العلوم مصطلحاتها".

١- تحديد المصطلحات

أ- الأغاني: لغة واصطلاحاً:

أخذت كلمة الغناء من مادة غنا «والغناء من الصوت: ما طرب به... وقد غنى بالشعر وتغنى به... ويقال غنى فلان يُغنى أغنية وتغنى بأغنية حسنة، وجمعها الأغاني... وغنى بالرجل وتغنى به: مدحه أو هجاه... وعندني أن الغزل والمدح والهجاء

إنما يقال في كل واحد منها غَنَيْتْ وَتَغَنَيْتْ بعد أن يُلْحَنَ فَيُغَنَى به»^١ فمصطلح الغناء إذن يطلق على الشيء الذي يلحن ويغنى. ويرى عبد الحميد يونس أن «خير تحديد للأغنية الشعبية هو أنها الأغاني المُردّدة والتي تستوعبها حافظة جماعة تصدر في تحقيق وجودها عن وجدان شعبي... من سمات الأغنية الشعبية أيضا أن كل فرد في الجماعة التي تتذوّقها يُسهم في حفظها ونشرها، وكثيرا ما يشترك في أدائها، ويكاد يكون أهل القرية جميعا على علم بأغانيهم الشعبية... إنهم يميّزونها ويحفظونها ويردّدونها فرادى وجماعات»^٢ فهي إذن تتميز بكونها نابعة من وجدان الجماعة.

وقد قسمت نبيلة إبراهيم الأغنية الشعبيّة إلى ثلاثة أنواع^٣:

١ - أغاني المناسبات الاجتماعية؛

٢ - أغاني العمل؛

٣ - الموالم.

وما يهمنا نحن منها في هذا المقام، هو أغاني المناسبات الاجتماعية التي يُغنى بها في مناسبات معيّنة وهي التي يسميها عبد الحميد يونس أغاني التقويم، يقول «هناك أغاني شعبيّة يمكن أن يطلق عليها اسم أغاني التقويم، لأنّها ترتبط بمناسبات لها تواريخ معيّنة في التقويم. ويغلب على هذه الأغاني الصّفة الدينية في معظم أنحاء العالم، كالأغاني الخاصة بشهر رمضان وبالحج وبالمولد النبوي، وغيرها من المناسبات الدينية في العالم الإسلامي، وكالأغاني الخاصة بعيد الميلاد ورأس السنة وعيد الفصح عند المسيحيين...»^٤ وكأغاني الرّبيع التي هي أغاني تقويمية سنوية، تردّد أثناء احتفالات الرّبيع في بعض مناطق شرق الجزائر...

ب- التغيّر الاجتماعيّ: لغة واصطلاحا:

جاء في لسان العرب أن «تغيّر الشيء عن حاله: تحوّل. وغيّره: حوّله وبّدله كأنه جعله غير ما كان... والغيّر: الاسم من التغيّر... وغيّر عليه الأمر: حوّله. وتغيّرت الأشياء: اختلفت... وغير الدهر: أحواله المتغيّرة... والغيّر: الاسم من قولك غيّرت الشيء فتغيّر»^٥.

وورد في موسوعة لالاند أنه^٦:

أ- عمل يتبدل بواسطته شيء دائم، أو يبدل في واحدة أو في كثير من سماته؛

ب- تحول شيء إلى آخر، أو إبدال شيء من شيء آخر. فالتغيّر إذن يعني التحوّل والتبدل من حالة إلى أخرى.

^١ - أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، د. ط، مج: ١٥، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ١٣٩ - ١٤٠.

^٢ - عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور مع مسرد إنجليزي - عربي، كتب عربية، د. ت، ص ٧٣ - ٧٤.

^٣ - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط ٣، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د. ت، ص ١٣٧.

^٤ - عبد الحميد يونس: م. س، ص ٧٦.

^٥ - أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، د. ط، مج: ٥٥، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ٤٠.

^٦ - أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، ط ٢، مج ١ (A - G)، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ٢٠٠١، ص ١٦٧.

ويشير التغيير الاجتماعيّ إلى التحوّلات التي تطرأ على بناء المجتمع، فيحدث تغييراً في الوظائف والأدوار والقيّم والمعتقدات («يعني التغيير الاجتماعي») بعامّة، التبدلات الهامة في العلاقات، والنظم والقيّم والمعايير، والعادات الاجتماعية الثابتة نسبياً، والتي تكون البناء الاجتماعي نتيجة عوامل حضارية، واقتصادية وسياسية، يتفاعل بعضها مع بعض^٢ فهو يمسّ مختلف النظم والعادات والقيّم وهلمّ جرّاً.

وهناك من أطلق على مصطلح "التغيير" مصطلح "ديناميات التغيير"، وديناميات «مفردها دينامي Dynamie تعني المتحرك أو غير الثابت، بل وتعني أيضاً المتفاعل وبذلك تكون أقرب إلى الواقع الفعلي لعناصر المأثورات الشعبية الأدبية في مرونتها وحيويتها وتفاعلها مع الظروف المحيطة بإنتاجها وتداولها واستمراريتها»^٣ فمصطلح ديناميات التغيير يعني إذن المتحرك والمتفاعل.

جاء في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون أن هناك نوعين من التغيير «أحدهما التغيير الدفعي وهو أن يتغير الشيء في ذاته حقيقة... وثانيهما التغيير التدريجي وهو أن يتغيّر في كلفيته مع بقاء صورته النوعية»^٤ فإذا «تغير الشيء في ذاته دفعة واحدة كان تغيره دفعياً، وإذا تغير في الكم، أو في الكيف، أو في الآين، شيئاً فشيئاً، كان تغيره تدريجياً»^٥ فالتغيير إذن نوعان، تغير فجائيّ دفعيّ وتغيير تدريجيّ بطيء.

وتعدّ «الاختراعات من أهم عوامل التغيير، فالمجتمعات الإنسانية تتغير إذا ظهرت اكتشافات أو حدثت مخترعات، ويعتبر العامل التقني أحد العوامل التي تستحث التغيير في الجانب المادي من ثقافة المجتمع إذ بتغيير المخترعات والآلات ونمط استعمالها تتغير مظاهر المجتمع من عادات وتقاليده»^٦ يتبين لنا من خلال هذا القول، إنّ الاكتشافات العلمية والاختراعات الحديثة تؤثر كثيراً في ثقافة المجتمع، إذ كلّما تغيّرت وسائل الحياة التكنولوجية إلا وتغيّر معها المجتمع من جميع الجوانب إلى غير ذلك.

ج- الربيع: لغة واصطلاحاً:

جاء في لسان العرب أن الربيع مأخوذ من مادة ربيع «الرُبْع والرُبْع والرَّبِيعُ: جزء من أربعة يطرّد ذلك في هذه الكسور عند بعضهم، والجمع أرباعٌ ورُبُوعٌ... ورَبَعَ بالمكان يربَعُ رَبْعًا: اطمأنَّ. والرَّبْعُ: المنزل والدار بعينها، والوطن متى كان وبأيّ مكان كان، وهو مشتق من ذلك، وجمعه أربَعٌ ورباعٌ ورُبُوعٌ وأرباعٌ... والرَّبِيعُ جزء من أجزاء السنة»^٧ ويعني هذا أن الربيع جزء وفصل من فصول الدورة السنويّة.

^٢ - شاعر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا، إنجليزي-عربي، ط ١، جامعة الكويت، ١٩٨١، ص ٨٩٤.

^٣ - إبراهيم عبد الحافظ: الفنون الأدبية الشعبية - دراسات في ديناميات التغيير - ط ١، مطبعة العمرانية للأوفست، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤، ص ٤١.

^٤ - محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناتي، د. ط، ج ١، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦، ص ٤٨٩.

^٥ - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة واللاتينية، ط ١، ج ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٤، ص ٣١١.

^٦ - سيف الإسلام علي مطر: التغيير الاجتماعي - دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية - ط ٢، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٨٨، ص ١٦.

^٧ - أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، د. ط، مج: ٨، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ١٠١ - ١٠٢.

ويعد فصل الربيع «مرحلة انتقالية بطريقة سحرية بين الشتاء والصيف بين دورة الرطب ودورة الجفاف للحياة الحقلية والحياة البشرية. إنه من أكثر المواسم إحاطة بالشعائر الطقسية»^٢. ففصل الربيع يقع بعد فصل الشتاء البارد وقبل فصل الصيف الحار، أي في وسطهما وهذا ما جعله من الفصول المعتدلة، وهو من أكثر الفصول الذي تقام فيه مختلف الطقوس بما في ذلك طقوس استقباله في شهر مارس.

انتقينا لدراسة أغاني الربيع الميدانية ولايتين من الشرق الجزائري، ولاية "سطيف"، و"ولاية برج بوعريج":

- ولاية "سطيف": وتسمى الهضاب العليا، تقع شرق العاصمة، يحدها من الشرق ولاية ميلة، ومن الغرب ولاية برج بوعريج، ومن الشمال ولايتي بجاية وجيجل، ومن الجنوب ولايتي مسيلة وباتنة.

- ولاية "برج بوعريج": ويطلق عليها اسم عاصمة البيان، تقع بالهضاب العليا الشرقية، يحدها شمالا ولاية بجاية، وجنوبا ولاية المسيلة، وشرقا ولاية سطيف، وغربا ولاية البويرة.

٢- أغاني الربيع الشفوية الميدانية

تحتفل بعض مناطق الشرق الجزائري كمنطقة "سطيف" و"برج بوعريج"... بعودة الربيع سنويا، يستعدون له بأيام عديدة قبل حلوله، إذ تبدأ الأمهات في عملية التنظيف، ينظفون المنزل ويستحمن مع أولادهم ويغسلن الملابس... أما الآباء فيحضرون نبتة الحلفاء من البراري لصنع قفف الربيع لأولادهم، وهناك من يشتري أثناء اقتراب موعد الاحتفال مختلف أنواع القفف البلاستيكية المنتشرة في الأسواق، كما يشترون مختلف المستلزمات التي سيحتاجونها لممارسة ذلك الطقس الربيعي كالبيض والتمر المنزوع النوى والسميد الجيد النوعية والزيت والزبدة واللحم والكسكس ومختلف أنواع الفواكه كالبرتقال والتفاح والتين المجفف... وبعض المكسرات كاللوز والجوز... ومختلف أنواع الحلويات العصرية.

تبدأ الأمهات في صنع مختلف أنواع الحلويات التقليدية كالمبرجة المصنوعة من التمر المنزوع النوى، كما يقمن بصنع فطيرة الربيع الشهية، ومختلف أنواع الحلويات العصرية... وبحلول يوم أول مارس يخرجون جميعا إلى المروج والمساحات الخضراء إن كان الجو هادئا، أما إن كان ممطرا فينتظرون تحسنه، وقد يؤجلونه إلى غاية الأسبوع الثاني من شهر مارس أو الأسبوع الثالث أملا منهم بأن تتحسن حالة الجو جيدا.

يخرجون جميعا دون استثناء لاستقبال الربيع، فتجلس الجدات والأمهات على أديم الأرض المزركش وهن يتحدثن عن بعض جوانب الحياة... أما الأطفال فتجدهم يجرون ويصرخون ويلعبون مختلف أنواع الألعاب الشعبية، وهم يرددون أغاني الربيع الفولكلورية التي حفظوها من جداتهم:

✓ أَرْبِيعُ أَرْبَعَانِي	الترجمة	أَيْهَا الرِّبِيعِ البِهِي
كُلَّ عَامٍ تَلْقَانِي		كَلَّ عَامٍ تَلْقَانِي
أَنَا وَمَا وَخِيَانِي		أَنَا وَأَمِي وَإِخْوَتِي
فِي الْجُبُلِ تَحْتَانِي		تَحْتِ الْجِبَالِ
✓ أَرْبِيعُ أَرْبَعَانِي	الترجمة	أَيْهَا الرِّبِيعِ البِهِي

^٢ -Jean Servier: Tradition et Civilisation Berbères, les portes de l'année, Édition du Rocher, Monaco, 1985, P237.

كُلّ عام تلقاني	كُلّ عام تلقاني
في دكان وطني	في الحانوت لوطني
أنا وأمي وأبي وإخوتي	أنا وما وبو وخياني
الترجمة أيها البهي	✓ أربيع أربعاني
كُلّ عام تلقاني	كُلّ عام تلقاني
في حشائش وطني	في الحشيش لوطني
أرعى غنمي	سأخ بلخرفاني
الترجمة أيها الربيع البهي	✓ أربيع أربعاني
كُلّ عام تلقاني	كُلّ عام تلقاني
في قبور وطني	في قبز لوطني

يردّدون هذه الأغاني الشعبيّة وغيرها فرادى وجماعات، وهم يركضون ويلعبون ويقطفون الأزهار المختلفة الألوان والأشكال... إنّه جو مشحون بالفرحة والبهجة بعودة الربيع من جديد¹.

من يتأمل في تلك الأغاني التي يردّها الصبايا أثناء استقبال الربيع، يرى أنها تحمل مضامين تربوية أخلاقية كثيرة، فهي أولاً وقبل كلّ شيء تجعلهم يحافظون على تراث أجدادهم الغني بمختلف أنواع القيم الاجتماعيّة والأخلاقيّة الأصيلة. كما أنّها تعلمهم معنى التماسك الأسري، ففي كلّ ربيع يخرجون جميعاً ("أنا وما وبو وخياني" أي "أنا وأمي وأبي وإخوتي") ويجتمعون في مكان أخضر ولاسيّما في عصرنا هذا أين عرفت بعض الأسر الجزائرية تفككا أسرياً، والذي هو في طريق الانتشار إذا لم تتوفر الإرشادات والنصائح الضرورية للحفاظ على ذلك التآلف والتماسك. إنّه مقطع غنائي يحث على ضرورة التماسك، ولاسيّما وأن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسدت المجتمع وفسدت معه الدولة، أي أنها تهذب أخلاقهم وتقوّم سلوكهم... فأغاني الربيع إذن تحاول الحفاظ على ذلك التماسك والتلاحم الضروري في الأسر الجزائرية، أي على سيادة الأمان والطمأنينة والسعادة داخل البيوت ضمناً لحياة هادئة مستقرة.

وليس هذا وحسب، بل تعلمهم معنى حب الوطن ("في الحانوت لوطني" أي "في دكان وطني"، "في الحشيش لوطني" أي "في حشائش وطني"، "في قبز لوطني" أي "في قبور وطني")، ففي كلّ ربيع يجتمعون في أرض وطنهم الحبيبة، لا في أرض أجنبية، مما يدل على أنه غناء شعبيّ يحثهم على ضرورة البقاء داخل الوطن الأم، ومن ثم الهسي وراء استقراره ورقيه، أي أنها تعلمهم هويتهم ومقوماتهم الوطنية. كما تنبههم إلى زيارة المقابر التي تذكرهم بالموت المحتوم الذي لا مفر منه، فيكثرون

¹ - استقيننا هذه المعلومات أثناء المعيشة الميدانية الحيّة لطقوس استقبال الربيع في مختلف مناطق سطيف في شهر مارس سنة ٢٠١٣م، وفي مختلف مناطق برج بوعريّيج شهر م ارس سنة ٢٠١٤م. ولمزيد من المعلومات : ينظر: شهيرة بوخنوف: تمثّلات الربيع محلياً وعلمياً - مقارنة أنثروبولوجية - إشراف: زهية طراحة، أطروحة دكتوراه، جامعة مولود معمري - تيزي وزو، نوقشت سنة ٢٠١٦م، ص ١٢٠ - ١٣٤ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣٢.

من أعمال الخيرات ويأمرون بالمعروف، ويتبتعدون عن كلّ أنواع المنكرات والردائل التي تفسد المجتمع وتبعده عن مختلف القيم الأخلاقية والاجتماعية.

وتحت بعض الأغاني على ضرورة الاهتمام بتربية الماشية ("سَارْحُ بَلْخَرْفَانِي" أي "أرعى غنمي") ولاسيما في هذا العصر التكنولوجي، أين ابتعد معظمهم عن الاهتمام بها وتربيتها، نتيجة ذلك اهتمت أغاني الرّبيع بتلك المهنة القديمة عسى أن يستمر ويحافظ الأبناء عليها لفائدتها العظيمة داخل الأسرة والمجتمع والدولة وهلمّ جزاً.

تعلم الأغاني الشعبيّة للأطفال لغة مجتمعيهم فيستطيعون التواصل مع أعضائه ومن ثم الاندماج معهم «بذلك يكتسب الأطفال الجانب الأكبر من لغتهم من هذا الوسط ولاسيما اللغة العامية المتوارثة من مئات السنين، كونهم يمرون بمئات بل بالآلاف المواقف التعليمية في العديد من مناسبات الغناء والأناشيد على مدار السنة، وهكذا يعمل المخزون اللغوي المتضمن في أغاني وأهازيج وأناشيد الأطفال الشعبيّة في وضع الأساس الأول لإنماء لغة الأطفال التي يعبر بها ويتواصل من خلالها مع من حوله، بكل ما تحمله من معاني ودلالات شعبية...»¹ فالأغاني الشعبيّة إذن تعلمهم لغة مجتمعيهم التي هي ضرورية للتواصل...

تحتوي الأغاني الشعبيّة على معين لا ينضب من القيم العليا التي يعتز بها المجتمع، إن «الأغاني التراثية الشعبيّة التي غنّتها الأمّهات للأطفال باللهجة العامية كانت تؤدي أهدافا معيّنة منها: الاستمتاع والهدوء النفسي، واتباع السلوك الحسن في حياته...»² فالأغاني الشعبيّة تلعب دورا مهما في تكوين نفسية الأطفال ونشأتهم نشأة اجتماعية صالحة. إن «أغاني الأطفال الشعبية ظهرت أساسا لنقل ثقافة المجتمع إلى النشء، وبالتالي فهي وسيلة للتنشئة الاجتماعية... من خلالها تنمو تصورات الطفل الدينية ومعتقداته عن الكون، والحياة، والإنسان... وعن طريق تلك الأغاني ينمو الطفل عقليا، وجسميا، وانفعاليا، واجتماعيا، جماليا، وترويحيا...»³ ومنها يتشربون عادات المجتمع، وتقاليده، ومعاييره وضوابطه الاجتماعية التي هي ضرورة لأجل اندماجهم في ثقافة المجتمع.

ورغم أن أغاني الرّبيع الشعبيّة تفتقر إلى الإيقاع العروضي الخليبي الموزون، إلا أنها تحتوي على جمالية مميّزة، متمثلة في توظيف جمل وكلمات وأصوات متوازنة ذات موسيقى هادئة. مثل ورود التصريح المتمثل في توافق أواخر الكلمات - وهو الذي يسمى السجع في النثر والتصريح أو التّشطير في الشعر- مثل: (أَرْبَعَانِي، تَلْفَانِي، حَيَّانِي، تَخْتَانِي، لُوْطَانِي، خَرْفَانِي) فهي تحمل نغما موسيقيا عذبا. كما نجد تكرارا لبعض المقاطع الغنائية مثل تكرار (أَرْبَعَانِي، كُلْ غَامْ تَلْفَانِي) في كلّ مقطوعة غنائية شعريّة، إنه تكرار يؤكد ويوضح المعنى.

تغذي الموسيقى الموجودة في أغاني الرّبيع الروح والنفس، وتعطي إحساسا بالجمال، أي تعطي للتلاميذ هدوءا نفسيا وطمأنينة، إنهما موسيقى تجذب المتعلم وتلفت انتباهه فيتفاعل معها، تحتوي على جرس موسيقي عذب وإيقاع صوتي جذاب نابع من تراث أجدادهم الأصيل، يشيع الفرح والبهجة في نفسيتهم، فيجعلهم قادرين على التعامل مع الآخرين

¹ - أحمد علي الحاج محمد: "أغاني الأطفال الشعبية ومضمونها التربوي في مملكة البحرين" مجلة الثقافة الشعبية، فصلية علمية متخصصة، العدد الخامس، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، ٢٠٠٩، ص ٥٤.

² - عائشة عهد حوري: "أثر أغاني الأطفال في تكوين لغة الطفل"، مجلة الممارسات اللغوية، مجلة نصف سنوية محكمة، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، العدد ٠١، جامعة مولود معمري- تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٦١.

³ - أحمد علي الحاج محمد: م. س، ص ٥١.

والعيش معهم بسلام ودعة... أي أنها تُسهم في بناء الطفل اجتماعيا وأخلاقيا ونفسيا ووطنيا... ولاسيما وأن الأطفال يميلون إلى الإيقاع الخفيف منذ ولادتهم، إذ بمجرد سماعهم لهدهدة الأم وأغانها العذبة الرقيقة يستسلمون للنوم العميق...

ويمكن لنا أن نلخص أهمية أغاني الربيع الشفوية الشعبوية في تكوين الأطفال وتربيتهم فيما يلي:

- تساعدهم على حفظ لغة مجتمعهم التي هي ضرورية للتواصل مع الآخر؛
- وترديد أغاني الربيع جماعة أثناء تواجدهم في المساحات والمناطق الخضراء، يُشعر الطفل بأنه عنصر فعال داخل نسق المجتمع، أي يجعله يحس بالانتماء إلى الجماعة؛
- الابتعاد عن الوحدة والانطواء على الذات؛
- تُشعر الأطفال بالدفء والاطمئنان النفسي؛
- تنمي فيهم روح التكيف داخل المجتمع؛
- تُسهم في تلقين الأجيال تربية خلقية صحيحة، قوامها حبّ الوطن والعمل على ازدهاره واستقراره، كما أنها تربيتهم بطريقة سلسلة مرحة لا ضجر فيها؛
- تنمي فيهم روح الجمالية، أي الإحساس بالفن والذوق والموسيقى، والأعظم من ذلك تشعّرههم بالرغبة في التعلم، إنَّها أغاني حول أجمل فصل، كيف لا يحفظونها ويردّدونها، وقد انتظروا حلول الربيع بأحر من الجمر.
- وربّ ساءل يتساءل في هذا المقام، فيقول، هل أغاني الربيع الشفوية مدوّنة في الكتب المدرسية الموجهة للتعليم؟ لتأمل مع بعضنا البعض ما سيأتي ذكره ونرى ذلك.

٣- أغاني الربيع الموجودة في الكتب المدرسية الجزائرية:

وجدنا أثناء المعايشة الميدانية لأغاني الربيع، أن بعض الأطفال يردّدون بعض الأغاني وسط المساحات المخضرة المزهرة بين الحين والآخر وهم يلعبون ويمرحون ويقطفون الأزهار... لكنها بعيدة عن أغاني أسلافهم التي تركوها لهم. إنهم يردّدون الأناشيد الموجودة في الكتب المدرسية الموجهة للتعليم في المرحلة الابتدائية، بعضها لها علاقة بالربيع وبعضها الآخر لا صلة لها به. ولعلّ من بين الأناشيد التي يردّدونها والتي لها صلة بالربيع حسب المعايشة الميدانية الحيّة نجد:

الطبيعة في بلادي^١

أنظر ترى الطبيعة جميلة بديعة
تستقبل الصبّاحا وتحمل الأفراحا
أطيّارها تغني في الرّوض ألف لحن

^١ - أنشدتها مجموعة من الأطفال، يتراوح سنهم ما بين ٠٧ سنوات إلى ١٠ سنة، على الساعة الواحدة زوالا، يوم: ٠٨ مارس ٢٠١٣م، بلدية ودائرة: رأس الوادي، ولاية برج بوعريّيج. وردت هذه الأناشيد في كتاب: نسيمه ورد- تكال والسعيد بو عبد الله وآخرون: اللغة العربية، التربية الإسلامية، التربية المدنية، إشراف: شريف عزواري، ط١، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ٢٠١٦، ٢٠١٧، ص ٦٧.

وزهرها البديع يزهى به الربيع
أنسامه اللطيفة وروحه الخفيفة
تغدو مع الطيور فرحانة بالنور

إن المتأمل في هذه الأنشودة، يرى أن حقلهما الدلالي المعجمي هو فصل الربيع "الطبيعة، جميلة بديعة، أطيّارها تغني، الروض، زهرها البديع، الربيع، أنسامه اللطيفة..."

وأثناء معايشة طقس استقبال الربيع في منطقة "عين أرناط" (سطيف) طلبنا من مجموعة من التلاميذ -ذكورا وإناثا- إنشاد بعض أغاني الربيع التي حفظوها من جداتهم وأمهاتهم، سكتوا هنيئة، وفجأة تشجع أحدهم وقال: لا نعرفها، لكن درسنا في القسم أنشودة بعنوان: "في مطلع الربيع"، طلبنا منهم إنشادها، فأنشدها بفرح وابتهاج:

في مطلع الربيع¹

هل قصدت البستان	في مطلع الربيع
هل رأيت الزهور	في حسنها البديع
هل نشقت العطور	في سحرها تذييع
ما أجمل الرحمان	في خلقه البديع

وعوض الأطفال في منطقة "عين ولمان" (سطيف) الأغنية التي تتغنى عن الماشية -التي سبق وأن ذكرناها- بأنشودة:
"أغاني الرعاة"²

أقبل الصبح جميلا	يملاً الأفق بهاه
فتمطّ الزهرُ والطيْرُ	وأمواج المياهِ
قد أفاق العالم الحيّ	وغنّى للحياة
فأفيقي يا خرافي	وهلمّي يا شياهِ
واملئي الوادي ثغاءً	ومراحا وحبورا
واسمعي همس السّواقي	وانشقي عطرَ الزّهور

¹ - أنشدها مجموعة من التلاميذ - ذكورا وإناثا - يتراوح سنهم ما بين ٠٨ سنوات إلى ١٢ سنة، على الساعة الثالثة زوالا، يوم: ٢١ مارس ٢٠١٤م، وسط المروج الخضراء المزهرة، بلدية ودائرة: عين أرناط، ولاية: سطيف. وردت هذه الأنشودة في كتاب: شريفة غطاس ومفتاح بن عروس: كليلي في اللغة العربية، السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، ٢٠١٢ - ٢٠١٣، ص ١٣٧.

² - أنشدها مجموعة من الأطفال يتراوح سنهم ما بين ٠٨ سنوات إلى ١١ سنة، على الساعة الثانية زوالا، يوم: ٠١ مارس ٢٠١٣م، وسط المساحات الخضراء وهم يلعبون، بلدية ودائرة: عين ولمان، ولاية: سطيف. وردت هذه الأنشودة في كتاب: شريفة غطاس ومفتاح بن عروس: م. ن، ص ١٣٧.

وقد سمعنا هذه الأنشودة في أغلب المناطق، وليس هذا وحسب، بل وجدنا وسط غابة "بُومرُفْدُ" * مجموعة من الفتيان والفتيات ينشدون أنشودة "أرجوحتي" الموجودة في كتبهم المدرسية، وهم يلعبون لعبة "الأرجوحة" وسط تلك الأشجار الباسقة:

أرجوحتي مكانها	ما بين فرعي شجرة
وعاليا تأخذني	حيث الغصون النظرة
أشاهد الأزهار	والروض والأطيار
وأجمل الأزهار	
وفي طريق عودتي	تقول لي صديقتي
تعالى يا نزار	تبارك النهار
بفرحة الصغار	
أرجوحتي رمز الفرح	ألوانها قوس قزح

ورغم أن هذه الأناشيد بعيدة عن الأغاني التي سجلناها وجمعناها من أفواه الرواة المسنين في مجتمع الدّراسة، إلا أنّها تندرج ضمن فصل الرّبيع، حفظها الأطفال استعدادا لامتحانات الفصل الثاني، ولعلّ الشيء الملفت للانتباه هو أن الأطفال الذين لم يحفظوها ولم يستوعبوها جيّدا، يحاولون حفظها بمساعدة زملائهم الحافظين لها، فطقوس استقبال الرّبيع إذن تساعدهم على حفظ الأناشيد المدرسية، ومن ثم تكوين ملكتهم اللّغوية وتحسينها ولاسيّما وأنهم يردّدونها مرارا وتكرارا مع أصدقائهم وهلمّ جزّا.

تحاول هذه الأناشيد الموجودة في الكتب المدرسية ترسيخ قيم أخلاقية لدى الأطفال، إنّها تعلم معنى الحفاظ على الطبيعة والحدائق التي يتزهون فيها، وضرورة الاعتناء بالأزهار والطيور، أي تعرفهم على خلق الله العجيب. كما تحثهم أيضا على ضرورة الاعتناء والاهتمام بالماشية كأغاني الأجداد القديمة... والأهم من ذلك جعلهم يتقنوناللّغة، ويكتسبون مختلف المهارات الحياتية. باختصار فهي تساعدهم في:

- تنمية مهارة الاستماع؛
- تنمية الملكة اللّغوية؛
- تنمية ملكة الحفظ؛

* وهي إحدى غابات ولاية برج بوعريّج، تقع بمحاذاة الطريق الوطني رقم ٥٥ شرق بلدية برج بوعريّج، وغرب بلدية العناصر، تبعد عن مقر الولاية بحوالي ٥٦ كلم^٢، فيها يتجمع بعض الأهالي للممارسة طقوس استقبال الرّبيع.

^١ - أنشدها مجموعة من الأطفال يتراوح سنهم ما بين ٥٨ سنوات إلى ١٠ سنوات، على الساعة الثالثة زوالا، يوم ٢٨ فيفري ٢٠١٤م، وسط غابة "بُومرُفْدُ" الجميلة، بلدية دائرة وولاية : برج بوعريّج. أدرجت في كتاب : شريفة غطاس ومفتاح بن عروس : كتابي في اللغة العربية، السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، ص١٨٧.

- تسهم في إنتاج شخصية الطفل وتكاملها؛

- تعمل على انفتاح الجانب الوجداني؛

- توسع أفاق معارفهم، وتربي أفكارهم؛

- توفر لهم مضامين ثقافية واجتماعية وأخلاقية تربوية متنوعة...

لم يتوقف التغيير على إنشاد التلاميذ للأناشيد المدونة في الكتب المدرسية وحسب، بل امتد إلى أكثر من ذلك، إذ صادفنا أثناء التحقيق الاثنوغرافي مجموعة من الأغاني الموجودة في شاشة التلفاز ومختلف وسائل الإعلام لما لها من ميزة الجمع بين الصوت والصورة والحركة والألوان، فاستطاعت بسحرها أن تحتل المرتبة الأولى عند الأطفال من حيث المشاهدة والحفظ. فأصبحوا يتنافسون على ترديدها أثناء الخروج إلى المناطق الخضراء لاستقبال الربيع على الرغم من أنها بعيدة عن أغاني الربيع... ولا نستطيع في هذا المقال الموجز ذكر كل الأناشيد بالتفصيل، لذلك سنكتفي بذكر العناوين فقط ذكر أنشودة واحدة فحسب.

من بين الأناشيد التي يرددها الأطفال نجد أناشيد الرسوم المتحركة مثل "شوت، شوت" و"فلة والأقزام السبعة" و"سوبرمان"¹... وأغاني طيور الجنة المختلفة كأغنية "بابا تيليفون" و"ماما جابت بيبي" و"لما نستشهد بنروح الجنة" و"يا جزائر، يا جزائر يا بلاد الأمة" و"رن الجرس" و"جلوي البسمة، حلوي البسمة" و"أذن المؤذنين أولاد" و"الزيتونة الخضراء" و"بشراكم، بشراكم" و"لا تسرف" و"ليش بتكذب يا وليد" ومحتواها: /ليش بتكذبا وليد/ ما بتعرف إنو حرام، وعيب ومش من الأداب/ والكذاب ما راح يبقالوا أصحاب/ والصادق محبوب الكل وربنا يحبو/ زي الرسول الأمين هو الصادق...² إنها أغنية تعلمهم صفة الصدق الحميدة، وتنهاهم عن الكذب الممقوت... أما باقي الأناشيد فتعلمهم حسن التحلي بالشجاعة والصبر والتضامن والتعاون ومختلف الأخلاق الحميدة... وتنهاهم عن الإسراف والتبذير ومختلف أنواع الرذائل...

ولكن رغم كل هذه المزايا الإيجابية إلا أن بعض أغاني الرسوم المتحركة وطيور الجنة المحتوية على الصورة تحت على أفعال لا يستطيع الأطفال ممارستها لصغر سنهم، والبعض منها يحتوي على أفعال خيالية خارقة غير مناسبة لسنهم، فالشيء الملفت للنظر أثناء المعاشة الميدانية أن بعض الأطفال أثناء الخروج إلى المناطق الخضراء لاستقبال الربيع، يرددون تلك الأغاني وفي الوقت نفسه يحاولون تقليد أبطال تلك الأغاني لثما شاهدوها في القنوات الفضائية، مثل أغنية "سوبرمان" الذي يقفز فوق الجبال والبيوت... فقد حاول أحدهم في منطقة "برج زمورة"³ أن يقفز فوق جبل شامخ معللا ذلك بأنه "سوبرمان"...

وليس هذا وحسب، فهم يرددون مختلف الأغاني منها الصالح والطالح، كل واحد يحاول أن ينشد ما حفظته ذاكرته وما شاهدته عينه وسمعته أذنه في مختلف وسائل الإعلام... وحتى أغاني الفنانين المختلفة المواضيع كان لها حضورا وسط تلك المروج الخضراء- مثل أغاني راغب علامة وهيفاء وهبي... التي وجدناها عند أطفال المرحلة المتوسطة-وهي أغاني

¹ - موجودة فيقناة (ABC 3).

² - مجموعة أناشيد، ردها مجموعة من الأطفال في كل من "عين ولما" (سليف) و"برج زمورة (برج بوعرييج)... موجودة في قناة طيور الجنة.

³ - إحدى دوائر ولاية برج بوعرييج، تقع بالجهة الشمالية للولاية على بعد حوالي ٣٠ كلم.

تحمل هوية غريبة مخلفة عن هويتنا، في طياتها تقاليد وعادات لا تمت بصلة لتعاليم مجتمعنا وديننا الحنيف، إنها تحمل مضامين بعيدة عن أخلاقيات المجتمع الجزائري، ولاسيما وأنها تحتوي على موسيقى صاحبة تعتمد على حركة الجسد والإثارة، فتقليدها يشوه قيم المجتمع، إذ تجعل نفسية الأطفال منفصلة عدائية لأتفه الأسباب بعدما كانت مطمئنة هادئة في قديم الزمان حين كانوا متمسكين بأغاني أجدادهم.

وصفوة القول نقول، إن أغاني الربيع الموسميّة درر ثمينة، تركها الأسلاف والأجداد لأبنائهم وأحفادهم تحتوي على قيم أخلاقية واجتماعيّة عليا، تحثهم على التماسك الأسري وحبّ الوطن، ومن ثم الحفاظ على الهوية الوطنية، وممارسة مختلف أفعال الخير وتجنب المنكرات، إنها وعاء مملوء بشتى أنواع الأخلاق والمعارف... والأمر نفسه نجده في أغاني الربيع الواردة في الكتب المدرسية الموجهة للتعليم في المرحلة الابتدائية، فهي تحتوي على قيم سامية تعليميّة ينبغي أن يتربى عليها النشء. باختصار تحتوي على ثلاثة مضامين تعليميّة تربويّة: مضمون خلقي اجتماعي وتربوي، مضمون لغوي، مضمون موسيقي وجدائي.

بعد هذه الجولة الموجزة، فإننا نقترح ونوصي الجهات المعنية بـ:

- ضرورة إدراج بعض أغاني الربيع الفولكلورية المحليّة المعبّرة عن قيم المجتمع الجزائري وعاداته وتقاليدته في الكتب المدرسية الموجهة للتعليم، لما لها من أهمية في تقويم سلوك الأطفال، وتوجيههم الوجهة التربوية الصحيحة، إنها حاملة لكلّ الأنشطة التي تنمي قدرات الطفل، وهي ممتعة ومؤنسة للمتعلم والمعلم على حد سواء، ولاسيما وأنها تتلاءم والتربية الحديثة التي تبتعد عن إصدار الأوامر للمتعلم (افعل... لا تفعل...). إنها تشكل وسطا تربويا ثريا بمختلف المعارف والقيم...

- إقامة حفلات ترويجية للتلاميذ تحت مشرف اجتماعيوسط المروج الخضراء في موسم الربيع، يسمح لهم بإشاد الأغاني المحليّة للترويج عن أنفسهم ولاسيما وأن الطبيعة خلابة...

-حث الأولياء على ضرورة اختيار قنوات الأناشيد المفيدة لأبنائهم التي تتماشى وتندمج مع قيم المجتمع، ولاسيما تلك المبرمجة في مختلف وسائل التكنولوجيا الحديثة، التي أصبحت أكثرا جلبا للأطفال لما تحتويه من صوت وصورة...

-ضرورة إعداد برامج خاصة في التلفاز حول الأغاني الشعبيّة المحليّة التي تجسد روح الانتماء والمواطنة لكي لا ينسلخ الطفل الجزائري عن ثقافته وهويته الوطنية...

- دون أن ننسى ضرورة القيام ببحوث علمية تحليلية حول محتوى الأغاني الموجهة للطفل محليا وعربيا، للوقوف عند الثغرات، ومن ثم السعي لتفاديها وتعزيز الأخلاق الاجتماعية التربويّة الواردة فيها.

قائمة المصادر والمراجع:

١- إبراهيم عبد الحافظ: الفنون الأدبية الشعبية - دراسات في ديناميات التغير - ط١، مطبعة العمرانية للأوفست، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤.

٢- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، د. ط، مج: ٥، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، د. ط، مج: ٨، دار صادر، بيروت، د.ت.

- ٤- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، د. ط، مج: ١٥، دار صادر، بيروت، د. ت.
- ٥- أحمد علي الحاج محمد: "أغاني الأطفال الشعبية ومضمونها التربوي في مملكة البحرين" مجلة الثقافة الشعبية، فصلية علمية متخصصة، العدد الخامس، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، ٢٠٠٩.
- ٦- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، ط ٢، مج ١ (A - G)، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ٢٠٠١.
- ٧- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دط، ج ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢.
- ٨- سيف الإسلام علي مطر: التغيير الاجتماعي- دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية - ط٢، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٨٨.
- ٩- شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا، إنجليزي-عربي، ط١، جامعة الكويت، ١٩٨١.
- ١٠- شريفة غطاس ومفتاح بن عروس: كتابي في اللغة العربية، السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، ٢٠١٢ - ٢٠١٣.
- ١١- شهيرة بوخنوف: تمثلات الرّبيع محليًا وعالميًا - مقارنة أنثروبولوجية- إشراف: زهية طراحة، أطروحة دكتوراه، جامعة مولود معمري - تيزي وزو، نوقشت سنة ٢٠١٦ م.
- ١٢- عائشة عهد حوري: "أثر أغاني الأطفال في تكوين لغة الطفل"، مجلة الممارسات اللغوية، مجلة نصف سنوية محكمة، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، العدد ٠١، جامعة مولود معمري- تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٠.
- ١٣- عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور مع مسرد إنجليزي - عربي، كتب عربية، د. ت.
- ١٤- قناة طيور الجنة
- ١٥-- قناة (ABC 3).
- ١٦- محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناتي، د. ط، ج ١، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦.
- ١٧- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط٣، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د. ت.
- ١٨- نسيمة ورد- تكال والسعيد بو عبد الله وآخرون: اللغة العربية، التربية الإسلامية، التربية المدنية، إشراف: شريف عزواري، ط١، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ٢٠١٦، ٢٠١٧.
- ١٩- Jean Servier: Tradition et Civilisation Berbères, les portes de l'année, Édition du Rocher, Monaco, 1985.

الأمثال الشعبية الجزائرية وعلاقتها بالصحة النفسية

د.عبد الرزاق سيب/جامعة تلمسان،الجزائر

ملخص:

موضوع الثقافة والشخصية من المواضيع الهامة التي عنيت بها الأنثروبولوجية النفسية، والتي تبحث في العلاقة بين الثقافة والشخصية، والمثل الشعبي من أهم العناصر المشكلة للثقافة الجزائرية قديما وحديثا وهو يكتسب حياته وديمومته من خلال التداول الشفهي، والأمثال الشعبية الجزائرية متنوعة ومتعددة حيث نجدها تغطي معظم جوانب الحياة الإنسانية، وبما أن شخصية الإنسان تنمو وتتلور وتتمايز سماتها ومقوماتها من خلال نمط مجتمعي خاص، فلا بد من الاهتمام بهذا المجال للوقوف على مدى تأثير الأمثال الشعبية في سلوكيات الأفراد في الجزائر، لا سيما أن معظمها هو وليد ظروف سياسية صعبة مرت بها الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، أين كان المثل الشعبي من أهم العناصر التي حافظت على الهوية الجزائرية المسلمة بما تحمله من سلوكيات إيجابية.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، المثل الشعبي، الصحة النفسية.

مقدمة:

لقد تميزت الجزائر قديما وحديثا بثقافة متنوعة تميزت بالثراء والغنى وذلك راجع إلى موقعها الجغرافي الذي جعلها معبرا وموطنا يستهوي الكثيرين، لا سيما الحملات الاستعمارية المتتالية عليها، والتي زادت من إصرار الشعب والعامّة على التمسك بالأصول المتجذرة التي سعى الاستعمار إلى محاولة اجتثاثها، ومن أهم العناصر المشكلة للثقافة الجزائرية الأصيلة المثل الشعبي، الذي لعب دورا هاما في الحفاظ على الهوية الجزائرية والصحة النفسية للشعب الجزائري خاصة في عهد الاستعمار الفرنسي الغاشم.

-فما هو الدور الذي لعبه المثل الشعبي؟؟

-وكيف يساهم في تحقيق الصحة النفسية؟؟

١-تعريف المثل الشعبي:

أ. عند القدامى:

إنّ المثل الشعبي عنصر هام من عناصر التراث العربي القديم، والذي توارثته الأجيال، وهو مرآة صادقة لحضارة الشعب العربي، وضروب تفكيره وعاداته وتقاليده ومثله الأخلاقية والاجتماعية، وقد عرف ابن السكيت المثل بقوله: «المثل لفظا

يخالف لفظ المضروب، ويوافق معنى ذلك اللفظ شبهه بالمثل الذي يعمل عليه غيره⁽¹⁾ وقد رأى إبراهيم النظام أنه يجتمع في المثل أربع لا يجتمع في غيره من الكلام: «إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة»⁽²⁾.

أمّا السيوطي فنقل عن المرزوقي في قوله شرح الفصيح: «المثل جملة من القول، مقتضية أصلها، مرسله بذاتها، فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتتنقل عما وردت فيه إلى ما يصح قصده بها، عن غير تغيير يلحقها في لفظها عما يوجه الظاهر إلى أشياء المعاني فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها»⁽³⁾.

فالمرزوقي يعتبر المثل مقطعا لفظيا محدودا، يتميز بالذيق والانتشار بين الناس، وهذا ما يراه ابن عبد ربه حين يتحدث عن الأمثال: «هي تتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول»⁽⁴⁾، وفي موضع آخر يعرف المثل فيقول: «الأمثال هي وشي الكلام، وجوهر اللفظ، جلي المعنى، والتي ترجمتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان، فهي أنقى من الشعر وأشرف من الخطابة»⁽⁵⁾.

أمّا الفراء فيرى أنّ المثل: «ما ترضاه العامة والخاصة»⁽⁶⁾، فالمثل إذا نابع من المجتمع، وموجه نحو المجتمع الذي يحكم عليه بالتداول والبقاء أو يحكم عليه في المقابل بعدم الذيق والاستمرارية.

ب. عند المحدثين:

لقد تعرض الكثير من الأدباء لتعريف المثل الشعبي، وسلطوا الضوء عليه في دراساتهم ومنهم أحمد أمين الذي يرى في المثل أنه: «نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن المعنى، ولطف التشبيه، وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب، وليست في ذلك كالشعر والنثر الفني فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية في الأدب وأمثال كل أمة مصدر هام جدا للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي يستطيع كل منهما أن يعرف كثيرا من أخلاق الأمة وعاداتها وعقليتها ونظراتها في الحياة لأنّ الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت فيها»⁽⁷⁾.

فأحمد أمين يرى أنّ الأمثال الشعبية تعكس بوجه عام حياة أمة من الأمم، تفكيرها وسلوكها ومعتقداتها وثقافتها، وتعامل أفرادها بعضهم مع بعض، ولذلك فإنّ نصوص هذه الأمثال تعكس بوجه التفكير لدى الناس في زمان محدد ومكان معين. أمّا محمد رضا فيفرق بين المثل والشعر فيقول: «الأمثال ترصد لكل قوم خلاصة تجاربهم ومحصول خبرتهم وهي أقوال تدل على إصابة الموجز وتطبيق المفصل هذا من ناحية المعنى، أمّا من ناحية المعنى فإنّ المثل يتميز عن

(1) محمد بن أحمد الميداني: «مجمع الأمثال»، تحقيق جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت، ج ١، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٧٠.

(2) محمد بن أحمد الميداني: المرجع نفسه، ص ٧١.

(3) جلال الدين السيوطي: «المزهر في علوم اللغة وأنواعها»، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج ١، ط ٣، ١٩٥٨، ص ٤٨٧.

(4) ابن عبد ربه: «العقد الفريد»، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٣، ١٩٧٩، ص ٢١٣.

(5) ابن عبد ربه: المرجع السابق، ص ٢١٤.

(6) إبراهيم أحمد شعلان: «الشعب المصري في أمثاله العربية»، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٧٢، ص ٢١٣.

(7) أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية»، لجنة التأليف والترجمة، مصر، ١٩٥٣، ص ٩٨.

غيره من الكلام بالإيجاز، ولطف الكناية وجمال البلاغة، المثل ضرب من التغيير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة البعد كله عن الوهم والخيال، ومن هنا تتميز الأمثال عن الأقاويل الشعرية»⁽¹⁾.

أما الدكتور عبد الملك مرتاض فقد ركز على الجوانب التي تعالجها الأمثال فيقول: «الأمثال فن من الفنون الأدبية الشعبية الحية تعلقت بكل شيء وتناولت كل شيء يتصل بالحياة، فنراها تعالج الأخلاق والحكمة والتربية والتوجيه والسخرية والتهكم، والنكتة والفكاهة، والعظة والعبرة والحب والكره، والحرب والاضطراب والاطمئنان، والخوف والأمن والسعادة والشقاء والخصب والجذب، والحرب والسلام والحياة والموت، فكل ما يتصل بالحياة ويحوم حولها وينبع منها أو يصب فيها مجال فسيح لفن المثل»⁽²⁾.

إذا فالمثل: «قول معروف، قصير العبارة، يحتوي فكرة صحيحة أو قاعدة من قواعد السلوك البشري، أطلقه شخص من عامة الناس في ظرف من الظروف، ثم انتشر بين الناس يقولونه في مختلف المناسبات التي تشبه الحالة التي قيل فيها لأول مرة»⁽³⁾.

ويرى أحمد أبو زيد أنّ المثل الشعبي إنّما هو عصارة تجربة خاضها الإنسان في حياته وتوارثها الأجيال، حينما يرى أنّ المثل: «عبارة قصيرة تلخص حدثاً ماضياً أو تجربة منتهية وموقف الإنسان في هذا الحدث أو هذه التجربة في أسلوب غير شخصي، وأتته تعبير شعبي يأخذ شكل الحكمة التي تنبئ على التجربة أو الخبرة المشتركة»⁽⁴⁾. وينظر طلال الحديثي للمثل على أنّه إبداع إنساني، أنتجته العقلية الشعبية التي تناولته أو أرسلته أو التي روته، ومضامينه الأيديولوجية لها علاقة وطيدة بطبيعة الأفراد الذين يستعملونه ويستنبطون فلسفة حياتهم منه⁽⁵⁾.

ويركز آرشل تايلور على الجانب التعليمي في المثل حين يصرح بأنّه: «جملة مصقولة محكمة البناء تشيع في مأثورات الناس، باعتبارها قولاً حكيماً، وأتتها تشير عادة إلى وجه الحدث، أو يلقي حكماً على موقف ما، وهو أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية»⁽⁶⁾ ومن التعاريف السابقة يمكن تلخيص خصائص المثل الشعبي فيما يلي:

- ❖ المثل هو عصارة التجارب ونتائج الخبرة والمهارة.
- ❖ المثل يحتوي على معنى عميق ودلالة صادقة.
- ❖ المثل موجز جميل البلاغة.
- ❖ الذبوع بين طبقات الشعب المختلفة في كل زمان.
- ❖ الانتشار بالرواية الشفهية.

(1) جلال الحنفي: «الأمثال البغدادية»، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٢، ص ٣.

(2) عبد الملك مرتاض: «دلالة المثل والحكم الشعبية على نقاوة عاميتنا»، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، ٢٥٤، ١٩٩٢، ص ٣٤.

(3) جعكور مسعود: «حكم وأمثال شعبية جزائرية»، دار الهدى، الجزائر، ٢٠٠٢، ص ٥٥.

(4) أحمد أبو زيد: «دراسات في الفولكلور»، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٣١١.

(5) ينظر طلال سالم الحديثي: «من التراث الشعبي في العراق»، وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢، ص ٢٨.

(6) أحمد أبو زيد: المرجع نفسه، ص ٣٢٤.

❖ يعين المثل قاعدة الذوق والسلوك أو الرأي الشعب.

٢- المثل وعلاقته بالصحة النفسية:

إنّ الصحة النفسية تعرف في ضوء تمتع الفرد ببعض الخصائص الإيجابية التي تساعد على حسن توافقه مع نفسه أولاً ومع بيئته من جهة أخرى، سواء من الناحية الاجتماعية أو المادية ممّا يجعله يتحرر من تلك الصفات السلبية أو الأعراض المرضية التي تعوق توافقه، ويمكن إجمال هذه الخصائص ومدى تسليط الأمثال الشعبية الضوء عليها فيما يلي:

١. الشعور بالكفاءة والثقة بالنفس:

ويعني ذلك شعور الفرد بقيمته ، ومعرفة قدراته وإمكاناته التي تجعله قادرا على مواجهة الصعاب والتحديات والتغلب عليها دون الاعتماد على الآخرين ، بالإضافة إلى مقدرته على اتخاذ القرارات السليمة في حينها ، ودون الحساسية للنقد ، ومن الأمثلة التي سلطت الضوء على هذا الجانب، المثل القائل : « الشاطرة تغزل برجل حمار »^(١) أي أنّ المرأة الواثقة في قدراتها قادرة من أن تغزل غزلها ولو برجل حمار ، والمثل الشعبي يحث دائما على وثوق المرء بقدراته ، والاعتماد على نفسه، كقولهم « مكسي الناس عريان »^(٢) و«المكسي برزق الناس عريان»^(٣) و« ماحكّ جلدك مثل ظفرك »^(٤) و« ما يبكي لك إلاّ شفرك وما يخبشلك إلاّ ظفرك »^(٥) و« كل واحد يبكي على حاله »^(٦) فكل هذه الأمثلة محفزة للفرد على تطوير وتفصيل قدراته واعتماده على نفسه، والسعي إلى مواجهة الحياة بقوة وتفاؤل ، كما نجد الأمثال تعطي عناية فائقة للعمل والجد في الكسب لأنّه وسيلة من الوسائل التي تجعل الفرد يستغل قدراته ويحقق أهدافه الحيوية الأمر الذي يحقق له الرضا والسعادة النفسية، فيقال : « الخدمة مع النصارة ولا لقعاد خسارة »^(٧) و«ألي ما يخدم في صغره ما يشوف خير في كبره »^(٨) و« ألي تكل على ذراعوا ولاده ما جاعوا »^(٩) و«ألي ما حاس ماداس ما يعرف الكلخة من الدرايس ولا الفضة من النحاس »^(١٠) و«أخدم يا صغي لكبريوأخدم يا كبري لقبري »^(١١) وهذا ما يجعل الإنسان دائم النشاط

(١) عبد الرحمن مشهور: «قطوف الأمثال الشعبية»، مكتبة جزيرة الورد، مصر ٢٠٠٢، ص ٢٥.

(٢) عبد الرحمن مشهور: المرجع نفسه، ص ٢٦.

(٣) رايح خلدوسي: «موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية»، دار الحضارة، الجزائر، ط ٢٠٠٠، ص ٣٢.

(٤) رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ١٦٧.

(٥) رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ١٧٥.

(٦) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٦٠.

(٧) رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ٤٩.

(٨) رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ١٢١.

(٩) رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ١٣٦.

(١٠) رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ١٣٤.

(١١) عبد الملك مرتاض: «الأمثال الشعبية الجزائرية»، ص ١٤٥.

والحيوية، مؤمن بقدراته حتى وإن أصبح شيخا كبيرا، كما أنه قد يشهد للفرد بالكفاءة من الناس من حوله، كقولهم : « أهدر على السبع يهدف »⁽¹⁾.

٢. القدرة على التفاعل الاجتماعي:

ويقصد بها قدرة الفرد على عقد الصداقات وتبادل الزيارات وتكوين علاقات إنسانية مشبعة، وقدرته على الإسهام بدور إيجابي في الحياة الاجتماعية ، وهذا لا يتسنى له إلا إذا تمتع بقدرات كافية في مواجهة مختلف المواقف والمشاكل التي تزخر بها الحياة ، ومدى حكمته في إيجاد الحلول لها بدل الانسحاب والتمركز حول الذات ، والأمثال الشعبية تحث الفرد دائما على التفاعل الاجتماعي ، سواء داخل الأسرة أو في المحيط الخارجي الذي يحيا فيه المرء وذلك مثل قولهم : « البركة في اللمة »⁽²⁾ و« ما يحمل همك إلا ألي من دمك »⁽³⁾ و« الحسنه إذا جازت على الغريب يبقى القريب أولى »⁽⁴⁾ وهذه الأمثلة تدعو إلى المؤازرة واللحمة بين أفراد الأسرة والتفاعل الإيجابي بينهم، أما عن المحيط الخارجي وخاصة الجار فهناك كم هائل من الأمثال تتطرق لهذا الجانب ومن ذلك « الجار جار وإن جار »⁽⁵⁾ و« بلفظ آخر « الجار للجار وإن جار »⁽⁶⁾ و« قبل ما أنقول أهلي يكون جيراني غاثوني »⁽⁷⁾ وقولهم « أطلب لجارك الخير إن ما نلت منه تكفى شره »⁽⁸⁾ فالأمثال أعطت للجار مكانة مرموقة بحكم الاتصال الدائم به، والأثر الإيجابي أو السلبي الذي يمكن أن تلمسه خلال الاحتكاك به، بحكم التفاعل الاجتماعي الذي يفرض عليك ذلك في السراء والضراء ، أما عن البؤرة الواسعة من المجتمع ، كالأصحاب والناس فيقولون: « يد وحدة ما تصفق »⁽⁹⁾ « اللهم موالف ولا تالف »⁽¹⁰⁾ و« جنة من غير ناس ما تنداس »⁽¹¹⁾ و« معرفة الرجال كنوز »⁽¹²⁾ و« ما تضرب حنتتقرب و ما تصاحب حتى تجرب »⁽¹³⁾ فالأمثال أعطت للصاحب فضاء واسعاً وحثت دائما على حسن اختيار الصديق وذلك لما له من تأثير على المجموعة التي تصادقه، وجعلت لهذه العلاقات قوانين وضوابط من خلال التجارب الإنسانية فيقولون مثلا: « لسان العيب ما يدير حبيب »⁽¹⁴⁾ وقولهم « كثرة الكلام يقل القيمة »⁽¹⁵⁾ و« الكلام الزين يتدفع في الدية »⁽¹⁾ وهذا يشير إلى أنّ اللسان هو أول من يحكم على علاقات الناس فيما بينهم

⁽¹⁾ عبد الملك مرتاض: «الأمثال الشعبية الجزائرية»، ص ١٤٧.

⁽²⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٨٣.

⁽³⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٨٥.

⁽⁴⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٨٥.

⁽⁵⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٨٦.

⁽⁶⁾ عبد الرحمن مشهور: المرجع نفسه، ص ٦٣.

⁽⁷⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٥١.

⁽⁸⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٥١.

⁽⁹⁾ عبد الرحمن مشهور: المرجع نفسه، ص ٦٥.

⁽¹⁰⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٣٨.

⁽¹¹⁾ عبد الرحمن مشهور: المرجع نفسه، ص ٦٧.

⁽¹²⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٢٩.

⁽¹³⁾ رابح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ٣١٠.

⁽¹⁴⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٣٠.

⁽¹⁵⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٣٢.

فبه تبنى الصداقات أو تدمر، بالإضافة إلى ما للصبر على الصديق من دور، فيقولون: «إذا شفت زوج متعاشرين أعرف الدرك على واحد»⁽²⁾ فأى علاقة لا بد لها من تنازلات حتى تنجح وتستمر كما يجب احترام الخصوصيات للأفراد فيقولون: «صباح الخير يا جاري أنت في حالك وأنا في حالي»⁽³⁾

٣. النضج الانفعالي والمقدرة على ضبط النفس:

يعني المقدرة على مواجهة الصراعات النفسية والسيطرة على الانفعالات والتعبير عنها بصورة مقبولة اجتماعيا، وعدم الاستسلام للقلق والتوتر والتهور والاندفاعية، والانعاج من أطفه الأسباب، بل يبدي تحكما في مشاعره وانفعالاته وتصرفاته ويحد من جماحها باستخدام إرادته وهمته، وهذا يعتبر شرطا أساسيا لتحقيق الصحة النفسية، والمثل الشعبي اعتنى بمشاعر الناس وأحاسيسهم ووجهها التوجيه الصحيح، الذي يؤدي إلى التوازن الانفعالي ومنها: «طول البال تبلغ الأمل»⁽⁴⁾ و«طول البال تهد الجبال»⁽⁵⁾ و«شدة وتزول»⁽⁶⁾ «اللي لا بد منه لا بفي غيرها»⁽⁷⁾ «اللي

ما يذوق المر ما يعرف الحلو»⁽⁸⁾ و«اللي ما تقدر عليه حيل ربنا عليه»⁽⁹⁾ و«اللي مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين»⁽¹⁰⁾ و«الدنيا حلوة على مره ومرها أكثر»⁽¹¹⁾.

فهذه الأمثال نجدها موجبة ومهدئة للانفعالات التي قد يتعرض لها الإنسان في حياته اليومية فهي تكسبه بعض الهدوء والمواساة، وهي بمثابة نصائح قدمت ممن هم أكثر منا تجربة في الحياة وهذا ما يجعل لها أثرا جميلا على أحاسيسنا وانطباعاتنا نحو مواقف صعبة قد تواجهنا في الحياة. وقد تسلط الأمثال الضوء على انفعالات شاذة تبدر من الفرد كقولهم: «الغيرة قتلت ميرة»⁽¹²⁾

و«مرة حباب مرة كلاب»⁽¹³⁾ و«يتمسكنحتيتمكن»⁽¹⁴⁾ والأمثال الشعبية هذه تهكم بمن يعطي الأمور أكثر من حجمها الطبيعي أو قد يحاول تصنع مشاعر مزيفة غير مشاعره الحقيقية، وبالتالي تحث على ضبط الإنسان لمشاعره عند

(1) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٣٤.

(2) رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ١٢٢.

(3) عبد الرحمن مشهور: المرجع نفسه، ص ٨٨.

(4) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٠٩.

(5) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٠٩.

(6) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١١٠.

(7) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٧٦.

(8) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٣٤.

(9) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٣٤.

(10) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٣٥.

(11) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٤٥.

(12) رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ٤٦.

(13) رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ٤٨.

(14) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٩٨.

اللزوم «خليها في جواها حتتجبر دواها»⁽¹⁾ و«حيلة العاجز دموعه»⁽²⁾ ولضبط التصرفات يقولون: «القطعة عمر ما تكل ولادها»⁽³⁾ و«من خاف سلم»⁽⁴⁾ «إنخرج السر عن اثنين ذاع»⁽⁵⁾ و«ألي فات مات»⁽⁶⁾.

٤. القدرة على توظيف الطاقات والإمكانات في أعمال مشبعة:

يعني سعي الفرد إلى تحقيق ما لديه من طاقات ، والاستفادة مما لديه من إمكانات في أعمال مثمرة لا تتعارض مع مصالح الآخرين وتشعره بالرضا والإشباع ، ويكون ذلك بشغل وقت الفراغ بصورة مفيدة والسعي إلى المثابرة والتخطيط وإتقان الأعمال التي يقوم بها ، وإنجازها على الوجه الذي يحس به بالرضا والقناعة بقدراته ، والإحساس بأنه إنسان فاعل في المجتمع ومرغوب فيه ، ومن الأمثلة الدالة على تلك الاشباعات : « يخدم من الفسيخ شربات »⁽⁷⁾ و« صاحب صنعة أحسن من صاحب قلعة »⁽⁸⁾ و« كي اليرة تكسي الناس وتقعده عريانة »⁽⁹⁾ و« شعيرنا ولا قمح غيرنا »⁽¹⁰⁾ و« حمارنا ولا سيع الناس »⁽¹¹⁾ « حتخروف ما خلق بصوفه »⁽¹²⁾ و« اخدم خدمة البدا والموت غدا »⁽¹³⁾ و« اخدم باطل ولا تقعد عاطل »⁽¹⁴⁾ فكل هذه الأمثال تسعى لغرس حب المبادرة ، وشغل أوقات الفراغ بأشياء نافعة كالحرف اليدوية أو الزراعة أو تعلم فنون وغيرها وذلك حسب ميول الناس ورغباتهم وهوايتهم ، وكذلك بعض الأمثال تنبه إلى اغتنام الفرص المتاحة في انتظار الأفضل مثل قولهم : « تمشى بنعالة حتى تجبر الصباط »⁽¹⁵⁾ و« اخدم بالرطل ولا تعطل »⁽¹⁶⁾ « ألي ما رقع ما لبس »⁽¹⁷⁾ فاستثمار الوقت في الأشياء النافعة يجد من خطر البطالة والفراغ اللذان يعتبران عاملان أساسيان في انحراف الشباب مثل ما يقول المثل : « السارح مين ما يجبرش ما يدير يقطع نعايلو »⁽¹⁸⁾ أي من لم يستغل وقت فراغه في

⁽¹⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٩٠.

⁽²⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٠٠.

⁽³⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٠١.

⁽⁴⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٠٣.

⁽⁵⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٠٣.

⁽⁶⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٠٣.

⁽⁷⁾ رابح خدوسي: المرجع نفسه، ص ١٣٧.

⁽⁸⁾ رابح خدوسي: المرجع نفسه، ص ١٣٠.

⁽⁹⁾ رابح خدوسي: المرجع نفسه، ص ١٢٨.

⁽¹⁰⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٦٤.

⁽¹¹⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٤٧.

⁽¹²⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٤٦.

⁽¹³⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٤.

⁽¹⁴⁾ عبد الملك مرتاض: «الأمثال الشعبية الجزائرية»، ص ١٤٨.

⁽¹⁵⁾ عبد الملك مرتاض: «الأمثال الشعبية الجزائرية»، ص ١٤٨.

⁽¹⁶⁾ عبد الملك مرتاض: «الأمثال الشعبية الجزائرية»، ص ١٤٨.

⁽¹⁷⁾ عبد الملك مرتاض: «الأمثال الشعبية الجزائرية»، ص ١٤٨.

⁽¹⁸⁾ عبد الملك مرتاض: «الأمثال الشعبية الجزائرية»، ص ١٥١.

شيء نافع فلزاما أنه يستغله في شيء ضار ، ويقولون كذلك : «راس الكسلان بيت الشيطان»⁽¹⁾ و«ألي ما عندو شيخ الشيطان شيخو»⁽²⁾ فالفراغ هو الذي يخلق الأفكار السلبية عند الإنسان.

٥. التحرر من الأعراض العصبية:

ويعني ذلك خلو المرء من الأنماط السلوكية الشاذة المصاحبة للاضطرابات والأمراض النفسية والعقلية ، واستقامة الفرد في تصرفاته وعلاقاته ومعالجته للقضايا والمشكلات بسلوك سوي يقبله الله أولاً والمجتمع ثانياً ، ورغم أنّ الخلو التام من الأعراض المرضية أمر صعب تحقيقه فهناك درجات متفاوتة من حيث ما يتمتع به الإنسان من سلوكيات سوية تتميز بالاستقامة التامة فالسلوك السوي المثالي يصعب تحقيقه في الواقع، لكن «ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على تحقيقها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة»⁽³⁾ والأمثال الشعبية تهدف إلى ترسيخ الأخلاق الحسنة ، والعمل الصالح ، وتنفر من كل السلوكيات الشاذة التي تؤدي إلى الفرقة والعداوة والبغضاء ، وتشجع على سلامة المرء نفسياً وعقلياً ، ليكون قادراً على العيش بصورة عادية في مجتمعه ومن ذلك قولهم : « طول ما أنت طيب يكثر أصحابك»⁽⁴⁾ وهذا للتأكيد على السلامة العقلية والجسدية والنفسية وقولهم كذلك « حوت ياكل حوت وقليل الجهد يموت»⁽⁵⁾ وهذا للتأكيد على الصحة الجسمية للفرد، و« رزق الهبيل على المجانين»⁽⁶⁾ ، وفي الثناء على الذي يمتاز بالصحة النفسية والعقلية يقولون : « القلب اللي ما يغيرو لا يحير ، يستاهل قفة شعير»⁽⁷⁾.

٦. البعد الإنساني والقيمي:

يقصد به تبني المرء لإطار قيمي يهتدى به ويوجه سلوكه، ويعتبر الدين الإسلامي المصدر الأساسي الذي تحتكم إليه الشعوب المسلمة لتوجيه سلوكياتها، بالإضافة إلى بعض العناصر الثقافية التي ساهمت في تحديد وبلورة الأبعاد والحدود التي لا يمكن تخطيها في معاملات الناس فيما بينهم، وهذا ما نطلق عليه تسمية: « العرف»، والأعراف تختلف من بيئة إلى أخرى تحكمها مبادئ دينية وثقافية وإنسانية، والمثل الشعبي لم يتناسى هذا الإطار القيمي بل ناقشه في كثير من المواقع مثل قولهم عن دور الدين في حياة الإنسان « الدين للإنسان كي اللازمة للحصان»⁽⁸⁾ أي أنه يوجه سلوكياته ويضبط انفعالاته ونزواته، أما عن القدر فيقال: « إذا وقع لقدر عى لبصر»⁽⁹⁾ و« ألي من نصيبك يصيبك»⁽¹⁰⁾ و« ألي مكتوب

(1) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٣٩.

(2) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٣٩.

(3) أبو حامد الغزالي: «إحياء علوم الدين»، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج٣، ١٩٩٥، ص ١٣.

(4) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٢٨.

(5) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٤٩.

(6) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٧٧.

(7) عبد الملك مرتاض: «الأمثال الشعبية الجزائرية»، ص ١٥١.

(8) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٠٧.

(9) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٩٧.

(10) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٧٧.

على الجبين لازم تشوفه العين»⁽¹⁾، و«الحذر ما يدفع قدر»⁽²⁾ أما في التوكل على الله فالمثل يقول : «أسعى يا عبدي وأنا أسعى معاك»⁽³⁾ و«الشكوى لغير الله مزلة»⁽⁴⁾ و«الشكوى لغير ربي فضيحة»⁽⁵⁾، «أصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب»⁽⁶⁾ أما في ضبط الجوارح، وتسييرها حسب الهدي القرآني فقد ركز المثل الشعبي على العين والأذن واللسان، وذلك لأن هذه الحواس أساس التعامل بين الناس فمثلا المثل القائل : «ثلاثة عدياني عيني ووذني ولساني لو كان ما هما ندخل لقبري هاني»⁽⁷⁾ وفي اللسان يقولون «لسانك حصانك»⁽⁸⁾ و«لساني كي حصاني إذا صنته صاني وإذا خنته خاني»⁽⁹⁾ و«قوله في وشه ولا تغشه»⁽¹⁰⁾ وهذا للتحذير من الغيبة والنميمة وما ينجر عنهما من أذى وعداوة بين الناس ، أما عن المال والرزق فيقولون «ألي ما يصوم ما يصلي رزقه يولي»⁽¹¹⁾ و«رزق لحلال كخييط الحرير يرق وما ينقطع»⁽¹²⁾، وقد حذر المثل الشعبي من الإنسان الذي يستسلم لشهواته وأهوائه ولا يكون له قيم دينية يستند إليها في تصرفاته، فيقولون: «ألي بدل دينه ما كان ما تتسنى منه»⁽¹³⁾ و«الذهب يغير المذهب»⁽¹⁴⁾، أما في احترام الأعراف السائدة فيقولون: «دير كي جارك و إلا حول باب دارك»⁽¹⁵⁾ و«كل ما يعجبك وألبس ما يعجب الناس»⁽¹⁶⁾.

٧. تقبل الذات وأوجه القصور العضوية:

بمعنى تقبل الفرد لذاته كما هي، على حقيقتها ورضاؤه عنها بما تشتمل عليه، وعدم النفور والخجل مما تنطوي عليه من معوقات جسمية واستغلال ما يتمتع به من إمكانيات والعمل على تنميتها إلى أقصى مستوى يمكنها الوصول إليه، ولا يكون ذلك إلا بفهم الفرد لذاته وتقبلها وتقييمها تقييما واقعيا، وتقبل نواحي العجز الجسمية والعقلية والمعرفية، والتعليمية والثقافية والانفعالية والاجتماعية وفقا للفروق الفردية، حينها يتمكن الفرد من فهم ذاته وهويته فيقدرها حق قدرها، ويرضى عنها ليس بشكل استسلامي أو باتخاذ مواقف سلبية، بل بشكل ينمي مفهوم موجب للذات، وهكذا فإن الشخص الذي يتمكن من تحقيق ذاته و يحسن فهمها يستطيع استغلال قدراته وإمكانياته، فيشعر بالكفاية

⁽¹⁾ وفاء الخناجري: لمرجع نفسه، ص ٢٣٥.

⁽²⁾ رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ١٣٤.

⁽³⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٢٣.

⁽⁴⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٥٢.

⁽⁵⁾ وفاء الخناجري: المرجع السابق، ص ٢٥٢.

⁽⁶⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٣٧.

⁽⁷⁾ رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ٨٢.

⁽⁸⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٣٢.

⁽⁹⁾ رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ١٣١.

⁽¹⁰⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٢٢.

⁽¹¹⁾ وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٩٢.

⁽¹²⁾ رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ٦٦.

⁽¹³⁾ رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ١٣٠.

⁽¹⁴⁾ رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ١٣٧.

⁽¹⁵⁾ عبد الملك مرتاض: «الأمثال الشعبية الجزائرية»، ص ٦٣.

⁽¹⁶⁾ عبد الملك مرتاض: «الأمثال الشعبية الجزائرية»، ص ٦٧.

والرضا عن الذات وفعاليتها، ويتجنب مختلف العقد النفسية التي تسببها مشاعر الإحباط والشعور بالنقص والخجل والنفور والكآبة⁽¹⁾، ويقولون « يوضع سره في أضعف خلقه»⁽²⁾ وهكذا المثل يدعو لعدم استصغار الناس واحتقارهم، وفي التأكيد على عدم الاهتمام بالمظاهر يقول المثل: «الرجل من الفحم، يعي بالقفة واللحم»⁽³⁾، و«زين العويد يضحي جويد»⁽⁴⁾ والمثل قد حرص على أن يستر الشخص عيوبه وعيوب الناس، ولا يحتقر الإنسان أخاه الإنسان فيقولون: « من عاير أبتلي ولو بعد حين»⁽⁵⁾ و«ضحكة ويضحك»⁽⁶⁾ و«الجمل أيشوف غي لعرورة خوه»⁽⁷⁾، فالإنسان لا يجب أن يتبع عيوب الناس ويلوكها بالكلام، وفي الوقت نفسه حرص المثل الشعبي أن يعرف كل إنسان قدراته التي يمكن أن يصل إليها في الواقع، ولا ينظر إلى الحياة بنظرة مثالية فيسعى إلى تحقيق أشياء فوق إمكانياته، يقول المثل على لسان الجمل « قالوا للجمل زمر قال لا شنايف ملمومة ولا صواب مفسرة»⁽⁸⁾ و«قالوا للجمل غني قال لا حسن ولا حنك مساوي»⁽⁹⁾ و« قالوا للدبة طرزي قالت هي خفة أيادي»⁽¹⁰⁾ وهذه الأمثال تؤكد على الإنسان أن يتخذ من ذاته منطلقاً لقدراته، التي يسعى لإشباع احتياجاته حسب هذه القدرات حتى يحس بالرضا عن نفسه ويتخلص من الإحساس بالنقص والدونية حتى وإن كان يعاني من قصور عضوية أو حتى عقلية.

٣- الأمثال الشعبية وعلاقتها بالميكانيزمات الدفاعية النفسية:

تعتبر الميكانيزمات الدفاعية النفسية بمثابة حيل وأساليب يلجأ إليها الفرد لتحقيق توافقه إذا لم يستطع أن يحققه دونها، وهي أساليب لاشعورية يقوم بها الفرد لتسويه وتزييف الحقيقة حتى يتخلص من حالة القلق والتوتر ومشاعر الإحباط التي تعثيره ولحفظ توازنه النفسي.

وفيما لي بعض الأمثال الشعبية التي ترتبط بالميكانيزمات الدفاعية النفسية:

١. التبرير: يلجأ الفرد إلى آلية التبرير حينما يقوم بعمل غير مقبول فيبحث عن مسوغات مقبولة من الغير لعدم قدرته على التصريح بالفشل وبالتالي إثارة القلق والشعور بالأذى، فنجد من الأمثال الشعبية المثل التالي: "الذيب مين ما يلحقش العنقود يقول حامض"⁽¹¹⁾، و"تارك الصلاة يقول باب الجامع مبلع"⁽¹²⁾، أي تبرير لاشعوري عن عدم قدرة الفرد

(1) فقيه العيد: المرجع نفسه، ص ٥٧.

(2) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٦٩.

(3) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٩٥.

(4) عبد الملك مرتاض: «الأمثال الشعبية الجزائرية»، ص ١٤٦.

(5) وفاء الخناجري: المرجع السابق، ص ٩٨.

(6) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ١٠١.

(7) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٤٠.

(8) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٣٢.

(9) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٣٣.

(10) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٣٣.

(11) قادة بوتارن: المرجع نفسه، ص ٨٣.

(12) قادة بوتارن: المرجع نفسه، ص ٨٣.

مجاراة أعباء العبادة والطقوس الدينية، و"اللي عمزُو ما خُلب ما رتب يقول الربيع ما زالت"⁽¹⁾ و"الثعلب إذا أنجا يقول: اللي عند هذا الكشاف ما يخاف وإذا قبضوه يقول: اللي وراه هذا المتبع ما يمنع"⁽²⁾، ويقولون أيضا: "قالت الحاجة: ريشة خير من كُشة"⁽³⁾، و"أكل الفلاح تفاح قال الفجل أحسن"⁽⁴⁾. فهذه الأمثال تبين أنّ الفرد وجد أنّه من الصعب أن يصرّح بأنّه فشل في الوصول إلى هدف ما فيعطي أسبابا منطقية يقبلها العقل، مع أنّها ليست الأسباب الحقيقية لهذا السلوك.

٢. الإزاحة: ويطلق على هذا الميكانيزم أيضا "النقل" والتحويل والإبدال، ومعناه إعادة توجيه الانفعالات العدائية المكبوتة نحو أشخاص أو موضوعات غير الأشخاص أو الموضوعات الأصلية التي سببت الانفعالات مثل المثل القائل: "شكون محقورتي هي طاطة ختي"⁽⁵⁾، و"ألي ما قدش على لعمار يقدر على البردعة"⁽⁶⁾، و"مغلوبتي مرتي"⁽⁷⁾، وقولهم أيضا: "كيغلبوهالديوكة يعود لمُلوكة"⁽⁸⁾، و"كي الدبان ما يحطش إلا على العيان"⁽⁹⁾، و"وكي القراد ما يركبش إلا الجئة الضعيفة"⁽¹⁰⁾، وقولهم: "أيسيب اللي ذبح ويمسك اللي سلخ"⁽¹¹⁾، و"إذا ريتّها غلبه ردها صحبة"⁽¹²⁾، فهذه الأمثال تبين أنّ الفرد وجد منعكسا في موضوع جديد انزاح إليه أو تنقل إليه لإشباع طاقة الموضوع الأصلي لعدم ملاءمتها اجتماعيا.

٣. التعميم: ومعناه تعميم تجربة أو خبرة معيّنة على سائر التجارب أو الخبرات المتشابهة ومنها المثل الذي يقول: "المقروص من الثعبان يخاف من الجبل"⁽¹³⁾، و"مالك مرعوبة قالت من ديك النوبة"⁽¹⁴⁾، وقولهم: "اللي ترقصه الحية من الجبل يخاف"⁽¹⁵⁾، و"ألي تلسعه الشربة، ينفخ في الزبادي"⁽¹⁶⁾، و"لا الثعبان ينسى قطع ذيله ولا الحاوي ينسى موت ابنه"⁽¹⁷⁾، وقولهم: "أخاف من خيالو"⁽¹⁸⁾، وقولهم: "الريحة الي في الكلب في خوه"⁽¹⁾،

(1) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٤٦٥.

(2) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٨٠.

(3) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ١٩٥.

(4) رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ١٦٠.

(5) قادة بوتارن: المرجع نفسه، ص ١٠٢.

(6) قادة بوتارن: المرجع نفسه، ص ١٠٣.

(7) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٢٥٤.

(8) رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ١٢٢.

(9) قادة بوتارن: المرجع نفسه، ص ٩٦.

(10) قادة بوتارن: المرجع نفسه، ص ٩٦.

(11) قادة بوتارن: المرجع نفسه، ص ١٠٥.

(12) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ١٥.

(13) وفاء الحناجري: المرجع نفسه، ص ٧٩.

(14) وفاء الحناجري: المرجع نفسه، ص ٧٨.

(15) رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ٧٧.

(16) وفاء الحناجري: المرجع نفسه، ص ٧٧.

(17) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٧٨.

(18) عبد الملك مرتاض: "الأمثال الشعبية الجزائرية"، ص ١٠٣.

وفي هذه الأمثال تعميم لتجربة قد وقع فيها الفرد في حياته، أو صادف أو وقعت لأحد أقرابه أو أصدقائه، فيعممها على كل التجارب المشابهة دون اللجوء إلى التفريق بين الملاحظات والمواقف التي قد تختلف فيها التجارب.

٤. الإسقاط: هو عملية لاشعورية بمقتضاها نفسر سلوك الآخرين وتصرفاتهم وفقا لما هو في نفوسنا⁽²⁾. فنجد في الأمثال الشعبية المثل التالي: "الجمال يشوف غي للحدبة نتاع خوه"⁽³⁾ "الجمال يشوف غير لِعَزْغُورَةَ حُوءة"⁽⁴⁾، "الشبكة تعابر الغريال وتقول عينيك كبار"⁽⁵⁾، و"المسلوخة تعيب على المذبوحة"⁽⁶⁾، و"عيبت القَدْرَةَ على المغرفة قالت لها يا سودة ومغرفة"⁽⁷⁾. فالدلالة في هذه الأمثال الشعبية تكمن في ذلك الإسقاط اللاشعوري لمجموعة من الصفات أو السمات أو المشاعر غير المرغوب فيها والتي يتسم بها الفرد وتؤرقنفسيته وتوجهها أو إسقاطها على الآخر بهدف تخفيض حدّة التوتر التي تسببه له.

٥. النكوص: معناه التقهقر إلى مستوى غير ناضج من السلوك ويلجأ إليه لمقابلة صراع يمثل تهديدا شديدا للفرد، كأن يرجع الشيخ إلى فترة المراهقة، ومن الأمثلة التي تشير إلى ذلك: "شايب وعايب"⁽⁸⁾، وقولهم: "الوجه وجه حاج والطبع ما يتغيرش"⁽⁹⁾، و"الإنسان أولو صغير وأخرو صغير"⁽¹⁰⁾، وقولهم أيضا: "الشّايب ما يتربّي والجبل وما يتعجّي"⁽¹¹⁾، و"نهيبك والطبع فيك غالب، وذيل الكلب ما يتعدّل ولو علقوا فيه قالب"⁽¹²⁾.

فالدلالة النفسية لهذه الأمثال توضح النكوص الذي قد يتعرض له الفرد وذلك بالتماس بعض التصرفات في سلوكياته هي أقلّ نضجا مما يجب أن يكون عليه الفرد في هذه المرحلة، أو كأن يعود الفرد للعيش مع الماضي وذكرياته كما يقول المثل التالي: "الليحفاتلو يتفكر ما فاتلو"⁽¹³⁾، أو نجد الفرد يتخذ النكوص كوسيلة للتهرب من المسؤولية أو ليجنب نفسه الشعور بالعجز والفشل.

٦. التعويض: هو عبارة عن عملية يتمّ بها إشباع الأنا عن طريق التغلب على مشاعر النقص التي يشعر بها عن أسباب حقيقية نتيجة لقصور أو عاهات أو لأسباب وهمية ناتجة عن انتقاده، فالفرد المعرض لمشاعر النقص، يجد من المهمّ

⁽¹⁾ جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ١٣٣.

⁽²⁾ أمين القريطي: "في الصحة النفسية" دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998، ص ١٦٢.

⁽³⁾ قادة بوتارن: المرجع نفسه، ص ١٤٠.

⁽⁴⁾ رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ٤٠.

⁽⁵⁾ رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ٨٢.

⁽⁶⁾ قادة بوتارن: المرجع نفسه، ص ٥٢.

⁽⁷⁾ قادة بوتارن: المرجع نفسه، ص ٥٣.

⁽⁸⁾ وفاء الحناجري: المرجع نفسه، ص ٢٠٧.

⁽⁹⁾ وفاء الحناجري: المرجع نفسه، ص ٦٤.

⁽¹⁰⁾ جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٦٢.

⁽¹¹⁾ جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ١٤٦.

⁽¹²⁾ جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٦٤.

⁽¹³⁾ قادة بوتارن: المرجع نفسه، ص ٦٢.

اللجوء لعملية التعويض التي قد تكون عاملا مساعدا على التوافق باعتباره أنه يقلل من مشاعر التوتر والقلق⁽¹⁾. ونذكر في ذلك الأمثال التالية: "قالوا للبلع منين أبوك قال الفرس خالي"⁽²⁾، و"القرعة تتباهى بشعر بنت ختها"⁽³⁾، و"الجارية تتباهى بحسن سيدتها"⁽⁴⁾، وهذه الأمثال الشعبية تبين ميكانيزم التعويض الذي يؤدي إلى إنكار الحقائق والتمويه الذي قد يساهم في سدّ أوجه النقص ببعض التصرفات الشاذة التي يستخدمها للظهور بمظهر غير المظهر الحقيقي له كما يقول المثل: "عمشة وعاملة مكحلة"⁽⁵⁾ و"أخرس وعامل قاضي"⁽⁶⁾، وقولهم: "يا لمزوّق من برّه واش حالك من الدّاخل"⁽⁷⁾. فكل هذه التصرفات إنّما هي نوع من التفاخر أو المظهرية الزائفة أو التحذلق في الكلام الذي إنّما هي مجرد مظاهر للتعويض فقط.

٧. العزل: معناه إنّّه تظهر في سلوكيات الفرد في صورة متناقضة؛ أي أنّ أساس الرابطة بين المعارف والأفعال تقوم على أنماط السلوك المتناقض، وهي محاولة لإخفاء الدوافع التي لا يرضى عنها الفرد أو المجتمع فيكبتها، والتعبير عنها بدوافع مضادة، وقد أشارت بعض الأمثال إلى آلية العزل ومنها: "قتلوا وراح يعزي فيه"⁽⁸⁾، و"لسان لحلاح والقلب ذبّاح"⁽⁹⁾، وقولهم: "يبيع القرد ويضحك على آلي يشريه"⁽¹⁰⁾، وقولهم أيضا: "الاسم مليح والفعل قبيح"⁽¹¹⁾، و"يفتي في البيرة ويبلغ المنجل"⁽¹²⁾، و"متبرقعها ورجلها عريانين"⁽¹³⁾، و"حامها حرمها"⁽¹⁴⁾، و"السن يضحك للسنو" عاملة الخللخال في رجلها والحفاء ياكل فيها"⁽¹⁵⁾، و"لسانو لسان أبو بكر وقلبو قلب أبو جهل"⁽¹⁶⁾.

(1) أمين القريطي: المرجع نفسه، ص ١٥٦.

(2) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٥٧.

(3) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٥٧.

(4) اوفاء الخناجري: لمرجع نفسه، ص ٨٢.

(5) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٧٥.

(6) عبد الرحمن مشهور: المرجع نفسه، ص ٨٩.

(7) عبد الرحمن مشهور: المرجع نفسه، ص ٩٠.

(8) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ١٩٩.

(9) رايح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ٧٢.

(10) ارايح خلدوسي: لمرجع نفسه، ص ٢٢٢.

(11) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٢٢.

(12) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢١٦.

(13) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٢٢١.

(14) وفاء الخناجري: المرجع نفسه، ص ٩٣.

(15) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ١٦٩.

(16) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٢٢٩.

و"رجلها محنية ووذنها مطويه (مسخة)"⁽¹⁾. إذا ففي هذه الأمثال يتضح ردّ الفعل العكسي الذي يؤدي بشكل من الأشكال إلى التقليل من القلق والتوتر الذي يسفر عنه الفعل الأصلي كمن يتكلم مثلا عن الشجاعة بنوع من المبالغة والتشذوق، إنّما قد يكون ذلك تكوينا عكسيا لمشاعر الجبن والخوف.

٨. الكبت: يعرف الكبت بأنه العملية اللاشعورية التي تستبعد "الأنا" بمقتضاها كل ما تراه مؤلما ومحزنا من مستوى الشعور (الوعي والإدراك) إلى مستوى اللاشعور (اللاوعي) فإن بقيت في شعور الفرد فإتّها تمثل تهديدا لحياته ويفسّر الكبت بتفسيرين:

- أنّ المواد المحظورة تبقى كامنة وبالتالي تعطي الفرصة للفرد أن يعيش حياة هادئة.

- أنّها لا تكون مستقرة بل يظلّ في نشاط دائم وفعل، فيبقى هناك صراع نفسي لاشعوري إلى أن يأتي اليوم الذي تعبر فيه الأشياء عن نفسها عن طريق وسائل التعبير اللاشعوري كهفوات اللسان أو زلّات القلم⁽²⁾. ومن الأمثال الشعبية التي تشير إلى الكبت قولهم: "النار تحت التبن"⁽³⁾، وقولهم أيضا: "ما قال لا مرّة ولا حلوة"⁽⁴⁾، وهذا يدلّ على عدم القدرة على الإدلاء بالرأي، وحبس كلامه من دون الإفصاح عنه، وقولهم: "يا قلبي كتاكيت يا ما أنت شايلى يا قلبي وساكت"⁽⁵⁾. وقولهم: "خلّما في جواها حتّى تجبر دواها"⁽⁶⁾. هذه الأمثال تشير إلى استخدام ميكانيزم الكبت لخفض التوتر وتحقيق قدر من التكيف والتوافق.

٩. العدوانية: حيلة دفاعية تتخذها "الأنا" اللاشعورية لخفض توترها الناجم عن الإحباط أو الفشل في تحقيق الإشباع والأهداف، إذ يتمّ بصورة غير مباشرة ولا إرادية عن طريق ما يستعمل بإزاحة الطاقة أو المشاعر العدوانية من مثير أو مصدر أصلي للإحباط وتوجيهها لا شعوريا إلى مثير آخر، يفرغ فيه الفرد طاقته العدوانية دون أن يعي الأسباب الموضوعية لذلك⁽⁷⁾.

والعدوانية هي آلة نفسية تقوم على إيذاء الآخر بطريقة مباشرة، أو عن طريق هجوم يوجه نحوه كالكيد والاستخفاف والهزاء وغيرها من أساليب الإيذاء، من الأمثال الشعبية التي ركّزت على الإيذاء، المثل التالي: "أعطيه النار يعطيك النور"⁽⁸⁾، وقولهم: "زير سنّيك يرتخفوا سنّين صاحبك"⁽⁹⁾، و"كي مسمار جحا"⁽¹⁰⁾، و"كي الكلب تضربو وتعطيلو

(1) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ١٣١

(2) أمين القريطي: المرجع نفسه، ص ١٤٥.

(3) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ١٠٩.

(4) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٢٤٠.

(5) عبد الرحمن مشهور: المرجع نفسه، ص ٦٩.

(6) عبد الرحمن مشهور: المرجع نفسه، ص ٧٠.

(7) يوسف محمد فرصوص: "العلاج بالتحليل النفسي"، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2003، ص ٤٧.

(8) وفاء الحناجري: المرجع نفسه، ص ١٠.

(9) رابع خلدوسي: المرجع نفسه، ص ٧٣.

(10) جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٢٢٧.

يرجع ليك يمشي ويفرح"⁽¹⁾، و"مسعود مدلولوالشاقور"⁽²⁾، و"أضربه على التبن ينسى الشعير"⁽³⁾، و"أضرب واهرب"⁽⁴⁾، و"أعطوني خديجة وإلا نريّب متيجة"⁽⁵⁾.

و"إذا ضربت نسيبتك غير فلقها"⁽⁶⁾. فهذه الأمثال تحثّ على العدوانية وأخذ الحق باليد، أمّا عن الإيذاء بالقول، فيقول المثل: "لو كان ما لمعاير ما يخرجو النساء حراير"⁽⁷⁾، و"أدهيه تصيب خاطر فيه"⁽⁸⁾، أي عبّه وتنقص من قيمته، وقولهم: "أخسر وفارق"⁽⁹⁾، أي من تخسره بالإيذاء فارقه.

١٠. السلبية: وهي مقاومة الضغوط والمسؤوليات أو الواجبات، حيث يفعل الشخص عكس ما يطلب منه، أو يتجنب فعله بالصمت أو المعارضة أو الرفض أو التمرد وغيرها من السلوكات السلبية. ومن الأمثال الشعبية ما يلي: "أنا بالمغرب لفمّه وهو بالعود لعيني"⁽¹⁰⁾، و"أجعلني غابة والناس فيا حطابة وجميع من أدّى مّيّ عود ينحرق بيه"⁽¹¹⁾، و"أتحبك حبوبة وتاكلك كلبة مكلوبة"⁽¹²⁾، و"حج وزار بير زمزم وجاء للبلال متحزّم"⁽¹³⁾. فهذه الأمثال توجي للسلبية إمّا عن طريق التمرد عن الواقع أو تجنب مشاكل وضغوط الحياة من أجل خفض حدّة التوتر والقلق الذي تسببه هذه المواجهة.

١١. الانسحاب: هو الانعزال والابتعاد عن الآخر الذي هو مصدر القلق والتوتر والإحباط الشديد، كنتيجة لعدم القدرة على مقاومة العوامل الخارجية، فتوجه فيه الطاقة من الداخل نحو الداخل، وتكون أسهل طريقة في مواجهة التهديد والمواقف الضاغطة هي الانسحاب.

ومن أهمّ صور الانسحاب: أحلام اليقظة والنوم، وكذا استخدام العقاقير والكحوليات وقد يلجأ إلى التمارض ليخفف ممّا يعانیه من إحباط وتوتر وقلق⁽¹⁴⁾.

⁽¹⁾ جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٢٢٢.

⁽²⁾ جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٢٥٢.

⁽³⁾ رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ٩.

⁽⁴⁾ رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ١٦.

⁽⁵⁾ رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ١٦.

⁽⁶⁾ رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ٢٠.

⁽⁷⁾ جعكور مسعود: المرجع نفسه، ص ٢٣٠.

⁽⁸⁾ رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ٩.

⁽⁹⁾ رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ٩.

⁽¹⁰⁾ رايح خدوسي: المرجع السابق، ص ١٦.

⁽¹¹⁾ رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ١٧.

⁽¹²⁾ رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ٢٥.

⁽¹³⁾ رايح خدوسي: المرجع نفسه، ص ٤٦.

⁽¹⁴⁾ عباس محمد عوض: "مدخل إلى الأسس النفسية والفيزيولوجية للسلوك" دار المعرفة، 1980، ص ١١٨.

ومن الأمثال الشعبية التي تصوّر مظاهر الانسحاب ما يلي: "الناعس غطيه"⁽¹⁾، و"داير كالزير المتكّي، لا يضحك ولا يبكي"⁽²⁾، و"السكران سلطان نفسه"⁽³⁾، و"ألي جبر ديار الناس خير من دارو يدعي عليها بالخلا"⁽⁴⁾. وهذه الأمثال تشير إلى أسهل طريقة في مواجهة التهديد والمواقف الضاغطة عن طريق ميكانيزم الانسحاب والحصول على الإشباع بأقل جهد.

خاتمة:

إن المثل الشعبي منتوج عقلية شعبية، مضامينه السيكولوجية والسوسولوجية لها علاقة بثقافة المجتمع، حيث تنعكس الخصائص السائدة للنسق الانفعالي على سلوك الأفراد واعتقاداتهم وبالتالي على شخصيتهم بالسواء واللاسواء وقد تنعكس سلبا على حياة الأفراد النفسية فينتج ما نسميه بالأمراض الثقافية، التي يتم تبادلها عن طريق نقل هذه الأساليب الحياتية من جيل إلى جيل، لذلك وجب على كل أمة من الأمم العناية بالعناصر الثقافية المشكلة للهوية لأنها تساعد الفرد على معرفة وجوده الذاتي وإعطاء معنى للعالم الخارجي، مما يساعده على التوافق النفسي.

قائمة المصادر والمراجع:

١. الخناجري وفاء: "الأمثال في حياتنا اليومية"، مصر، ط٢، دت.
٢. بورتان قادة: "الأمثال الشعبية الجزائرية"، تحقيق عبد الرحمان حاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨١.
٣. الميداني محمد بن أحمد: «مجمع الأمثال»، تحقيق جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت، ج ١، ط ١٩٥٠.
٤. السيوطي جلال الدين: «المزهر في علوم اللغة وأنواعها»، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج ١، ط ١٩٥٣.
٥. ابن عبد ربه: «العقد الفريد»، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٩٣، ١٩٧٠.
٦. أمين أحمد: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية»، لجنة التأليف والترجمة، مصر، ١٩٥٣.
٧. الحنفي جلال: «الأمثال البغدادية»، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٦.
٨. مرتاض عبد الملك: «دلالة المثل والحكم الشعبية على نقاوة عاميتنا»، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، ع ٣٣، ١٩٩٠.
٩. جعكور مسعود: «حكم وأمثال شعبية جزائرية»، دار الهدى، الجزائر، ٢٠٠٠.
١٠. أبو زيد أحمد: «دراسات في الفولكلور»، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٠.
١١. الحديثي طلال سالم: «من التراث الشعبي في العراق»، وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٠.
١٢. شعلان إبراهيم أحمد: «الشعب المصري في أمثاله العربية»، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٧٢.

(١) راجح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ٣٥.

(٢) راجح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ٦٠.

(٣) راجح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ٦٧.

(٤) راجح خلدوسي: المرجع نفسه، ص ٦٨.

١٣. مشهور عبد الرحمن: «قطوف الأمثال الشعبية»، مكتبة جزيرة الورد، مصر ٢٠٠٢.
١٤. خدوسي رايح: «موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية»، دار الحضارة، الجزائر، ط٢٠٠٩.
١٥. الغزالي أبو حامد: «إحياء علوم الدين»، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج١٩٩٥.
١٦. القريطي أمين: "في الصحة النفسية" دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، 1998.
١٧. فرصوصيوسف محمد: "العلاج بالتحليل النفسي"، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2003.
١٨. عوض عباس محمد: "مدخل إلى الأسس النفسية والفيزيولوجية للسلوك" دار المعرفة، 1980.

تدريس الفلسفة بالتعليم الثانوي التأهيلي ومسألة النقل الديدانكتيكي

د. بربزي عبد الله / جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب

ملخص:

يروم هذا المقال فحص افتراض مفاده أن النقل الديدانكتيكي للمفاهيم والمعارف الفلسفية يطرح صعوبات على مستوى الممارسة التعليمية لمدرس مادة الفلسفة. والعملية التعليمية للمتعلم المبتدئ، إذ تكمن صعوبة تدريس الفلسفة بالنسبة للمدرس في الجانب الديدانكتيكي أي طرق ووسائل تبليغ مضامين ومفاهيم فلسفية مجردة إلى المتعلمين، وما يثيره من مفارقات تظهر في تبسيط هذا الخطاب والنزول به إلى مستوى الخطاب العامي ومن تم إفراغه من خصوصيته الفلسفية باعتباره خطاب عقلاني مفاهيمي تجريدي حجاجي ومنطقي، إلا أن الإبقاء على هذا الخطاب والحفاظ على صرامته ودقته ولغته وتقنياته المنطقية فيه مخاطرة عدم التواصل مع المتعلمين.

تظهر صعوبة تعلم الفلسفة بالنسبة للمتعلم المبتدئ في إحساسه باختلاف وابتعاد الخطاب الفلسفي المتسم بالتجريد والعقلانية الصارمة عن الخطاب التجريبي المشخص والمألوف.

ولتحقيق الهدف أعلاه حاولنا في هذا المقال معالجة مسألة النقل الديدانكتيكي في الدرس الفلسفية انطلاقاً من الوقوف عند أهم الصعوبات التي تطرحها الممارسة البيداغوجية الصفية، حيث تبين أن هناك صعوبات ترتبط بطبيعة الخطاب الفلسفي نفسه سواء من حيث ترجمته أو تبليغه، إضافة إلى المتعلم الذي ينقل إليه هذا الخطاب وضرورة مخاطبته معرفياً ووجدانياً ومعرفياً، وكذلك المدرس ناقل هذا الخطاب باعتباره الوسيط بين المعرفة الفلسفية والمتعلم، وشرنا باقتضاب إلى تصور المنهاج المدرسي المغربي للدرس الفلسفي وما يقوم عليه من مبادئ ومركبات، واستنتجنا أنه لا يمكن للممارس البيداغوجي للدرس الفلسفي أن يستغني عن الإسهامات التي تقدمها علوم التربية في ما يخص العملية التعليمية التعلمية برمتها وعملية النقل الديدانكتيكي بصفة خاصة حيث استفادت هذه الأخيرة بالفعل، في كثير من جوانبها، مما وصلت إليه الدراسات والأبحاث في عدد من فروع علوم التربية، خاصة ما يتصل منها بشكل مباشر بالفعل التعليمي وبشروط إنجازه.

وهكذا تم استثمار معطيات فلسفة التربية في تحديد أهداف التربية وقيمتها وإمكانياتها وحدودها. كما تم استثمار معطيات سيكولوجية التربية في تحديد أساليب التعامل مع المتعلم. وتم كذلك استثمار معطيات سيكوسوسيولوجية التربية في رصد الظواهر السيكوسوسيولوجية السائدة داخل الفصل، ووعي مستوى العلاقات بين المتعلمين والمدرس، وضبط عوامل تحسين مناخ الفصل ليكون أرضية تعلم ملائمة حقاً. وتم أيضاً استثمار معطيات سيكولوجية التربية في إدراك ووعي البعد الاجتماعي الذي يتحكم في العملية التعليمية التعلمية ومختلف التأثيرات التي يحدثها فيها.

الكلمات المفتاحية: التدريس، الفلسفة، البيداغوجيا، الديدانكتيك، النقل الديدانكتيكي، المعرفة، المتعلم، المدرس، المنهاج المدرسي، التعليم، التعلم.

تقديم:

تشكل المكونات البنائية للنسق الديدانكتيكي من المدرس والمتعلم والمادة المعرفية ويمكن اعتبار الوصول إلى تحقيق التوازن بين هذه المكونات الأفق المنشود للأبحاث والتجارب الديدانكتيكية، ولقد حظي مكونا المدرس والمتعلم باهتمام الباحثين في علو التربية والتدريس، غير أن مكون المعرفة ظل كثيرا من الأحيان مهمشا في مجال البحث البيداغوجي والديدانكتيكي عامة والممارسة التدريسية خاصة، ويعتبر مفهوم النقل الديدانكتيكي من أبرز المفاهيم التي تطرح إشكالات ابيستمولوجية وبيداغوجية في مجال التدريس.

إن الوضعية البنائية التي يحياها الباحث بين المعرفة العاملة والمعرفة المدرسية تفرض عليه حركية دائمة لا يعرف معها الاستقرار انه يحلم باستمرار بالعودة إلى أحضان الأب العالم/الفيلسوف لكنه يخشى في الوقت ذاته الانفصال عن إشكالية المدرس وهمومه العلمية وتزداد هذه الوضعية تعقدا عندما يتعلق الأمر بالدرس الفلسفي.

ينطلق هذا المقال من افتراض مفاده أن النقل الديدانكتيكي للمفاهيم والمعارف الفلسفية يطرح صعوبات على مستوى الممارسة التعليمية لمدرس مادة الفلسفة. والعملية التعليمية للمتعلم المبتدئ، إذ تكمن صعوبة تدريس الفلسفة بالنسبة للمدرس في الجانب الديدانكتيكي أي طرق ووسائل تبليغ مضامين ومفاهيم فلسفية مجردة إلى المتعلمين، وما يثيره من مفارقات تظهر في تبسيط هذا الخطاب والزول به إلى مستوى الخطاب العامي ومن تم إفراغه من خصوصيته الفلسفية باعتباره خطاب عقلاني مفاهيمي تجريدي حجاجي ومنطقي⁽¹⁾، إلا أن الإبقاء على هذا الخطاب والحفاظ على صرامته ودقته ولغته وتقنياته المنطقية فيه مخاطرة عدم التواصل مع المتعلمين⁽²⁾.

تظهر صعوبة تعلم الفلسفة بالنسبة للمتعلم المبتدئ في إحساسه باختلاف وابتعاد الخطاب الفلسفي المتسم بالتجريد والعقلانية الصارمة عن الخطاب التجريبي المشخص والمألوف. تطرح هذه المفارقة السؤال التالي: إلى أي حد يمكن للنقل الديدانكتيكي في الدرس الفلسفي أن يحقق الأهداف المنشودة من هذا الدرس بالنسبة للمتعلم دون المساس بخصوصياته؟ ما هي أهم الصعوبات التي تعترض النقل الديدانكتيكي للمضامين الفلسفية بالتعليم الثانوي التأهيلي؟ وهل يمكن أن يساهم انفتاح الدرس الفلسفي على علوم التربية في تيسير وتسهيل النقل الديدانكتيكي للمضامين الفلسفية للمتعلمين وبالتالي تعلم التفلسف؟

١- النقل الديدانكتيكي: المعنى والدلالة :

قبل أن نباشر الحديث عن صعوبات النقل الديدانكتيكي في الدرس الفلسفي لا بد أن نبدأ بإزالة قلق العبارة أي محاولة تحديد مفهومي الديدانكتيك والنقل الديدانكتيكي.

يرى ميالاري⁽³⁾ ١٩٧٩ أن الديدانكتيك هو مجموعة من الأساليب والطرق والتقنيات المستعملة في التعليم/التدريس، وهو علم من علوم التربية له قواعده ونظرياته، موضوعه هو العملية التعليمية التعلمية، ويقدم المعلومات والمعطيات

¹- Michele le Doeuff () : l'imaginaire philosophique , klincksiek, paris ,page 9

² - الحسين سبحان (يناير ١٩٩٢) : الأمثلة في درس الفلسفة ، مجلة البحث الديدانكتيكي " ديدلكتيكا" العدد ٢ ص ٧٢ - ٧٣

الضرورية للتخطيط. ويرتبط أساسا بالمواد الدراسية من حيث المضمون والتخطيط لها، وفق الحاجات والأهداف والقوانين العامة للتعليم، وكذا الوسائل وطرق التبليغ والتقويم.

١-١- النقل الديدداكتيكي *transposition didactique*

يرجع استعمال هذا المفهوم لأول مرة إلى عالم الاجتماع فيري م. ١٩٧٠ Verret، وقد حظي هذا المفهوم باهتمام كبير وشاع تداوله بعد استعماله في دراسته حول مادة الرياضيات من قبل Chevallard، ويعرف النقل الديدداكتيكي بأنه العمل الذي يجعل موضوع معرفة ما موضوعا تعليميا، ويحيل هذا المفهوم على عبور المعرفة العاملة (بكسر اللام) إلى المعرفة المتعلمة أي على المسافة التي تفصل بينهما، وكذا على القطيعة التي ينبغي أن يحدثها علم الديدداكتيك مع باقي العلوم والمعارف الأخرى حتى يتمكن من صياغة موضوعه الخاص^(١)، ويحدث هذا النقل تغييرا في صورة المعرفة العاملة لكي تصبح قابلة للتعلم، فالمعرفة المتعلمة هي بالضرورة شيء آخر غير المعرفة العاملة.

٢-١- مسارات المعرفة من خلال عملية النقل الديدداكتيكي :

ويتم التخطيط لعبور المعرفة من مجال التخصص العلمي إلى مجال التعليم كآلاتي:

موضوع المعرفة	الموضوع الواجب تعليمه	موضوع التعليم
Objet de savoir	Objet d'enseignement	Objet à enseigné

يمكن بسط هذه المحطات في ما يلي:

يحيل موضوع المعرفة على بيئته الأصلية وهي بيئة المتخصصين، وتتميز المعرفة في هذه البيئة بالتعقيد والتجريد والتحول المستمر، أما الموضوع الواجب تعليمه فيوجد في البرامج الرسمية والكتب المدرسية " وإن كانت هذه المعرفة مستقاة من المعرفة العلمية، فإنها تختلف عنها على الأقل لأنها معرفة مغلقة (فالبرامج تحددتها) بينما المعرفة العلمية مفتوحة"^(٢).

يجد موضوع المعرفة أصوله الأولى في المعرفة العاملة فهو يعرف بهذه الصفة من قبل المجموعة العلمية غير أن حيازته لهذا الاعتراف لا يجعل منه بالضرورة موضوعا قابلا للتدريس وفق الشكل الذي يوجد عليه، إذ تستدعي المقتضيات التعليمية استحضار مسلمات معينة تضمن استلال هذا الموضوع من مجاله "العالم" قصد إدماجه بشكل ملائم في إطار خطاب ديدداكتيكي.

^١- Ives Chavallard (1991) : La transposition didactique du savoir savant du savoir enseigné, la pensée sauvage éditions , paris page 15

^٢- أحمد شيشوب (يوليو ١٩٩٢): "مدخل إلى بيداغوجيا المواد " مجلة الدراسات النفسية والتربوية " العدد ١٣ ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب - ص ٩٧.

وهناك تبايناً في النظر عند تقويم نتائج عملية نقل المعرفة العالمية، حيث هناك من يذهب إلى أن النقل ليس مجرد تحويل بريء للمعرفة من مجال إلى آخر، ولكنه إجراء يمس قيمة هذه المعرفة ويحط من قدرها^(١)، وهناك في المقابل رأي مغاير لبعض البيداغوجيين الذي يرون أن التسليم المبدئي باختلاف المعرفة العالمية عن المعرفة المدرسية، لا يمكن إلا أن تؤدي بالضرورة إلى نتائج وممارسات عملية مختلفة^(٢).

أما الموضوع الواجب تعليمه " فيستقي مادته من السياسة التربوية بما تقوم عليه من غايات وأغراض وأهداف تعليمية، وتعمل البرامج التعليمية والكتب المدرسية ووثائق التوجيهات التربوية على الترجمة الإجرائية لمقتضيات هذا الموضوع، فيتم تفكيك هذا الأخير في ثنايا أبواب وفصول وفقرات الدروس، ومن أهم ميزات المعارف الواجب تعليمها:

- تندرج في إطار الإرث الثقافي والحضاري الذي تتناقله أجيال المجتمع جيلاً بعد جيل.

- تعتبر بمثابة رأسمال رمزي ينقله الآباء إلى الأبناء أي أن المعارف الواجب تعليمها محملة بالقيم والاتجاهات التربوية التي تحرص المؤسسة على ضرورة توفيقها بين القيم الكونية العامة وقيم العصر الذي توجد المؤسسة في سياقه التاريخي.

ومن مظاهر اختلاف المعرفة العالمية عن المعرفة المدرسية أي أن الأولى تتسم بالاتساع والانفتاح والتغير والوفاء لأغراض علمية صرفة، بينما نجد الثانية محكومة بالانغلاق والانتقاء خدمة لأهداف مشروع مجتمعي ضمني ترسم معالمه عبارات التوجيهات التربوية الرسمية، ومقدمات الكتب المدرسية والمداخل النظرية للمناهج التعليمية.

ويتمثل موضوع التدريس في المعرفة المتداولة في القسم والتي تستقي محتوياتها من المعرفة الواجب تعليمها، وهي موجودة في البرامج والكتب المدرسية، كما يتأثر بروافد أخرى نخص منها بالذكر مواضيع الاختبارات وتوجيهات المراقبة التربوية والملتقيات البيداغوجية والحلقات التكوينية التي تنظم لفائدة المدرسين^(٣). إضافة إلى كونها تظل إلى حد ما متمسكة بخصوصيات الأجواء التربوية التي تمارس فيها وبرؤية الفاعلين التربويين وتنوع أساليبهم ووسائلهم وطرقهم في مجال التدريس، فليس من الضروري أن يدرس كافة الأساتذة نفس الدرس بنفس الطريقة رغم اعتمادهم لنفس المنهجية، كما أنه من النادر أن يولي كافة المدرسين الأهمية ذاتها لنفس المقاطع من البرنامج الدراسي.

فلا بد من وجود اختلافات وتباينات بينهم تطفو على سطح الأداء والإنجاز بكيفية يمكن الاستنتاج معها بأن المعرفة الواجب تعليمها إذا كانت تسعى إلى توحيد الرؤى والممارسات، فإن المعرفة المعلمة تكشف عن تعدد وتنوع هذه الرؤى، لأن الواقعة التعليمية واقعة فريدة في الزمن لا يمكن اجترارها أو استنساخها ولو تعلق الأمر بنفس الفاعل - المدرس - ونفس الجمهور - التلاميذ^(٤).

^١ - محمد حمود (مارس ٢٠٠٢): قضايا النقل الديداكتيكي للمعرفة - المجلة التربوية - العدد ٨، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب - ص ٧٨.

^٢ - محمد حمود، المرجع نفسه ص ٧٨.

^٣ - محمد البرهمي (مارس ١٩٩٤): "مدخل إلى ديكتيك مواد اللغة العربية، نحو تأسيس استمولوجية مدرسية" المجلة التربوية، العدد الرابع مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب - ص ٧٨.

^٤ - محمد حمود، المرجع نفسه ص ٧٩.

يتضح مما سبق أن عبور المعرفة وانتقالها من مجال "المعرفة العالمية" إلى مجال "المعرفة المتعلمة" يمر عبر مصفتين: أما الأولى فتتمثل في السياسة التعليمية التي تحدد الغايات والمرامي والأهداف العامة للنظام التربوي، ويطلق على هذا المستوى من النقل الديدانكتيكي "النقل الخارجي" الذي يتم على مستوى المكلفين بالتفكير في محتويات التعليم من أساتذة جامعيين ومؤلفي الكتب المدرسية والمفتشين والمهتمين بالتربية، وكل من يعمل على إعداد المناهج التعليمية، أما المصفاة الثانية فيجسدها المدرس الذي يقوم بالنقل الديدانكتيكي مضيفا بذلك تغييرات كثيرة على صورة المعرفة المقررة، وتسمى هذه العملية بالنقل الداخلي "أي مجمل التكيفات الخاصة التي يدخلها كل مدرس على المعرفة الموضوعية للتدريس.

ومن هنا يرى "لورنس" أننا في التدريس نكون أمام أنساق ديدانكتيكية متعددة، كمنسق المعرفة العالمية، ومنسق المعرفة الواجب تدريسها، والتي أطرها خبراء المناهج، وكذا الأولياء في نطاق فلسفة التعليم وأهدافه ويسميه محيط التفكير، والتي قد تكون بعيدة عن المعرفة العالمية وخاضعة أكثر لرهانات المجتمع وثقافته، وإطار المعرفة المدرسة في القسم، والتي تخضع لفهم ولغات الأقطاب البشرية للفعل الديدانكتيكي، الأمر الذي يشترط توافر خبرة النقل الديدانكتيكي عبر هذه الأطر، بحيث تكون المعرفة المدرسية غير بعيدة جدا عن المعرفة العالمية، ولا بعيدة ج دا عن المعرفة الأسرية والسوسيوثقافية⁽¹⁾.

هكذا ننتمي إلى القول إن النقل الديدانكتيكي خطوة ضرورية بالنسبة للمدرس الذي يواجه موضوعا دراسيا معيناً وتتم عملية النقل بواسطة ثلاث إجراءات هي:

- انتقاء المعرفة المناسبة وتبسيطها، فالمدرس مطالب في هذا الإجراء بانتقاء المعرفة التي يراها مناسبة للتلاميذ مع تبسيطها وجعلها قابلة للتداول بينهم، ويثير هذا التبسيط مشاكل ذات طابع ابيستيمولوجي تتمثل بالأساس في حل التناقضات التالية: وهي إيجاد معرفة متعلمة قريبة من مدارك التلاميذ وقريبة بما فيه الكفاية من المعرفة العالمية، ويقوم حل هذا التناقض على البحث في عملية النقل عما يسميه Chavallard بالثابت الذي يربط ما بين المعرفتين "العالمية" و"المتعلمة" ويعطي لهذه الأخيرة شرعية الانتماء للأولى⁽²⁾.

- اختيار لغة واصفة مفهومة من قبل التلاميذ: لا بد من الإشارة إلى أن أي معرفة متخصصة لها جهازها الفهايمي الخاص هو بمثابة السياج الذي يحميها من الدوبان في غيرها، فيه تعرف وتميز ومن خاصيات هذا الجهاز الدقة والتجريد والتعقيد، وهنا ترد الأسئلة التالية: كيف نتعامل مع هذا الجهاز المفاهيمي الفلسفي "المجرد" في ميدان التعليم؟ هل ينبغي تعويضه بجهاز آخر أقل تجريدا وتعقيدا وأقرب إلى أذهان التلاميذ؟ وكيف يمكن اشتقاق أو نحت أو ارتجال لغة بديلة؟ فمدرس الفلسفة كثيرا ما يعاني من هذه المسألة خاصة أثناء قراءة النصوص وتحليلها، مما يثير غموضا وإبهاما في أذهان التلاميذ ويأتي ذلك بفعل إخراج المفاهيم من سياقاتها التخصصية أو النظرية، وإعادة ربطها بمفاهيم أخرى، قصد ملاءمتها للمقتضيات المدرسية وبذلك، تكون أمام مفاهيم مغايرة تحمل مدلولات جديدة تحمل

٩- لورنس كورنو، ألان فرنيزو (٢٠٠٣): الخطاب الديدانكتيكي . أسئلته ورهاناته . ترجمة عبد اللطيف المودني . عز الدين الخطابي . ط ١ / منشورات عالم التربية . الدار البيضاء ، ص

2 - Ives Chavallard,op.cit.p21

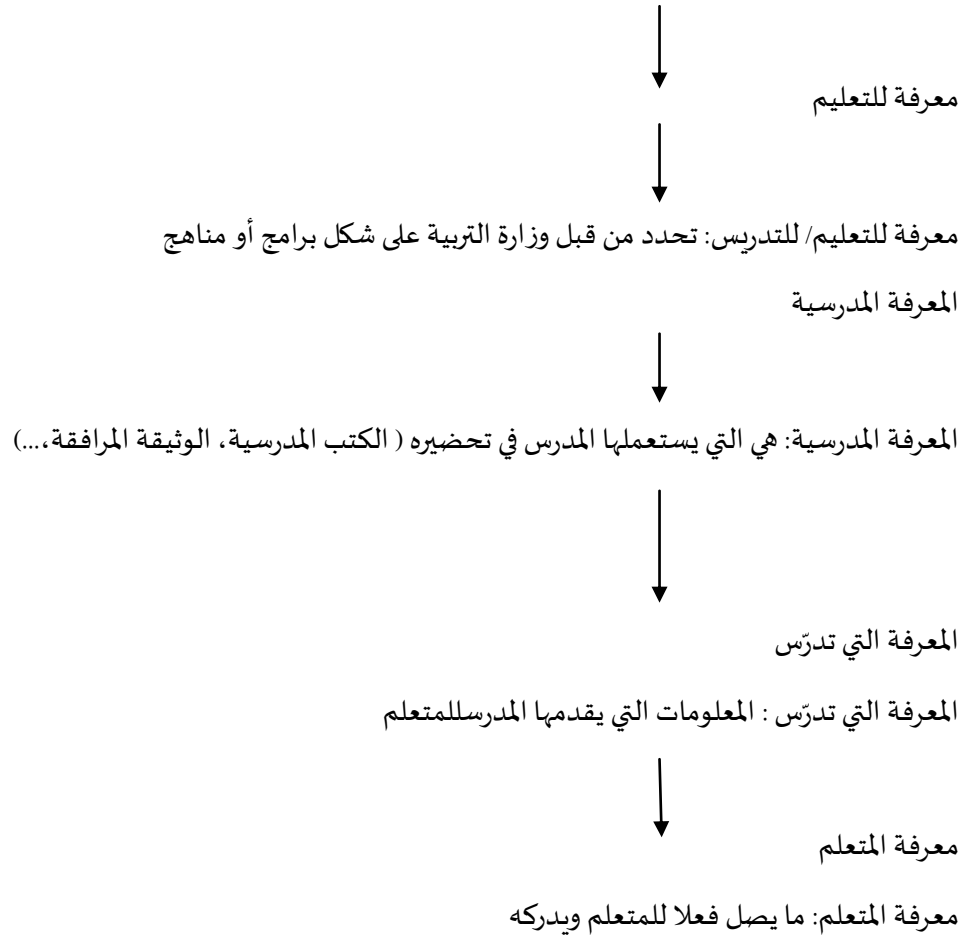
إمكانية التشويه والتحريف، بل وقد تنطوي هذه المخاطر ذاتها إمكانية معرفة مدرسية لا تعدو أن تكون مجرد جملة من العوائق أمام الإحاطة الفعلية^(١)

يصبح النقل الديدانكتيكي عبارة عن تحويل فعلي للمعرفة تبتعد فيها عن حالتها الخام، أي كما أنتجت في سياق سوسولوجي محدد، لتصير مادة مدرسية فتخضع بذلك إلى شروط وقوانين هي، في نهاية المطاف شروط المؤسسة المدرسية كسياق سوسولوجي مغاير

- توزيع المحتوى التعليمي على شكل خطوات التعلم: ويتعلق الأمر هنا بطريقة عرض هذا المحتوى على التلاميذ وينبغي على المدرس مراعاة مبادئ أساسيين الأول يستدعي الانتقال بالتلاميذ من المعلوم إلى المجهول، أما الثاني فيقتضي اعتماد مبدأ التدرج في الصعوبة مروراً بالبسيط فالمركب ثم المعقد^(٢).

ويفيد كذلك تلك العملية التي يتم بها الانتقال بالمعارف من مستوى معارف علمية دقيقة ينتجها المختصون (الخبراء) إلى مستوى معرفة التي يقدمها المدرس للمتعلم، ويمكن توضيح هذا المفهوم في الخطاطة التالية:

المعرفة العلمية الأكاديمية (الأصل) مجموعة من المعارف التي تم نشرها في الأوساط العلمية



¹ -RudolpheBrouche (1997) , la déraison de la raison, Quadratures n° 17, juillet – aout- septembre

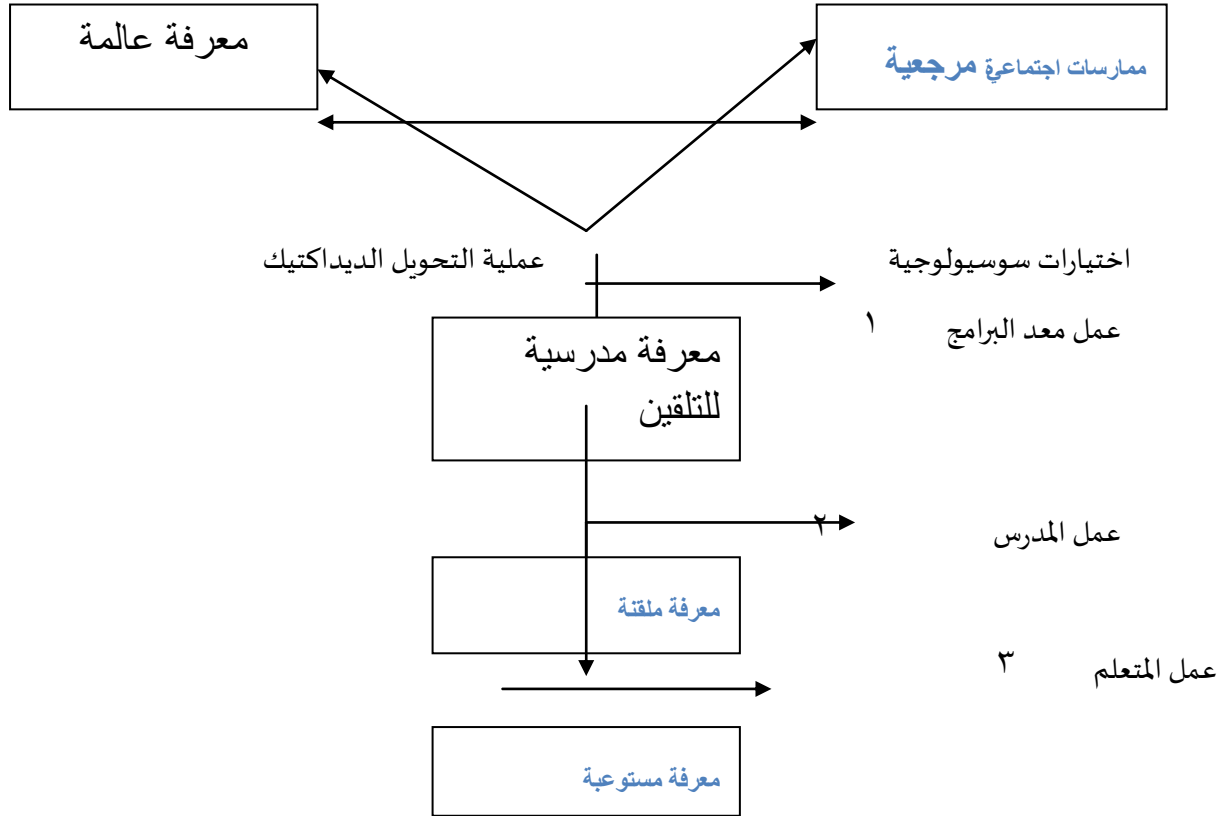
² - محمد البرهمي ، المرجع نفسه ص ٨٩.

٢- النقل الديدانكتيكي: خاصياته ومستوياته:

- عملية النقل الديدانكتيكي عملية مزدوجة تقوم على فعلين متكاملين:
- فعل ديدانكتيكي تخضع المادة المعرفية بموجبه إلى المعالجة حتى تصبح صالحة للاستهلاك المدرسي.
- فعل قيمي أخلاقي يبين بأن المعارف الواجب تعليمها هي معارف مطابقة للقيم التي يهدف إليها أصحاب القرار. إن عمليات النقل الديدانكتيكي للمعرفة الفلسفية إلى فضاء المؤسسة المدرسية، لا يمر دون مخاطر تحمل إمكانية التشويه والتحريف، بل وقد تنطوي هذه المخاطر ذاتها إمكانية معرفة مدرسية لا تعدو أن تكون مجرد جملة من العوائق أمام الإحاطة الفعلية بمختلف المفاهيم الفلسفية.
- وعلى هذا الأساس، تصبح عملية النقل الديدانكتيكي مدعوة إلى مراعاة جملة من المعايير والقواعد حتى لا تقع ضحية المخاطر التي أشرنا إليها سابقا ومن بين هذه القواعد نكتفي بالإشارة إلى ما يلي:
- اليقظة الديدانكتيكية: وتشير أساسا إلى ضرورة التحلي بالموضوعية التامة التي تحتم إقامة فصل واضح بين موضوع المعرفة المدرسية والقناعات أو المواقف والميولات الشخصية، سواء تعلق الأمر بالديدانكتيكي الذي يقوم بعملية النقل أو بالمدرس الذي يقود عمليات التعلم في الفصل الدراسي.
- خاصية الصدق: المعرفة العلمية، مهما خضعت للتعديلات أو التغييرات تبقى مع ذلك في السياق المدرسي، بعيدة عن منطق الثقافة العامة أو الشائعة و من هنا وجب حرص المدرس على ألا يسقط في افتعال المواقف أو اصطناعها تدجنه الضرورات التعليمية، بل عليه أن يتحلى ما أمكن بالموضوعية وأن يتمسك بالمقتضيات التي تفرضها عليه المضامين الفلسفية بعيدا عن الابتذال وعن الحس العام
- لأن من مهام المدرس بالذات أن يحرص على مساعدة المتعلم لكي يتمكن من الانتقال من الشائع والمتداول والحسي إلى الفلسفي المجرد.
- التقيد بالبرمجة التدريجية: أي أن ترمج المعرفة المدرسية معناه أن يتم توزيع وحداتها على مقاطع متدرجة تراعي، في الوقت نفسه، تقطيعا زمنيا معيناً وتقسيماً خاصة بالبنية الداخلية للمعرفة المدرسية وهو تقسيم، غالبا، ما يعتمد الانطلاق من مستويات متفاوتة في الصعوبة والتعقد.
- وهناك عددا من المستويات يمكن أن يتم من خلالها النقل الديدانكتيكي: فهناك على سبيل المثال النقل الديدانكتيكي الذي يقوم به المدرس عندما ينتقل من موضوع التعلم إلى موضوع التعليم، وقد يندرج هذا المستوى من النقل، تحت مستوى أعم ونعني النقل الديدانكتيكي الذي يقوم به الديدانكتيكي ذاته.
- ولقد حاول شافلار Chevallard أن يحدد مستويات أخرى للنقل الديدانكتيكي عندما يدخل المعايير السوسولوجية معتبرا أن هذا النقل يحدث دائما في سياق مشروع سوسيوثقوي وينتهي في نهاية المطاف، بعملية مراقبة اجتماعية لما يدرس

أما devalay فقد قدم مستويات أخرى للنقل الديدانكتيكي

ووضعها في سياق خطاطة على الصيغة التالية :



في المستوى الأول يكون المشرف على إعداد البرنامج أو المنهاج مدعوا إلى القيام بتجديد الممارسات الاجتماعية المرجعية إلى جانب المعارف المطلوبة رسميا، وينطلق في ذلك التحديد من المعرفة العالمية Savant. والمقصود هنا بالممارسات الاجتماعية المرجعية هو مجموع الأنشطة المرتبطة بالبحث والإنتاج وحتى الأنشطة المتصلة بالأعمال المنزلية والأفعال السوسيوثقافية ... التي تصلح لأن تشكل مرجعية لأنشطة تعلم مادة من المواد المدرسية وللأدوات الديداكتيكية وللمواقف المطلوبة.

في مستوى تال، يصبح اختيار المعرفة التي يجب تدريسها مبنيا على المعرفة العالمية من جهة وعلى القيم والأولويات الاجتماعية

والثقافية إضافة إلى الأدوار الاجتماعية المطلوبة في المجتمع من جهة أخرى.

أما عمل الديداكتيكي، أي التحويل الديداكتيكي Didactisation فيمكن في إزالة الطابع الشخصي depersonalisation عن المعرفة

وفصله عن سياقات إنتاجه⁽¹⁾. وبعد ذلك برمجة هذه المعرفة وفق مقاطع تعليمية وتحديد صلاحيتها حتى يضمن قدرا أعلى من الاتساق والانسجام ويجعل أمر مراقبة اكتساب هذه المعرفة مسألة ملحة وممكنة.

أما الاختيار الأكسيولوجي axiologique فيتعلق أساسا باختبار التوجهات و الطرائق التعليمية التي ستوظف في عمليات التدريس.

أما المستوى الذي يعمل المدرس في سياقه، فيتمثل في البحث عن تكييف المعرفة المدرسية مع أوليات فصله الدراسي ومع مقتضيات

وضرورات مجموعة المتعلمين الواقعين تحت مسؤوليته.

بقي المستوى المرتبط بالمتعلم، فهو يكمن في قيام هذا الأخير بدوره، بعملية نقل ديداكتيكي حين استيعابه و بنائه للمفاهيم المطروحة اعتمادا على ما اقترح عليه من أنشطة ومهام تعليمية.

٣- إجراءات عملية لتفعيل النقل الديداكتيكي

- العمل على إدماج موضوع المعرفة بشكل محكم في السياق الخاص للفصل الدراسي

- العمل على خلق روابط ذاتية وموضوعية وشخصية بين كل تلميذ وموضوع المعرفة الجديدة المقدمة مع الحرص على أن يكون التلميذ هو المسؤول عن قيام هذه العلاقة⁽²⁾.

- هذه الإجراءات تعترضهما عوائق تهم العلاقة الديداكتيكية بالمعرفة، إذ من المفارقات التي تنطوي عليها هذه العلاقة أن المدرس يطمح إلى أن يتوصل التلاميذ إلى أجوبة محددة ملائمة بإمكانها أن تقوم دليلا على نجاح الفعل التعليمي والحال أن التلاميذ تعوزهم المعطيات والوسائل المعرفية الضرورية لتحقيق مطامح مدرسيهم⁽³⁾ خاصة في مادة الفلسفة.

٤- معيقات النقل الديداكتيكي في الدرس الفلسفي:

٤-١- عائق اللغة:

يتسم الخطاب الفلسفي بكونه خطاب يستخدم اللغة الطبيعية ويوظفها في سياق مغاير فقط (القسم الدراسي)، إلا أن السياق لا يجدد عناصر اللغة؛ أي المكونات اللسانية. ولهذا السبب، تظل موضوعات الفلسفة حبيسة خطاب اللغة المتداولة⁽⁴⁾. وفي هذا الإطار بينت فرانس لوران أن "خيبة التلميذ تأتي من أمله في اكتشاف موضوعات جديدة، فإذا به يلاحظ أننا نتحدث له عن عالم مشترك... فقد سبق له أن تعرف على الموضوعات الفلسفية في مجالات الأدب، من قبيل العنصرية والمخدرات والسعادة. والعقل والفن والعنف... وهكذا ستتمثل مشكلة المدرس في كيفية الارتقاء بالتلميذ إلى إدراك معنى التساؤل الفلسفي؛ أي الطريقة التي تُسائل بها الفلسفة العالم"⁽⁵⁾.

¹ - Michel Veret (1975) : le temps des etudes (tome 1), Librairie honoré champion, paris, p 140

^٢ - محمد حمود، المرجع نفسه ص ٨٤

^٣ - محمد حمود، المرجع نفسه ص ٨٥

^٤ - محمد مزوز : عوائق تدريس الفلسفة ، انظر الرابط التالي :

www.Mominoun.com/articles704/ ١٠ فبراير ٢٠١٤ الساعة الثالثة بعد الزوال

5- F.Rollin (1982): L'éveil philosophique, UNAPEC, p.9

وفي نفس السياق تقول شانطال دومونك: "إنّ اللقاء الأولي للتلاميذ بالخطابات الفلسفية يجعلهم في وضع غير مريح يشبه وضع المتكلمين بلغة أجنبية، حيث يترجمون الكلمات أو الجمل التي يتعرفون عليها ويضفون عليها معنى بعيدا جدا عما يفهمه المتكلم باللغة الأم.

تقدمت شانطال دومونك بجواب مفاده أنّ هناك حلقات مفقودة بين نوعين من التداول للغة لدى التلاميذ: التداول العادي والتداول الفلسفي، تقول: "إنّ الحلقات المفقودة في هذه المرحلة من القراءة (أي قراءة النص) هي من طبيعة لسنية ومفاهيمية، وتعزى للمسافة القائمة بين مرجعيات التلاميذ العفوية عن وجودهم الخاص، وبين المجال الثقافي الذي تتخذ فيه هذه الإشكالات التي يصادفونها معنى خاصا"⁽¹⁾ فكيف يمكن تقليص المسافة بين مرجعيات التلميذ من جهة، والفهم الخاص الذي تطرحه النصوص الفلسفية من جهة ثانية؟

٢٤ - عائق التبليغ:

ترتبط هذه الإشكالية بمسألة تبليغ الفلسفة وإيصالها إلى المتلقي- المتعلم، وهي مسألة وإن كانت راهنة، إلا أنها تحيل على نقاشات فلسفية قديمة، برزت بالخصوص مع أفلاطون ضمن مقولات النضج الفلسفي وسن التفلسف، واستمرت عبر تاريخ الفكر الفلسفي مع كانط، هيجل ونيته، وصولا إلى شاتلي، دولوز وديدا. وقد أثيرت في إطارها علاقة الفلسفة بالمؤسسة كإنتاج للمعارف وللحقائق وأيضا علاقة حرية الفرد في التفكير وفي إصدار الأحكام، بالضرورة البيداغوجية والديداكتيكية⁽²⁾. يترتب عن عائق اللغة عائق التبليغ مادامت اللغة أداة أساسية لتبليغ المضامين الفلسفية للتلاميذ يتبين من العائق الأول أنّ التلميذ في حاجة إلى مساعدة؛ فهو ضير رغم أنه يبصر. من سيقود خطاه عدا شخص واحد هو المدرس؟ فمن هو مدرس الفلسفة؟ وما الحاجة إليه؟

إنها المهمة التي حددها كانط في قولته الشهيرة: "لا نتعلم الفلسفة، بل نتعلم كيف نتفلسف". كيف نتفلسف معناه: كيف نفكر فلسفيا؟ تكمن مهمة مدرس الفلسفة إذن في تعليم التلاميذ كيف يفكرون: مهمة شاقة وعسيرة لا يعرفها إلا من اختبرها. ففي زمن الدرس الماجستيرالي، تجلت هذه المهمة في صورة المدرس بوصفه خطيباً مفوّهاً؛ فهو محور العملية التعليمية ومركزها، هو الأول والآخر في كل شيء، هو المرجع الذي لا غنى عنه معرفياً وسلوكياً، هو القدوة التي تحتذى. وكان من الطبيعي أن يهيمن الخطاب الأيديولوجي في هذه المرحلة من التدريس: كان كلّ شيء يدرّس ما عدا الفلسفة. طغى تاريخ الفلسفة على الفلسفة، هيمنت التأويلات الأيديولوجية على التحليلات الفلسفية مأزق مدرس الفلسفة هل يبقى في المقولات الفلسفية أم ينزل بها إلى فهم المتعلم؟⁽³⁾

٢٤ - عائق الترجمة :

هل تعود أزمة الفلسفة إلى إخفاق في نقل الإبداعات الفلسفية الغربية إلى اللغة العربية وتعذر الترجمة أم إلى استحالة ملائمة هذه الإبداعات للبيئة الثقافية المحلية والأهلية؟

¹ - محمد مزور (٢٠١٥) : انظر ملف تدريس الفلسفة في الرابط التالي: <http://www.mominoun.com/articles/-3377>

² - عبد الكريم الخطابي (٢٠٠٢): مسارات الدرس الفلسفي بالمغرب- حوار الفلسفة والبيداغوجيا، منشورات عالم التربية، ط ١، ص ٦٧

³ - عزيز لوزق (٢٠٠٢): قراءة في الاحراجات الخفية للتكوين الفلسفي، مجلة فكر ونقد، العدد ٤٨ ص ٤٢

إن المعرفة الفلسفية المقترحة للتدريس، هي في الواقع، معرفة مجردة عن شروط إنتاجها المؤسسية و الذاتية، فهي، في الأصل، معرفة أنتجت في سياقات تاريخية وسوسيوثقافية متنوعة، ومن قبل فلاسفة ينتمون إلى مذاهب وأنساق وتيارات، كما أنها احتاجت في إنتاجها ذلك إلى مجهود فكري ووجداني مبدول من قبل الفيلسوف أو مجموعة من الفلاسفة المبدعون لها للوهلة الأولى، بل مر مسار عملهم وجهدهم من ترجمات وتأويلات، وعندما ينقل هذا المنتج الفلسفي إلى الحقل التعليمي، فمعنى ذلك أننا نفضله عن كل تلك الملابس والشروط التي أحاطت بإنتاجه، فنحن نقدم المعرفة الفلسفية (نصوص ومفاهيم وإشكالات...) إلى المتعلم منظمة ومرتبطة على نحو آخر أي بعد الحذف والاختزال والاختصار.

يشخص ابن عاشور أزمة الفلسفة عندنا في تعثر الترجمة بقوله: "أما كتب الفلسفة عندنا مثل المواقف فهي مأخوذة من فلسفة اليونان مغيرة بما يناسب قواعد علم الكلام فلا ينبغي أن تكون مع دودة لدراسة الفلسفة وبالجملة فالحاجة اليوم إلى مترجمين نابغين لينقلوا ما يحتاج إليه من هذه العلوم لأهل اللسان العربي فيكفوهم كلل الخبط فيما لا طائل تحته ويسمو بهم إلى منزلة قرنائهم من الأمم المعاصرة"⁽¹⁾.

ويمكن إضافة بعض العضلات التي يطرحها النقل الديداكتيكي في الدرس الفلسفي في العناصر التالية:

- تقادم المعارف وعدم تجديدها وتحيينها يطرح مشكلات على مستوى الأبيستيمولوجي ذلك ان كثيرا من النظريات والأطروحات الفلسفية تم مراجعتها ونقدها وتجاوزها، في حين يقدمها المدرس على أنها حقائق مطلقة.

- السقوط في وهم السهولة والوضوح يثير صعوبات التعلم لدى المتعلم إذ يتعذر عليه التحكم في مفاهيم تنتهي إلى مستوى أعلى من التجريد، وما يرافقه من افتقار التلاميذ إلى بعض الأدوات المعرفية العامة أو لبعض المهارات الواجب امتلاكها.

- إن المجال المعرفي المراد نقله ديداكتيكيا إلى فضاء الفصول الدراسية كثيرا ما يبدو بأنه مجال كلي مغلق ومحدد، فبعد أن تتخلص المعرفة العاملة من مظاهر التعقيد والصعوبة التي تحكمت في إعدادها وانبثاقها، فإنها تبدو متنسقة ومتناسكة البناء بشكل ملحوظ، غير أن حقيقة الأمر بخلاف ذلك، فالأنساق الفكرية والمذاهب الفلسفية تقوم أساسا على مفاهيم ونظريات أكثر شساعة مما هو ظاهر، إذ أن النسق المعرفي الواحد يتشكل من متن مفاهيمي مترابط العناصر بواسطة نظام علائقي كثيرا ما يتخذ طابعا وظائفيًا.

- إن إعادة هيكلة (بنينة) المضامين الفلسفية قد تفضي إلى مخاطر إدخال تعديلات على مدلولها، بحيث تصير عبارة عن معرفة مغايرة و متميزة عن المعرفة المقترحة فعليا للتدريس⁽²⁾.

وقد كان الدارسون لهذا المفهوم واعون بهذا التحول الذي يحدثه النقل الديداكتيكي في المعرفة العلمية حيث عمد فيري Verret إلى تبيان ما يحدث على مستوى العلوم الإنسانية، إذ تتحول المعرفة العلمية التي توصلت إليها هذه العلوم إلى مجرد معرفة يغلب عليها الطابع المعياري الإيديولوجي بعد أن يتم إخضاعها إلى المتطلبات التعليمية التي تتمثل في ضرورة

¹ - محمد الطاهر بن عاشور (بدون تاريخ): أليس الصبح بقریب؟، الشركة التونسية للتوزيع، ص ٢٢٩

² - Rudolf Brouche (1997): la déraison de la raison, Quadratures, N°17 juillet-aout-setembre p

بث بعض القيم السوسيوثقافية المطلوبة اجتماعيا أو المهيمنة اجتماعيا⁽¹⁾، والتي لا تتوافق دائما مع السياقات الاجتماعية التي أدخل إليها.

- صياغة أسئلة على مقياس أجوبة محددة سلفا : عندما يريئ المدرس أسئلة الدرس على مقياس الأجوبة التي يريد سماعها، وهكذا يضع المدرس الجواب الذي يريده ثم يشرع في صياغة الأسئلة حوله قصد طرحها على المتعلمين وهذا الأمر يتعارض مع تعلم التفلسف الذي يفيد تعلم أفعال السؤال والتساؤل والتحليل والتركيب والنقد والتقييم....

-التسرع في إعطاء الحول الجاهزة للمتعلمين : أياحالة التي يقف فيها المتعلم أمام صعوبة ما تعترض مواصلته لحل مشكلة، و يقتضي الأمر أن يواجه تلك الصعوبة في حينها، ولكنه، عوض ذلك قد يتلقى مساعدة حاسمة من طرف المدرس، الشيء الذي يفوت عليه فرصة بلوغ مستوى أعلى من التعلم وخاصة تعلم مهارات حل المشكلات.

- عندما يتفادى المدرس - عن قصد- كل نقاش مع المتعلمين حول معلومة أو مفهوم معين، و يكتفي بأن يتقبل أدنى مؤشر سلوكي صادر عنهم، معتبرا إياه دليلا على الفكرة المطلوبة أو عن العمق المنشود في المناقشة.

- الاستعمال المفرط للمماثلة Analogie: لا خلاف على أن المماثلة تعتبر من " التقنيات " الجديدة في الشرح و التفسير، إلا أن الإفراط في استعمالها قد يؤدي إلى نتيجة عكسية أو غير متوقعة. وقد لاحظ الديدداكتيكيون أن هذا الاستعمال المفرط للمماثلة على صعيد العقد الديدداكتيكي، أمر غير مفيد، بل العكس، يمكن أن يفضي إلى السقوط في بطئ في الفهم و اكتساب المعلومات .

- شخصنة المعارف الفلسفية أي ان بعض المدرسين يميلون إلى الدفاع عن وجهات نظرهم ومواقفهم من بعض الأطروحات الفلاسفية أما بالدفاع عنها أو بنفيها وإبعادها وفي هذا السياق يدعو فيرني إلى ضرورة الفصل بين المعرفة المدرسة وشخص المدرس⁽²⁾.

٥- تدريس الفلسفة وضرورة الانفتاح على علوم التربية:

إن الإجابة على الأسئلة التي يطرحها تدريس الفلسفة كمادة مدرسية على الباحث والمدرس الممارس تستدعي الانطلاق من مرجعيات نظرية متعددة بالإضافة إلى المرجعية الفلسفية ذاتها ذلك أن التفكير في مادة الفلسفة من حيث طبيعتها وخصائصها وبنيتها وطريقة تدريسها يستوجب الاستفادة من نتائج الدراسات والأبحاث التربوية والسيكولوجية والسوسولوجية والبيداغوجيا:

١٥- المقاربة السوسولوجية:

تسمح لنا سوسولوجية المدرسة بادراك الشروط والعوائق السوسيوثقافية (لغة و قيم وثقافة...) التي تؤثر سلبا أو إيجابا على التعلم إضافة إلى عوامل سوسيواقتصادية (الانتماء الاجتماعي - الطبقي للمتعلمين) التي تؤثر في التعلم المدرسي وتساهم هذه المعطيات في تبيان أن العديد من الصعوبات التي تعترض التلميذ في الدرس الفلسفي قد تعود إلى أسباب غير مدرسية⁽³⁾.

² - VERNET,M(1975): le temps des etudes , librairie honoré champion,Paris, tome 1 ,p140

³ - يمكن الرجوع إلى الأعمال والمراجع التالية

وتساعدنا سوسيولوجية المدرسة من خلال أبحاثها على معرفة دوافع السلوك الاجتماعي لدى المتعلم وعلاقته مع بيئته السوسيوثقافية المحيطة به بغية فهم هذا السلوك وصفه والتنبؤ به والتحكم فيه وتطويره لخدمة أهداف تربية تمكن من الإلمام بجوانب قد تكون مصيرية بالنسبة لمسار الطفل، واكتساب التعليمات والمهارات والمعارف الضرورية، والاندماج في المجتمع بطريقة لا تقصي اختلافاته الفردية ولا خصوصياته الثقافية. إضافة إلى أن المقاربة السوسيولوجية للمدرسة تمكن المدرس من البيانات والمعطيات التي تهتم المتعلم كالسن والجنس ومستوى الذكاء وكذلك سمات الوسط الاجتماعي. وتزود الباحث والمدرس بمختلف المتغيرات المهنية التي قد تكون نتيجة لتوجهات سياسية ونقابية واقتصادية و متأثرة بظروف العمل وإكراهات مختلفة أو بعوامل نفسية واجتماعية.

ولقد كشف علماء الاجتماع أن المدرسة ليست بريئة وغير واحدة وليست مجالاً لتكافؤ الفرص، بل إنها تعمل وفق ايديولوجية معينة أي ايديولوجية النظام القائم، وقد يكون لها نصيب من الميز وعدم تكافؤ الفرص حسب العرق والجنس والمستوى الاقتصادي ومجالاً لانتقاء والاصطفاء والاقصاء... إذا لم يتم اعتبار المعايير الموضوعية كدرجة الذكاء ومستوى الإنتاج والإبداع كمعايير موضوعية للنجاح... وبالتالي يصبح المستوى التعليمي آلية لإنتاج وإعادة إنتاج اللامساواة في المجتمع. ويتجلى هذا التمييز أيضاً عندما يطلب أرباب العمل بعض الشروط التعجيزية أو المؤهلات العلمية التي قد لا تكون مهمة للمناصب المتبارى عليها حيث يتم إقصاء النساء أو بعض الأقليات... واهتمت سوسيولوجيا التربية في دراسة موضوع التربية عن طريق المقاربة الاجتماعية كمدخل السياسي والاجتماعي في المجال التربوي، ومن القضايا التي عالجتها سوسيولوجية التربية:

- التربية غير حيادية، فهي ليست مجرد تلقين المعارف والمهارات، ولكن تهيئة الفرد اجتماعياً وسياسياً.
- الفشل الدراسي وعدم تكافؤ الفرص مسؤولية المجتمع ومؤسساته..
- التربية مشروع مجتمعي.
- دراسة المؤسسات المدرسية لمعرفة مدى تأثيرها على التربية.
- ديمقراطية التعليم، مرتبط بأهمية التغيير الاجتماعي.
- التربية استثمار تنموي يخدم الفرد والمجتمع.
- إضافة إلى ظهور اتجاه جديد ينتمي إلى المدرسة الانجلوسكسونية يعنى بسوسيولوجية المهام المدرسي التي ترى بأن المعارف يتم بناؤها اجتماعياً وثقافياً، لذلك تهتم بتحليل الرهانات المجتمعية للانتقاء وبتجديد محتويات التعليم

- Althusser, J, (1976) : Idéologie et appareils idéologiques d'état , la pensée , N 151, In position , éd Sociales
 - Boudon, R,(1973): L'inégalité des chances, la mobilité sociale dans les sociétés industrielles, paris ,éd A.Colin
 - Bourdieu et Passeron (1964): Les héritiers , les étudiants et la culture, paris , éd.Minuit
 - Bourdieu et Passeron (1970) : La reproduction, elements pour une théorie de l'enseignement, paris , éd.Minuit
 - Cherkaoui,M,(1979) les paradoxes de la réussite scolaire: sociologie compare des systemes d'enseignement , paris , PUF
 - Ibaaquil ,L,(1987) : Mobilité sociale et passage par l'école au maroc, Université Paris V : Thèse d'Etat.

وبتوصيف آخر إنها مقارنة تسعى إلى الكشف عن الرهانات المتحكمة في عملية انتقاء وتوزيع المعارف، مثلما تهدف إلى دراسة صيغ بناء الشكل المدرسي للمعرفة^(١).

٢٥- المقاربة السيكلوجية:

إن أهمية عالم النفس في هذا الموقف هو بيانه بأن المدرس يوظف عددا كبيرا من الوظائف النفسية ويستخدم بنيات ذهنية تنمو خلال التعلم بشكل تدريجي أثناء الاستعمال التطبيقي للمادة العلمية المكتسبة، كما قد يوضح عالم النفس أن التلميذ الذي لا يقبل على تعلم هذه المادة الدراسية ربما لم تنم لديه بعد البنيات والوظائف النفسية لاستقبالها^(٢) وتفيدنا السيكلوجية كذلك في تحديد العلاقة بين خصوصيات المتعلمين العقلية والوجدانية وطبيعة المادة الدراسية والتعرف على العوائق السيكلويداغوجية التي تعترض تعلم الفلسفة.

إن النقل الديدكتيكي لمضامين الدرس الفلسفي يستدعي الأخذ بعين الاعتبار نتائج الدراسات السيكلوجية المختلفة وخاصة منها ما يتعلق بسيكلوجية التعلم^(٣)، التي يمكن أن تفيد في التعرف على بعض جوانب ذات العلاقة المباشرة بعملية التعليم والتعلم وفهمها^(٤)، وبصفة مجملية كل ما يتعلق بخصوصيات المتعلمين المستهدفين من الدرس الفلسفي. لكل تلميذ أسلوبه في التعلم: توصلت نظريات التعلم المعرفية الجديدة، إلى الإقرار بأن المتعلمين مختلفون، بالتأكيد، في أسلوبهم التعليمي فهم لا يعالجون ذهنيا المعلومات بنفس الطريقة أو بنفس الإيقاع، كل فئة منهم تلجأ إلى أسلوب معين لممارسة التعلم، ويتشكل أسلوب التعلم من مجموع التصورات والأفكار والعمليات الفكرية والآليات الوجدانية والفيزيولوجية التي تكمن خلف الأنشطة التي يقوم بها المتعلم فتتحدد طريقة وإيقاع إنجازها وتحكم بالتالي في اكتسابه وتمكنه من المعلومات المقترحة خلال الدرس.

- كل تلميذ يستقبل محتويات المادة بطريقته الخاصة أي حسب إجراءات ذهنية محددة وفي هذا السياق يمكن التمييز بين إجراء بنائي فاعل وإجراء استقبالي منفعل وإجراء وقي وإجراء يقوم على تحليل الأخطاء

- لكل تلميذ أسلوب معرفي خاص ينظم من خلاله إدراكاته وخبراته ويستدعي مخزون ذاكرته، فهناك تلاميذ يميلون أكثر إلى التحليل وآخرون يفضلون المعالجة القائمة على الإدراك الكلي للموضوع، وهناك فئة أخرى من التلاميذ يجنحون إلى التأمل والمعالجة البطيئة للمعلومات وآخرون يميلون أكثر إلى التأويل^(٥).

- لكل تلميذ خصوصيات وجدانية تؤثر على تعلمه ذلك أن التعلم لا يختزل في العمليات الذهنية المعرفية بل أيضا في مواقف وميول وحاجات واتجاهات، وقد أكد العديد من الباحثين على ضرورة اعتبار الخصائص الوجدانية للمتعلم كمتغير أساس من المتغيرات التي تحكم تعلم التلاميذ، وقد اعتبر بلوم أن الحوافز تجاه المادة المدرسية من العوامل التي ينبغي أن تشكل منطلقا لفعل التعليم.

^١ - محمد حمود، المرجع نفسه ص ٧٠.

^٢ - غاستون ميلاري (١٩٨٩): علوم التربية والديدكتيك، ترجمة احمد أوزي، مجلة الدراسات النفسية والتربوية، الدار البيضاء، المغرب، العدد العاشر ص ٧.

^٣ - ونقصد بهذا الخصوص مختلف الاتجاهات السيكلوجية التي اهتمت بفعل التعلم كالمسلوكية والمعرفية والبنائية والسوسيوبنائية.

^٤ - مثل الاستراتيجيات المعرفية والميتا معرفية وأساليب التعلم والعوامل الوجدانية.

^٥ - E.De corte et autre (1979): les fondements de l'action didactique ,ed de Boeck

وهذا التصور هو ما حاول الاتجاه المعرفي تصحيحه وتداركه، من خلال الاهتمام بالعمليات العقلية الداخلية للمتعلم أي التركيز على كيف يتعلم التلميذ ما يتعلمه؟ وكيف يستقبل المعلومة؟ وكيف يعالجها وكيف يوظفها في وضعيات مختلفة؟، وهذا الاتجاه يعلي من شأن المتعلم باعتباره فاعلا ونشيطا. وذهب التصور البنائي إلى القول إن المتعلم هو الذي يبني عملية التعلم بنفسه، ويؤكد الاتجاه السوسيوبنائي على أهمية المتغير السوسيوثقافي في تعلم المتعلم في إطار اجتماعي تشاركي تعاوني وتبادلي، وبذلك عرف مفهوم المتعلم تغيرات جذرية. وهذا ما أدى إلى تغير في النظر إلى أدوار المتعلم وطرق تعلمه وطبيعة العلاقات بين المدرس والمتعلم^(١).

- الاهتمام بتمثلات المتعلمين: وهو من المفاهيم التي أكد عليها الباحث و العالم اوزيبيل Ausubel ويشير بواسطته إلى ما يمتلكه المتعلم مسبقا قبل أن يدخل إلى أي تجربة تعليمية جديدة، من أفكار و تصورات و تمثلات و آراء تتصل بموضوع التعلم الجديد، و من شأن هذه البنية أن تقود و توجه الأسلوب المعرفي الذي يطبع طريقة المتعلم في تلقي و بناء و تنظيم و هيكلية المعلومات الجديدة أي أسلوبه في معالجة المعلومات.

لهذا المفهوم أهمية خاصة في مجال البحث الديدكتيكي، لأنه يلقي الضوء على نوعية التصورات الذهنية أو الفكرية القبلية لدى المتعلم، والتي تدخل في تفاعل مستمر خلال عملية بناء أي مفهوم من المفاهيم العلمية. إنه شكل من أشكال المعرفة، يتم وضعه واقتسامه اجتماعيا و له هدف عملي إذ ساهم في بناء واقع مشترك بين أفراد ضمن بنية اجتماعية معينة^(٢).

يبدو مما سبق أن البعد المعرفي للتمثلات هو البعد الأكثر أهمية من وجهة نظرنا الديدكتيكية، لأنها تشير إلى نوع من النظريات الشخصية التي تمنح للفرد / المتعلم تفسيرا أو تأويلا للظواهر الملموسة أو المجردة. و في سياق العملية التعليمية التعليمية، يمثل حضور التمثلات لدى المتعلم عنصرا أساسيا فهي من العناصر الذي تحدد " أسلوب التعلم " والتي تستدعي الرصد و التوقف بدل الإهمال و عدم الاكتراث.

٣.٥- المقاربة البيداغوجية :

تجد المقاربة البيداغوجية مشروعيتها في الدرس الفلسفي في ما تزودنا به من أساليب نقل و تبليغ المضامين المعرفية للمتعلمين من أجل بلوغ الأهداف المسطرة، كما يفيد الحضور البيداغوجي في العملية التعليمية في اختيار الوسائل التي تقودنا إلى ذلك الهدف، لهذا على البيداغوجي أن يمتلك قدرا معرفيا كافيا في المادة العلمية التي يعلمها وأن يكون على اطلاع على نوعين من المشاكل النفسية:

- مشاكل مرتبطة بالمادة العلمية نفسها.

- مشاكل مرتبطة بالتكوين النفسي- الاجتماعي للمتعلم.

^١ - برزبي عبد الله (أكتوبر ٢٠١٥): صورة المتعلم في نظريات التعلم ، من الذات المنفعلة إلى الذات الفاعلة ، مجلة علوم التربية ، العدد ٦٣ . مطبعة

النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، من ص ١٠٢ إلى ص ١٢١ .

^٢ -Jouellet,(1989):représentations Sociales: un domaine en expansion(voir le lien:www.cairn.info - Université Louis Lumière Lyon..

كما على البيداغوجي أن يستخدم آليات التعلم ومختلف الأساليب العلمية لتدريس الفلسفة كتحديد علاقة المادة التي يدرسها بالمواد الدراسية الأخرى في البرنامج الدراسي العام، ومراعاة الشروط النفسية المساعدة في فهم المادة الدراسية وإدراكها، واختيار أنجع الأساليب وأفضل التقنيات البيداغوجية لنظام العمل في الفصول الدراسية بكيفية فردية أو جماعية. وقد نستفيد في هذا الصدد من بعض التوجهات التي يشملها التدريس بواسطة الأهداف.

أما عندما نتوخى من تدريس الفلسفة تنمية المواقف والاتجاهات لدى المتعلم فتمت استراتيجيات وطرائق تعليمية عديدة تفيدنا في هذا المجال، ومن بينها بيداغوجية حل المشكلات وتكمن أهمية هذه الطريقة في كونها مقارنة بيداغوجية متمركزة حول المتعلم وتعتبر المبادرة الشخصية وتستدعي من المتعلم المشاركة الفعالة وإبداء الآراء واتخاذ المواقف واقتراح الحلول والتحقق منه⁽¹⁾، وتدعو إلى استثمار معارفه ومهاراته واتجاهاته لحل المشكلة، كما تساعد على تنمية اتجاهات ايجابية نحو تعلم التعليم الذاتي إضافة إلى أن تدريس الفلسفة بالوضعيات المشكلانية تؤثر ايجابيا على تعلم التفكير النقدي⁽²⁾.

لقد تبين أن التدريس بالمشكلات يمكن اعتباره استراتيجية بيداغوجية فعالة، إذ تمكن المتعلم من اكتساب الفكر النقدي خاصة في مادة الفلسفة، ويستند هذا التدريس على المقاربات البيداغوجية التالية: المعرفية والبنائية والسوسيوبنائية. بالنسبة للمقاربة المعرفية فالمتعلم يستوعب ويعالج المعارف ذاتيا وفي المقاربة البنائية يبني معارفه بذاته، بينما يتعلم المتعلم في السوسيوبنائية عن طريق التفاعل والصراعات السوسيو معرفية بين المتعلمين.

إن تفعيل المعارف الداخلية واستثمارها يفيد الأشخاص الذين يتمتعون بالذكاء الشخصي، بينما يتمتع أصحاب الذكاء الاجتماعي في الأنشطة التواصلية والنقاشات الجماعية، أما أصحاب الذكاء اللغوي فيميلون عموما إلى استعمال اللغة والتركيز على التعبير اللفظي، أما العمل بالفئات حسب التيمات المسجلة في السبورة فهو مصدر استثارة لذوي الذكاء المكاني-البصري وكذا أصاب الذكاء المنطقي الرياضي⁽³⁾.

٦- منهاج الفلسفة وإشكالية النقل الديدانتيكي:

لقد أفضت القراءة التحليلية للمبادئ والمرتكزات النظرية، والمقاربات المنهجية لمنهاج الفلسفة بالمغرب⁽⁴⁾ إلى استنتاج مجموعة من الملاحظات، أما من حيث المبادئ ارتكز منهاج الفلسفة على مبدأ تعلم التفلسف أي تعليم التفكير حسب التصور الكانطي، وبين تحليل هذا المبدأ أن فعل التفلسف يتحدد كعملية نقدية ويرتبط كذلك بعملية التفكير الذاتي التي تضع الفرد أمام وضعيات فلسفية تستدعي المساءلة والبحث عن الحلول.

¹ - محمد ايت موحى (يناير ١٩٩٢) : ديدانتيك الفلسفة: أسئلة التأسيس ومنطلقات البناء، مجلة البحث البيداغوجي "ديدانتيكا" العدد ٢، ص ٣٠.

² - Samir Jemel(2011) :L' APPRENTISSAGE PAR PROBLÈME POUR DÉVELOPPER L'ESPRIT CRITIQUE
قد ترجمت هذا المقال بصرف من أجل الاستنباط به كتجربة رائدة في تدريس الفلسفة بالمشكلات قصد تدريب المتعلمين على تعلم التفكير النقدي، راجع بريزي عبد الله (٢٠١٥): تدريس الفلسفة وتعلم التفكير النقدي، دار

التوحيد، الرباط، من ص ١٥١ إلى ص ١٦٣، ولإطلاع على المقال الأصلي انظر الرابط الإلكتروني التالي: www.aqpc.qc.ca/appeal/documentation/index.php

³ - بريزي عبد الله (٢٠١٥) : تدريس الفلسفة وتعلم التفكير النقدي، دار التوحيد، ط ١، الرباط، ص ١٦٢

⁴ - بريزي عبد الله، المرجع نفسه، الفصل الثالث، من ص ١٦٤ إلى ص ٢٢٣.

ومن هذا المنطلق فعلى المدرسين الاهتمام بالفلسفة كمادة تعليمية وليس ككيان معرفي قائم بذاته ومتعال عن باقي المواد الأخرى، كما أن الفلسفة لا يمكن أن تظل بمنأى عن التطورات التي عرفتها نظريات التربية، والتي انعكست على ديداكتيك المواد المدرسية وأعادت النظر في استراتيجيات وتقنين تعليمها وأساليب تقييمها⁽¹⁾.

وفي هذا السياق، يتحدث طوزي عن البعد العلمي والتعليمي لديداكتيك الفلسفة التي تركز على المتعلم أكثر من المدرس، لأن تعلم التفلسف المتمثل في تنمية مهارات أساسية لدى التلميذ تتلخص في الأشكلة والمفهمة والحجاج، يخضع لتوسط مجموعة من المواقف الديداكتيكية التي لا يشكل خطاب المدرس سوى شكلا مناشكالها الممكنة.

ومبدأ الشمولية إذلاحظنا أن المنهاج الجديد لمادة الفلسفة قد تجاوز ثنائية "الفلسفة" و"الفكر الإسلامي" التي كانت محط جذب وصراع في صياغة البرامج والمقررات الفلسفية السابقة حيث أصبح منهاج الفلسفة يندرج تحت عنوان " الفلسفة " باعتبارها فكرا إنسانيا كونيا يندرج ضمنه الفكر الإسلامي.

استند المنهاج الجديد على مبدأ التدرج الذي يروم جعل الفلسفة ملائمة ومناسبة للمستويات العمرية والنفسية لتلاميذ التعليم الثانوي التأهيلي بجميع أسلاكه، حيث انطلق من قاعدة التعرف على الفلسفة والاستئناس بها في مستوى الجذوع المشتركة، واعتماد البساطة والوضوح في تبليغ مضامين الفلسفة للمتعلمين في هذا المستوى، والحرص على الإشراف الفعال للمتعلم في بناء معرفته عن طريق بناء مشاريع فردية وجماعية إلى مستوى التمرس على الفلسفة في السنة الأولى باكالوريا على شكل مفاهيم وتيمات وقضايا اعتمادا على النصوص الفلسفية وصولا إلى ممارسة التفكير الفلسفي المنظم والمستقل نسبيا في السنة الثانية باكالوريا.

ولقد ارتكز منهاج الفلسفة على اختيار تدريس الفلسفة من خلال المفاهيم والموضوعات، ويعتبر هذا الإقرار بمثابة إعلان عن الهوية البيداغوجية لبرنامج مفاهيم، ويعتبر المنهاج الحالي امتدادا للبرنامج السابق على مستوى التدريس بالمفاهيم على الرغم من صياغتها في البرنامج الجديد على شكل ثنائيات مثل النظرية والتجربة، الحق والعدالة...

وفي هذا السياق نلاحظ أن المغيب في البرنامج الحالي هو تاريخ الفلسفة أي أنه متمركز حول مفاهيم عامة لا تخضع لإطار زمني، رغم أن تحليل مفهوم ما في الفلسفة يحيل في الغالب إلى تاريخ هذا المفهوم من بارمنيدس إلى جون بول سارتر، كما يقول فرانسوا شاتلي.

ويعتبر تبني العمل وفق التنظيم المجزؤاتي للتعليم في التعليم الثانوي التأهيلي، اختيارا يستجيب لمطلبات المرحلة وينسجم والمقاربة البيداغوجية التي تتخذ من الكفايات والقيم مدخلا لها ويعتبر التدريس بالمجزؤات مقاربة مفتوحة لفعال التعلم تتيح المرونة والوضوح، وتمنح فضاءات واسعة من حرية الفعل الفردي والجماعي. وبين التحليل فيما يخص وضعية الكتاب المدرسي أن المنهاج هو وحده الإطار المرجعي الملزم وطنيا، أما مضامين الكتب المدرسية للمادة والمقاربات والطرق البيداغوجية والتقنيات الديداكتيكية فيها، فلأستاذ (ة) المادة حرية التصرف فيها وفقا لأهداف المنهاج والكفايات المراد تنميتها لدى المتعلم.

258- طوزي ميشال ومن معه (2005): بناء القدرات والكفايات في الفلسفة، ترجمة حس ن احجيج، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح

الجديدة، الدار البيضاء.

استند المنهج الحالي إلى مدخل الكفايات في بناء المناهج التعليمية وفق ما هو وارد في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ومصنف في الوثيقة الإطار المحدد للاختيارات والتوجهات التربوية العامة، ويسعى المنهج الحالي إلى تنمية الكفايات النوعية والمستعرضة.

أمقراءتنا للمقاربات المنهجية لمنهج مادة الفلسفة فقد أسفرت عن نتائج مفادها أن منهج مادة الفلسفة بني على أساس المقاربة الفلسفية إذ ورد في وثيقة البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بتدريس مادة الفلسفة أن الهدف الأساس للمنهج هو تعليم التفلسف، وذلك بإكساب التلميذ القدرات الفلسفية الرئيسية كالأشكلة والمفهمة والحجاج، إضافة إلى حرص منهج الفلسفة على التعلم الذاتي كتوجه تربوي بيداغوجي وديداكتيكي يحيل على بيداغوجية الكفايات التي تدعو إلى الدفع بالمتعلم إلى بناء معارفه ودرائاته بالاعتماد على إمكاناته الخاصة داخل فعل تعليمي تعليمي يكون فيه فاعلا، وفق استراتيجياته المعرفية الخاصة، وهذا ما عبر عنه المنهج بالصيغة التالية " ممارسة التعلم الذاتي الهادف والإيجابي والفعال (1) .

يشكل تعلم الفلسفة المناخ الملائم لبناء التعلّمات وبالتالي تعلم القدرات والمهارات والكفايات المنشودة. يتعلق الأمر هنا بعملية إرادية تقوم بها الذات (المتعلم) لتمتلك وتطوير المعارف والكفايات، وتتميز بكونها مشروعاً للتنمية الشخصية والاكتمال بشكل منظم، كما تعتبر بمثابة تدير ذاتي للموارد وللوسائل البيداغوجية، وهذا يفيد أن الذات هي المصدر الأساس لتعلمها، وبالتالي فهي التي تمتلك سلطة تكوينها باعتبارها ذاتا واعية وفاعلة ومنتجة(2).

تكمن أهمية هذا النمط من التعلم في تحوير أساسي في تقسيم الأدوار والوظائف بين التلاميذ والمدرس وعملية التدريس، حيث يتمثل دور المدرس في تكريس التعلم الذاتي وفي تعزيز فردية كل متعلم على حدة، والقيام بمهام التوجيه والإرشاد وتزويد التلاميذ بالعديد من الخيارات في البيئة التعليمية، إذ يختار التلاميذ المواضيع الدراسية بحرية بقناعة كاملة، أما دور التلميذ فيرتكز على القدرة على الاختيار والمشاركة في تحديد الأنشطة، والمواضيع والقدرة على صياغة التقارير واتخاذ القرار

يتضح من خلال قراءتنا لمتون التوجيهات التربوية...فيما يخص المقاربة الفلسفية أن منهج الفلسفة لم يحدد بشكل دقيق المقصود بالمقاربة الفلسفية، وإنما اقتصر على إشارات عامة دون إحالات مرجعية نظرية وبيداغوجية، يتسم الخطاب الرسمي في هذا السياق بطابع السطحية والعمومية، خاصة في حديثه عن المقاربات البيداغوجية والأدوات الديداكتيكية، حيث يغيب فيه التحديد الإجرائي.

خاتمة :

يمكن ان نستنتج أن حضور المعرفة الفلسفية في الوسط المدرسي عن طريق النقل الديداكتيكي هو سفر بما هو عبور للأفكار وللنظريات من مجال إلى آخر وهو سفر محفوف بالتوجس والاحتراس فمن جهة إن هذا السفر لا يتم بدون خسارة، ذلك أن خصوصية الإطار المدرسي تفرض على المفاهيم والنظريات وهي في مسارها التكيفي، التخلي عما

259- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية ... (نوفمبر 2007): التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة الفلسفة بسلك الثانوي التأهيلي، مديرية المناهج، الرباط. ص 18.

٢ - الخطابي عز الدين (2010): الدرس الفلسفي كمجال للتعلم الذاتي، مجلة عالم التربية، العدد 19، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ص507.

تتمتع به من صرامة ودقة وهي في منبعها الأكاديمي الأصلي، حيث إن اتخاذ عنصر من عناصر المعرفة الفلسفية موضوعا للتعليم لا بد أن يؤثر بعمق في طبيعة هذا العنصر بالنظر إلى التحول الذي لحق الأسئلة التي وضع من أجل الإجابة عنها في البداية.

يبدو مما سبق أن تدريس الفلسفة واقع في قبضة ثلاث أقطاب لا يقدر على الفرار منها، فهو من جهة واقع تحت ضغط المؤسسة التربوية القائمة، ومن جهة ثانية مطالب بتحقيق المصالحة مع النسيج الثقافي الدارج، ومن جهة ثالثة يطلب منه أن يخضع لمستلزمات القول الفلسفي ذاته وإلا فقد الماهية التي تخصه، فكيف تقدر الفلسفة على خدمة ثلاثة أسياد في الآن نفسه؟

ولهذا الاعتبار حاولنا في هذا المقال معالجة مسألة النقل الديدانكي في الدرس الفلسفية انطلاقا من الوقوف عند أهم الصعوبات التي تطرحها الممارسة البيداغوجية الصفية، حيث تبين أن هناك صعوبات ترتبط بطبيعة الخطاب الفلسفي نفسه سواء من حيث ترجمته أو تبليغه، إضافة إلى المتعلم الذي ينقل إليه هذا الخطاب وضرورة مخاطبته معرفيا ووجدانيا ومعرفيا، وكذلك المدرس ناقل هذا الخطاب باعتباره الوسيط بين المعرفة الفلسفية والمتعلم، وشرنا باقتضاب إلى تصور المنهج المدرسي المغربي للدرس الفلسفي وما يقوم عليه من مبادئ ومرتكزات، واستنتجنا أنه لا يمكن للممارس البيداغوجي للدرس الفلسفي أن يستغني عن الإسهامات التي تقدمها علوم التربية في ما يخص العملية التعليمية التعلمية برمتها وعملية النقل الديدانكي بصفة خاصة حيث استفادت هذه الأخيرة بالفعل، في كثير من جوانبها، مما وصلت إليه الدراسات والأبحاث في عدد من فروع علوم التربية، خاصة ما يتصل منها بشكل مباشر بالفعل التعليمي وبشروط إنجازه.

وهكذا تم استثمار معطيات فلسفة التربية في تحديد أهداف التربية وقيمتها وإمكاناتها وحدودها. كما تم استثمار معطيات سيكولوجية التربية في تحديد أساليب التعامل مع المتعلم. وتم كذلك استثمار معطيات سيكوسوسيولوجية التربية في رصد الظواهر السيكوسوسيولوجية السائدة داخل الفصل، ووعي مستوى العلاقات بين المتعلمين والمدرس، وضبط عوامل تحسين مناخ الفصل ليكون أرضية تعلم ملائمة حقا. وتم أيضا استثمار معطيات سيكولوجية التربية في إدراك ووعي البعد الاجتماعي الذي يتحكم في العملية التعليمية التعلمية ومختلف التأثيرات التي يحدثها فيها. ولهذا أصبح لزاما على الدارسين والممارسين لعملية التعليم، أن يتمثلوا عددا من المفاهيم والتصورات التي تستند إليها الممارسة الديدانكيكية للدرس الفلسفي، وللنهوض بهذه الممارسة نوصي بما يلي:

- تمكين الباحثين الديدانكيين المهتمين بالدرس الفلسفي من رؤية شمولية ومستقلة للمضامين والمحتويات الدراسية بكيفية تسمح بالإمساك بكافة متغيرات ومعطيات عملية التعلم.

- تجاوز التصور البيداغوجي الذي يرى أن الاهتمام بشخص التلميذ هو أنسب سبيل لتحديد طرق التدريس الملائمة نحو تصور جديد يرى بان تركيز الاهتمام بالمعرفة يضمن الانتقاء الجيد للمحتويات الدراسية ولطرق تبليغها.

- ضرورة مصادقة الفلاسفة على سلامة المعرفة المدرسية وعلى مدى قربها من المعرفة العالمة.

- ضرورة ابتعاد المعرفة الفلسفية المدرسية عن المعرفة المبتذلة الرائجة في المجتمع.

- ضرورة الاهتمام بالقضايا والإشكالات الجديدة في الفلسفة والبحث العلمي.

- ضرورة انفتاح الدرس الفلسفي على علوم التربية وعلم النفس.

قائمة المراجع:

١. أحمد شبشوب (يوليوز ١٩٩٢): "مدخل إلى بيداغوجيا المواد" مجلة الدراسات النفسية والتربوية " العدد ١٣- مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ، المغرب.
٢. الخطابي عز الدين (٢٠١٠): الدرس الفلسفي كمجال للتعلم الذاتي، مجلة عالم التربية، العدد ١٩ ، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ، المغرب.
٣. المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية ... (نوفمبر ٢٠٠٧): التوجهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة الفلسفة بسلك الثانوي التأهيلي، مديرية المناهج.
٤. الحسين سحبان (يناير ١٩٩٢): الأمثلة في درس الفلسفة، مجلة البحث الديداكتيكي "ديداكتيكا" العدد ٢.
٥. بريزي عبد الله (٢٠١٥): تدريس الفلسفة وتعلم التفكير النقدي ، دار التوحيدي ، ط١ ، الرباط، المغرب.
٦. بريزي عبد الله (أكتوبر ٢٠١٥): صورة المتعلم في نظريات التعلم ، من الذات المنفعلة إلى الذات الفاعلة ، مجلة علوم التربية ، العدد ٦٣. مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ، المغرب.
٧. غاستون ميالاري (١٩٨٩): علوم التربية والديداكتيك، ترجمة احمد أوزي، مجلة الدراسات النفسية والتربوية ، العدد العاشر مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ، المغرب.
٨. لورنس كورنو، ألان فرنيو (٢٠٠٣): الخطاب الديداكتيكي . أسئلته ورهاناته . ترجمة عبد اللطيف المودني . عز الدين الخطابي . ط١ / منشورات عالم التربية . الدار البيضاء.
٩. محمد البرهسي (مارس ١٩٩٤): "مدخل إلى ديداكتيك مواد اللغة العربية، نحو تأسيس ابستمولوجية مدرسية" المجلة التربوية، العدد الرابع، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ، المغرب.
١٠. محمد الطاهرين عاشور(بدون تاريخ): أليس الصبح بقريب؟، الشركة التونسية للتوزيع.
١١. محمد أيت موحى (يناير ١٩٩٢) : ديداكتيك الفلسفة : أسئلة التأسيس ومنطلقات البناء، مجلة البحث البيداغوجي "ديداكتيكا" العدد ٢.
١٢. محمد حمود (مارس ٢٠٠٢): قضايا النقل الديداكتيكي للمعرفة – المجلة التربوية – العدد ٨ مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ، المغرب .
١٣. عبد الكريم الخطابي (٢٠٠٢): مسارات الدرس الفلسفي بالمغرب- حوار الفلسفة والبيداغوجيا ، منشورات عالم التربية، ط١ مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ، المغرب.
١٤. عزيز لزرقي (٢٠٠٢): قراءة في الاحراجات الخفية للتكوين الفلسفي ، مجلة فكر ونقد ، العدد ٤٨.
15. Althusser ,I, (1976): Idéologie et appareils idéologiques d'état , la pensée , N 151, In position ,éd Sociales.

16. Boudon, R,(1973): L'inégalité des chances, la mobilité sociale dans les sociétés industrielles, paris ,éd A.Colin
17. Bourdieu et Passeron (1964): Les héritiers , les étudiants et la culture, paris , éd.Minuit
18. Bourdieu et Passeron (1970) : La reproduction, elements pour une théorie d'enseignement, Paris , éd.Minuit
19. Cherkaoui,M,(1979) les paradoxes de la réussite scolaire: sociologie compare des systemes d'enseignement , paris , PUF
20. E.De corte et autre (1979): les fondements de l'action didactique ,ed de Boeck
21. F.Rollin (1982): L'éveil philosophique, UNAPEC,
22. Ibaaquil ,L,(198Y) : Mobilité sociale et passage par l'école au maroc, Université Paris V : Thèse d'Etat.
23. Michel Veret (1975) : le temps des études (tome 1), Librairie honoré champion,paris.
24. RudolfeBrouche (1997) , la déraison de la raison, Quadratures n° 17, juillet – aout- septembre.
25. Yves Chavallard (1991) : La transposition didactique du savoir savant du savoir enseigné, la pensée sauvage éditions , paris.
26. -Jouellet,(1989):représentations Sociales: un domaine en expansion(voir le lien:www.cairn.info - Université Louis Lumière Lyon.
27. -Michele le Doeuff (): l'imaginaire philosophique , klincksiek, paris

التنشئة الاجتماعية للطفل و انعكاسات العالم الافتراضي

أ.غضاب يمينة/جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2

ملخص :

رغم ما تمخض عن العولمة ومن الوسائل التكنولوجية المتطورة والانترنت والمواقع الالكترونية والدور الرئيسي الذي تلعبه في تحقيق الإفادة لبعض الأطفال سواء من الناحية العلمية أو التثقيفية أو الترفيهية إلا أنها سلاح ذو حدين يساهم في إحداث هوة وخلل في تكوين شخصية بعض الأطفال، لاسيما في ظل غياب الرقابة الأسرية عند ولوج الطفل للعالم الافتراضي ملأ وتعويض الفراغ النفسي والثقافي مما يشكل اللاتوازن في العالم الاجتماعي الواقعي ويساهم في انحراف الطفل.

وهذا ما دعا إلى تسليط الضوء على إشكالية العالم الافتراضي وتأثيره على الطفل من خلال إسقاطاته على تنشئته الاجتماعية. تنوير وتوعية الأسرة كمؤسسة مؤهلة في التنشئة الاجتماعية السليمة للطفل في حمايته من العالم الافتراضي في ظل الاستفادة من التطور التكنولوجي دون المساس بالأخلاقيات والقيم المتعارف عليها دينيا ومجتمعا. من خلال ملامسة المقاربات المفاهيمية التالية : الطفل، المحيط الأسري، العالم الافتراضي بالإضافة إلى تحليل المحكات العلائقية المتمثلة في : التنشئة الاجتماعية، الرقابة الأسرية، التطور التكنولوجي.

مقدمة:

ساعد التطور التكنولوجي على تطور مختلف جوانب المجتمعات حيث مكنها من عبور القارات بواسطة أجهزة موصولة بأسلاك وتمموضعة في مكان ثابت تسهل التعاملات دون الحاجة إلى التنقل المكاني، مع توفير الخدمات والخيارات المتنوعة للمتعاملين معها، غير أن الاستعمال الغير العقلاني لها جعل من الصعب بمكان تلافي وتجاوز التأثيرات السلبية التي جرفها التيار التكنولوجي في بعض النواحي، من ضمنها الناحية الاجتماعية خاصة في تأثيرها على الأطفال الذين يمثلون الفئة الأكثر حساسية في المجتمع وأهم قاعدة تشكل ركيزته المستقبلية، لاسيما في ظل غياب الرقابة الأسرية والتملص من بعض المسؤوليات تجاه الأطفال إما بشكل مقصود أو غير مقصود.

مما يستدعي وضع إستراتيجية تقوم على أسس سليمة وقوية في ظل حماية قانونية محلية وطنية وأخرى دولية لضمان جميع حقوق الأطفال، إضافة إلى تشكيل وتكوين ذاتي ابتداء من مرحلة الولادة من خلال الاعتماد على عملية بناء وتنمية الأطفال استنادا إلى الركائز الأساسية في تشكيلها، انطلاقا من قاعدة التنشئة الاجتماعية كعملية أساسية

منوطة بها الأسرة كمؤسسة مؤهلة إضافة إلى التنشئة المجتمعية التي تلعب دورا تكميليا لدور الأسرة لتحقيق هدف تكوين ترسانة شبابية قوية تشكل الدرع المتين والحصن الذي تحتمي به الدول وبشكل قوام وأساس تطورها.

(I) مفاهيم الدراسة:

١ - التنشئة الاجتماعية:

في علم الاجتماع تعني العملية التي يتعلم من خلالها الأفراد أنماط التصرف والتفكير السائدة في محيطهم، ودمجها بشخصيتهم. إذ لا تتم عملية الاكتساب بطريقة فورية بل تتم عبر مراحل ضرورية، فالاستيعاب يحصل تدريجيا بعد مرحلة نضج، كما أكد عليها جون بياجيه في دراسته حول تكوين الحكم الأخلاقي عند الأطفال.¹

- الاتجاه الاجتماعي يرى أنها: تدريب الأفراد على أدوارهم المستقبلية، ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع، وتلقينهم القيم والعادات والتقاليد والعرف السائد في المجتمع لتحقيق التوافق بين الأفراد وبين المعايير والقوانين الاجتماعية.²

- التنشئة الاجتماعية: هي العملية التي يتعلم بها الأطفال أو الأعضاء المستجدون في المجتمع أساليب الحياة في مجتمعهم. وهي الوسط الأول والقناة الأساسية التي يجري فيها نقل الثقافة وانتقالها على مدى الأجيال.³

- التنشئة الاجتماعية: هي العملية التي تعلم الطفل كيفية التعامل والتفاهم مع الآخرين، ويصبح بموجها كائنا اجتماعيا وتتضمن هذه العملية تعليم العادات الاجتماعية والاستجابة للمثيرات الرمزية، وتساعد الفرد على التكيف والتلاؤم مع بيئته الاجتماعية ويتم اعتراف الجماعة به ويصبح متعاوناً معها وعضواً كفواً فيها.⁴

تشارك التعريفات في أن التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يتم بموجها التطبيع والدمج الاجتماعي للطفل في المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه، ومن خلالها يكتسب الثقافة والقيم والعادات التي تترجم من خلال سلوكياته وتعاملاته وتفاعله مع الآخرين، إذ من خلال التشبع بها يتمكن من التغلب على أخطار العالم الافتراضي وما ينجم عن التنشئة الالكترونية.

٢ - العالم الافتراضي:

- الافتراضي يعني: شيئاً ما يوجد من حيث التأثير وليس في الواقع، ويفهم على أنه واقعي، صار منذ أواخر الثمانينيات يدل على التخيل الذي تحدته الوسائل التكنولوجية.⁵

- يصنف جان بوديار في كتاب المصطنع والاصطناع مصطلح الافتراضي على أنه ينتمي إلى صنف التخيل، لأشياء ليست واقعية لكنها تمثيلات تحل في النهاية محل الواقع.⁶

- ورد في قاموس أكسفورد الانجليزي يحمل معنى: أنه تصوير حاسوبي للواقع يعطي للمشاهد انطباعاً بأنه واقع فعلي يمكنه التعامل معه.¹

¹ جيل فيريول: ترجمة أنسام محمد الأسعد، معجم مصطلحات علم الاجتماع، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠١١، ص ١٥٧.

² فارس بن الشيخ الحسين: التنشئة الاجتماعية http://ibtesamh.com/showthread-t_288486.html

³ أنتوني غدنز: علم الاجتماع - مع مدخلات عربية-، ترجمة فايز الصباغ، ط ٤، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١، ص ٨٧.

⁴ عبد الرحمان العيسوي: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص ١٨٣، ١٨٤.

⁵ طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة - معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، ط ١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص ١٠٤.

⁶ المرجع نفسه، ص ١٠٥.

- العالم الافتراضي هو: وسيلة وأداة لخدمة الإنسان وسعادته، وليس غاية في حد ذاتها، لكن تفاعل عناصر التكنولوجيا مع بعضها البعض في مختلف العلوم أطلق طاقة هامة تفوق أهميتها وقوتها العناصر الداخلة فيها².

- هو برنامج ثلاثي الأبعاد يتفاعل المستخدمين فيه مشكلين ما يعرف بالحياة الافتراضية، وقد تحاكي العالم الحقيقي أو قد يكون خيالاً أو مثاليًا، إذ يتم التوجه نحوه بصفته وسيلة للعب والتسلية والترفيه، لكن لا يقتصر فقط على الألعاب، بل يتواجد فيه مختلف ما تتخيله من احتياجات، وكل ما هو موجود فعلياً في الحياة الحقيقية³.

وبالتالي تتفق التعريفات حول أن العالم الافتراضي هو العالم الموازي للعالم الواقعي من خلال محاكاته له بطريقة تخيلية، حيث يتميز بشموليته لكل ما يحتويه العالم الواقعي لأنه من نسيج وبناء أشخاص فعليين أو افتراضيين مما يجعله يحل محل العالم الواقعي لدى العديد ممن يستخدمونه ويتعاملون معه.

(II) التنشئة الاجتماعية كقاعدة أساسية في تنمية الطفل:

تلعب التنشئة الاجتماعية دوراً هاماً عبر مختلف المراحل العمرية في اكتساب الطفل مختلف الخصائص التي تؤهله للاندماج في الحياة الاجتماعية والتشبع بالثقافة المجتمعية التي تشكل لديه نظام أخلاقي يبلور مبادئه وقيمه وينمي قدرته الذاتية مما يعطيه الحصانة الكافية لمواجهة مختلف المخاطر التي تهدد وجوده ككيان اجتماعي.

والتنشئة الاجتماعية تمكن الطفل من التكيف الاجتماعي داخل مجتمعه ومحيطه من خلال اكتساب القيم والعادات والمعايير التي تحدد صلاحه في الحياة الاجتماعية وتسهل اندماجه فيها، ويمكن اعتبار التنشئة الاجتماعية جزءاً من التنشئة الثقافية التي يرى "هيرسكوفيتس" أنها تحقق كل أنواع الإشباع الفردية ولا تقتصر على تحقيق التكيف مع الحياة الاجتماعية، كما أنها تمتد مع عمر الفرد⁴.

حيث يرى إياد أحمد محمد أن التنشئة السليمة للطفل منذ صغره تساعده على تحقيق ذاته، وأكد على ضرورة الالتزام في السلوك بمعايير الأخلاق الرسمية وغير الرسمية الواردة في الدين وثقافة المجتمع⁵.

وهذا ما يبرز أهمية التنشئة الاجتماعية في تعبئة الطفل منذ الصغر بثقافة المجتمع الأصلي الذي ينتمي إليه، حيث تلعب دوراً كبيراً في تكوينه وصقل شخصيته مما يجعله يتعد عن المخاطر الاجتماعية التي قد تتمخض عن ما جرفته العولمة من تطورات تكنولوجية تمثل قالباً جاهزاً مبني على مقاييس ثقافات مجتمعية أخرى مغايرة.

إذ يرى الكثير من علماء الاجتماع أن التنشئة الاجتماعية تمر بمرحلتين أساسيتين:

¹ محمد بدوي: قاموس أكسفورد المحيط عربي إنجليزي، - أكاديميا انترناشيونال للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣، ص ١١٩٣.

² وجدي محمد بركات وآخرون: الأطفال والعوالم الافتراضية.. "آمال وأخطار"، مؤتمر الطفولة في عالم متغير، الجمعية البحرينية لتنمية الطفولة، مملكة البحرين، ١٨-١٩/٥/٢٠٠٩، ص ٣.

³ المرجع نفسه، ص ٤.

⁴ ايكة هولنكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، ترجمة محمد الجوهري، حسن الشامي، ط1، دار المعارف، مصر، 1972، ص ١٣٠-١٤٥.

⁵ إياد احمد محمد إبراهيم: دور الجامعات في تحقيق النزاهة العلمية، ورقة بحثية مقدمة لمندى الشراكة المجتمعية في مجال البحث العلمي والنزاهة العلمية، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، 2015، ص 274.

- التنشئة الاجتماعية الأولية: تكون في مرحلتها الرضاعة والطفولة، وفيها يصل التعلم الثقافي إلى أقصى درجات الكثافة، حيث يتعلم الأطفال اللغة وأنماط السلوك الأساسية التي تشكل أساس مراحل التعلم اللاحقة، ويكون المحيط الأسري هو الفاعل المؤثر والأكثر أهمية في هذه الفترة.

- التنشئة الاجتماعية الثانوية: تحدث في فترة لاحقة من الطفولة وتستمر حتى سن البلوغ، وفيها تتولى مجموعة من العوامل (جماعات الأقران، المؤسسات، وسائل الاتصال والإعلام، مكان العمل) بعض الأدوار والمسؤوليات التي كانت تقوم بها العائلة كتعليم الفرد منظومات القيم والمعايير والمعتقدات التي تشكل الأنماط والعناصر الأساسية في الثقافة.¹

(III) دور الأخلاق في تحقيق التنشئة الاجتماعية:

تعتبر الأخلاق عن قيم المجتمع ومثاليته، وأنماط السلوك والغايات المطلوبة وتفحصها بطريقة نقدية لاختبار صحتها، مما يؤدي لصياغة قيم جديدة.²

فالأخلاق هي بمثابة قانون اجتماعي تمارس الضبط الاجتماعي الطوعي مما يجعل من هاشبه قانون رسمي لكن بطريقة إرادية دون ضغط من أي جهة، فهي تحدد السلوك وما ينبغي إتباعه وما ينبغي التخلي عنه.³

فاكتساب الطفل لأخلاق المجتمع الذي يحتضنه وتشبعه بها يدعم تنشئته، ويشكل لديه نوع من التوازن من الناحية الاجتماعية مما يمنع انحرافه وراء أخلاقيات دخيلة تسبب له أمراض نفسية كأنفصام الشخصية أو ازدواجيتها أو تسهل انحرافه الأخلاقي عن المنظومة القيمية المجتمعية لأن الطفل سهل التطبع في المجتمع الذي يعيش فيه، وإذا كان المجتمع ذو معدل عالي في الانحرافات فإن الطفل يجد نفسه متفاعلاً مع الجماعات التي يعيش فيها وذلك كون أن السلوك الانحرافي ينتقل عن طريق التعلم وليس سلوكاً موروثاً.⁴

(IV) الوسائل المساعدة على ترسيخ التنشئة الاجتماعية للطفل:

تساعد في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل مجموعة من الوسائل إذا تم استغلالها بالطريقة المناسبة والجيدة، فإنها وقعها على نفوس الأطفال يلون قويا ويشكل منهجاً أصيلاً في تشكيل هويتهم ومن أهمها نجد مايلي:

١- المحيط الأسري: حيث تقوم الأسرة (الأبوين والإخوة والأقارب) بتأمين مطالب التنشئة الاجتماعية والرعاية المطلوبة، وعلى الطفل أن يسلك السلوك المتوافق والمطلوب في إطار معايير وأنماط سلوكية مطلوبة ومقبولة⁵، فكلما تقدم الطفل في العمر فإن قوى الردع الخارجية الصادرة من الأبوين تصبح قوى ذاتية داخلية في ضمير الطفل الذي يتكون عن طريق بنك القيم الأخلاقية للوالدين وبعد التشبع بها تصبح قيم الطفل نفسه.⁶

¹ أنتوني غدنز: مرجع سابق، ص ٨٧.

² إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: معجم مصطلحات عصر العولمة - مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية - ، دار النشر والتوزيع الإلكتروني للكتب العربية، دون سنة نشر، ص ٣١.

³ عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص 320.

⁴ رشاد أحمد عبد اللطيف: أساسيات الدفاع الاجتماعي في الخدمة الاجتماعية، ط ١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٦٢.

⁵ المرجع نفسه، ص ٦١.

⁶ عبد الرحمان العيسوي: مرجع سابق، ص ١٤٧.

- ٢ - المحيط العام: يلعب المحيط المجتمعي العام دورا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية لكونه يعد الإطار العام الذي يشمل الكل ضمن دائرته وكل ما يخرج عن نطاقه يعد غير سوي: كالتخلق بغير قيمه وعدم إتباع عاداته وتقاليده المتعارف عليها، فهو يضبط السلوك من خلال محاولة امتصاص الجزء (الطفل) ودمجه في الكل (أفراد المجتمع).
- ٣ - المدرسة: حيث أن تأثير المعلمين والرفاق في المدرسة يلعب دورا كبيرا في نقل وترسيخ بعض القيم والتعاملات لدى الطفل، مما يجعلها عنصر مهم وفعال في التنشئة الاجتماعية للطفل.
- ٤ - كتب وقصص الأطفال: فهي تساعد على غرس قيم أخلاقية في الطفل من خلال رواية قصص مستوحاة الدروس و العبر من الواقع بصور ورسومات كرتونية ملونة تشد الطفل وتؤثر فيه وتحفز على قراءتها.
- ٥ - التلفاز: يساعد على عملية التنشئة الاجتماعية من خلال عرض برامج وحصص أطفال وأفلام كرتونية ورسوم متحركة بطريقة تستهوي الأطفال وترسخ فيهم بعض القيم والسلوكيات، فكون أنهم في مرحلة تلقي فان تعرضهم للصور المتحركة والناطقة في سن مبكرة يلاءم خصوصية المرحلة الحسية الحركية التي يمرون بها، وبعد الاستجابة يقومون بالتخزين لتصبح جزءا من رصيدهم الوجداني والتربوي وتكون لديهم القيم والاتجاهات والوعي.¹
- ٦ - الانترنت: وتعد من أحدث الوسائل وأكثرها تطورا وأشدّها تأثيرا نظرا لشموليتها، فهي تحتوي وتشمل ما يعرضه كل من التلفاز والكتب وقصص الأطفال، بوفرة وبخيارات متنوعة إضافة إلى مزايا أخرى وخدمات متاحة في كل وقت، إلى درجة أصبحت تشكل واقعا آخر على الرغم من افتراضيته وعدم واقعيتها إلا أنه برز بقوة ونافس الواقع الاجتماعي بل وأصبح يشكل خطرا عليه، فتفاعل الإنسان مع الحاسوب يحوله إلى إنسان افتراضي يعيش على الشبكة المعلوماتية ويتواصل مع غيره في كافة أنحاء العالم، ليشكل بذلك حسب ما يسميه بن رحومة "الإنسوب" من خلال المنج بين "الإنسان والحاسوب".²

(V) الظهور التاريخي للعالم الافتراضي:

ظهر العالم الافتراضي بظهور الانترنت (شبكة الاتصالات العالمية) التي كانت إحدى ثمار الحرب الباردة، فقد طورتها في البداية حكومة الولايات المتحدة في السبعينيات كأداة لتبادل المعلومات وحماية الاتصالات في حالة حدوث هجوم نووي، وتطورت هذه الشبكة في الثمانينيات، وأصبحت شبكة لتبادل المعلومات في الأوساط الجامعية الأكاديمية، ثم تطورت إلى وسيلة للاتصالات الإلكترونية، لكل من يملك حاسوبا وشخصيا وخط هاتفي.³

حيث بلغ عدد مستخدميها سنة ١٩٩٦ أكثر من ١٠ مليون شخص ٨٨% منهم يقيمون في المجتمعات الغربية والصناعية المتقدمة، وقد أشارت بعض التقديرات إلى أن نسبة الاستخدام تتزايد بنسب متفاوتة بين المجتمعات تفوق في إجمالها نسبة ٢٠% كل سنة.⁴

^١ عبد الله الخياري: ثقافة الطفل وتحديات العولمة، التدريس مجلة كلية علوم التربية العدد ٥٥، السلسلة الجديدة، 2013، ص ٣١.

^٢ نعيمة رحمانى وزينب دهمي : الانترنت(العالم الافتراضي) والعنف الرمزي، مجلة علوم الانسان والمجتمع، العدد ١١، جامعة بسكرة، سبتمبر ٢٠١٤، ص ٣٧٠.

^٣ جوردون مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري، المجلد الأول، ط٢، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧، ص ١٩٥.

^٤ أنتوني غدنز: مرجع سابق، ص ٥٢٣.

وقد قال "راي كورزويل" الذي يعتبر احد كبار المخترعين وعلماء المستقبل أن البشرية سوف تشهد سنة ٢٠٣٣ نموًا لا يمكن تصوره في أداء الكومبيوترات مما يؤدي إلى تضاءل الحدود بين الخيال والواقع" حسب BBC.¹

(VI) خصائص العالم الافتراضي:²

إن العولمة وما نجم عنها من تطور تكنولوجي فرض هيمنة العالم الافتراضي لكن بطريقة طوعية إرادية وبإسهام من مستخدمي الانترنت الذي اكتسبوا الهوية الافتراضية ليصبحوا بذلك مواطنو العالم الافتراضي، حيث مهدوا الأرضية التي تعزز انتشار هذا العالم محاولين تشكيل واقعته النسبية، وهذا العالم كغيره من العوالم (الواقعي، الخيالي ...) يملك مجموعة من الخصائص التي تميزه وتطبع هويته الافتراضية منها مايلي:

١- الانتقائية:

في العالم الافتراضي يتم انقاء الأشخاص بطريقة إرادية، حيث يمكن قبل إضافتهم الاطلاع على سيرة حياتهم وأعمالهم واهتماماتهم من خلال البحث عنها عبر شبكة الانترنت، وبعدها يتم إعارتهم الانتباه ومتابعة أعمالهم العلمية أو الفنية حسب الاهتمام الشخصي، بغض النظر إن كانت شخصيتهم التي نالت الإعجاب مطابقة لهم في الواقع أم العكس، فالاهتمام ينصب على شخصيتهم الافتراضية "الأنا الآخر" لا على شخصيتهم الواقعية، وبعد اكتشاف سوء في شخصيتهم الافتراضية أو الانزعاج منهم فان مجرد نقرة على أحد الأوامر المتاحة في شبكة العالم الافتراضي تسهل عملية التخلص منهم وعدم التقاطع معهم ثانية.

٢- المثالية:

وهي مرحلة تكميلية للمرحلة الانتقائية، فبعد انتقاء الأشخاص الافتراضيين يتم تكوين الأسرة أو المحيط الافتراضي الخاص والذي تم تشكيله حسب النظرة المثالية للفرد ورغبته فيما يجب أن يكون عليه العالم الواقعي من مثالية تامة، غير أنه يصعب نقل وتجسيد هذا العالم الافتراضي في العالم الواقعي بطريقة ملموسة وإنما يتم افتراضه نسبيًا، مما يجعله يبدو مثاليًا في أغلب الأحوال.

٣- السلامة:

فمهما بلغت درجة الاستياء من الأصدقاء والأشخاص الافتراضيين، إلا أن هذا لن يخلف أي أذى مهما كان نوعه فكل شيء يحدث في العالم الافتراضي يبقى حبيس جدران الكمبيوتر، بل يبقى حبيس الشبكة الافتراضية ولا يصل أذاه حتى إلى الكمبيوتر، وينتهي كل خلاف وأذى افتراضي بمجرد قطع الاتصال بين الكمبيوتر وجهاز توصيل الانترنت، مما يجعل الفرد يعيش في أمن وسلامة على عكس النزاعات التي تحدث في العالم الواقعي فإنها تكون أكثر أذى لأنه يكون ملموسًا.

(VII) سلبيات العالم الافتراضي:

يسبب العالم الافتراضي مجموعة من الانعكاسات السلبية على التنشئة الاجتماعية للطفل منها:

¹ <http://annabaa.org/nbanews/69/153.htm>

² <http://blog.omariemran.com/virtual-world>

يعرض لمستخدمه قيم وسلوكيات المجتمعات الأخرى التي في حالة ما إذا كانت متحررة أو لا تتناسب مع عادات وتقاليدها الإسلامية فإنها تحدث مشكلا ثقافيا يؤدي إلى اختلال التوازن الثقافي داخل النظام الاجتماعي.¹

- تسبب الألعاب الالكترونية المتاحة فيه حالات إدمان للأطفال نظرا للإغراءات التي توفرها وقدرتها على جذب ولفت اهتمامهم² ، إضافة إلى سعي بعضها لغرس بعض الطباع المنافية لأخلاق الأسرة والمجتمع والتي تحمل في طياتها مكامن تعكس النوايا الحريصة على الغزو الثقافي للأطفال منذ الصغر من خلال توسيع عملية الاستلاب الثقافي عبر الألعاب أو عبر بعض الإعلانات الالكترونية الجانبية التي تعرض جانبا في صفحة الألعاب أو في بدايع اللعبة، وهذا ما يجعل من المستحسن وضع الأجهزة التي تصل بين الطفل والعالم الافتراضي في أماكن من البيت تكون مرئية للجميع حتى يتسنى للأبوين وأفراد الأسرة مراقبة الطفل بطريقة غير مباشرة، وتقديم النصائح والإرشادات مما يمنحه نوع من الحرية، وينمي ثقته بنفسه ويزيجه من درجة شعوره بالمسؤولية الذاتية.

- زيادة مدة مكوث الأطفال أمامه يسبب العزلة والانطواء مما ينتج سوء التوافق النفسي والاجتماعي وفقدان القدرة على التعامل مع الآخرين بسبب عدم التواصل الاجتماعي المباشر معهم³ (لاسيما في ظل تقزيم أهمية دور الطفل في الأسرة وعدم إشراكه في جميع المسائل والأمور العائلية حتى يحس أنه شريك فعال ولا يحس بالاغتراب ويعتزل عن المحيط الأسري، ليرتقي بين فكي العالم الافتراضي) ، فرغم أن العالم الافتراضي يدعو لتخليص الأفراد من عزلتهم، إلا أنه ينتهي بهم إلى عزلة جديدة عن عالمهم الواقعي⁴ ، وذلك لأن طول مدة مكوث الطفل أمام الانترنت التي تستمر لساعات متواصلة ومتكررة تجعله لا يفرق بين العالمين الواقعي والافتراضي، ويرى أن العالم الواقعي امتداد للافتراضي، بل ويميل للافتراضي نظرا لدرجة الحرية التي يستشعرها في تعاملاته فيه، وهذا ما يبين أهمية تنظيم برنامج يومي يحتوي على قائمة المواقع المفيدة التي يسمح للطفل بتصفحها، مع ضبط المدة الزمنية اللازمة لذلك، وتزويد الكمبيوتر ببرامج تمنع عرض الإعلانات الغير أخلاقية عند تصفح الطفل للمواقع المسموحة له.

- يسبب للطفل أضرار صحية كضعف النظر، واضطراب النوم والتغذية، والشعور بالإرهاق والخمول الذهني، مما ينعكس بصورة مباشرة على تحصيله الدراسي⁵ ، لذا من الضروري توعية الطفل بأن العالم الافتراضي مجرد افتراض تخيلي تكميلي في حياته، وليس فرضا إجباريا يستقطع وقته الضروري المخصص لإنجاز واجباته ومراجعة دروسه ومزاولة نشاطاته اليومية، وتفاعله مع المحيط الواقعي الأسري والاجتماعي.

- يعمل على غرس ثقافة العنف، إضافة إلى نشر أفكار هدامة تتناقض مع القيم والأخلاق المجتمعية، وتساعد على الوقوع في أخطار الانحراف وارتكاب السلوك غير السوي⁶، فالطفل الذي يحمل الثقافة الالكترونية يعيش عالما متناقضين، حاملا في شخصيته ثقافتين متباعتين غير متكافئتين، مما يشعره بالاغتراب عن نفسه فالثقافة الافتراضية

¹ تركي بن عبد العزيز السديري: توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في التوعية الأمنية ضد خطر الشائعات، دراسة مسحية على العاملين في إدارات العلاقات العامة بقطاعات وزارة الداخلية، رسالة ماجستير، جامعة نايف للعلوم الأمنية، كلية العدالة الجنائية، قسم الدراسات الأمنية ، الرياض، ٢٠١٤، ص ٢٦

² <http://shbakat1.blogspot.com/2012>

³ تركي بن عبد العزيز السديري: مرجع سابق، ص ٢٦

⁴ نعيمة رحمانى وزينب دهيمي: مرجع سابق، ص ٣٧٦

⁵ عبد الله الخياري: مرجع سابق، ص ٣٣.

⁶ تركي بن عبد العزيز السديري: مرجع سابق، ص ٢٧.

الالكترونية تسلب ثقافته المجتمعية لكونها تتوفر على كل ما يرغب فيه حتى وان كان محظورا وممنوعا في العالم الواقعي.¹

- تعلم الطفل ألفاظ ومصطلحات و رموز غير لائقة لأنهم قد يصادقون الشاذين أو المختلين عقليا أو المجرمين فيتعلقون بهم ويضعون ثقتهم بهم مما يجعل من السهل التأثير عليهم لاسيما عند غياب الرقابة الأسرية.²
- عرض صور وأفلام إباحية لا أخلاقية، تعمل على نشر الفساد الأخلاقي،³ وكون أن الطفل في طور النشأة فإنه يتلقفها ببساطة ولو بطريقة لا إرادية، حيث تظهر لاحقا عند بلوغه مرحلة الشباب أو في الظروف المناسبة لبروزها مرة أخرى على شكل نزاعات داخل الأسرة أو في المجتمع (كعنف الملاعب، المقاهي، المدارس،...).
- حدوث التذبذب والاضطراب النفسي لدى الطفل عند مشاهدته أفلام الرعب والتخويف والقتل والضرب، فيجعله يشعر بالخوف والقلق عند كل موقف يعترضه، فقد ثبت علميا أن مشاهدة أي مادة عنيفة تساهم في زيادة الهرمونات بنسبة 3%.⁴

(VIII) التنشئة الاجتماعية للطفل في ظل العالم الافتراضي:

فيعد أن كانت تتم الاستعانة فقط بجهاز التلفزيون كوسيلة أو أداة فيعية مكملة لتعليم الطفل وتنمية قدراته، فإن جهاز الكمبيوتر وغيره من الوسائل الالكترونية المتطورة أصبحت تشكل وسيلة أساسية لتسلية وتجنب إزعاجه نظرا لقدرة هذه الوسيلة على تحمل جزء من مسؤولية الوالدين، وتلبية حاجات الطفل ولو بطريقة افتراضية. فبدل أن يحصل على لعبة ملموسة للترفيه وقت الفراغ فإن جهاز الكمبيوتر وبمجرد النقر فإنه يوفر آلاف الألعاب في لحظة واحدة وبمختلف الألوان والمؤثرات السمعية والبصرية، مما يزيد من مدة مكوث الطفل أمام هذا الجهاز دون وعي منه بالتأثيرات الجانبية التي تنجم عنه لاسيما في ظل غياب النصيح والإرشاد الأسري المتواصل والمستمر.

لذا يجب أن يبين الوالدين للطفل محاسن ومساوئ الجهاز بصفة عامة وشبكة الانترنت والعالم الافتراضي بصفة خاصة، كما أنه ينبغي على الأسرة تيسير الحد الأدنى من متطلبات العيش وتوفير الرعاية اللازمة والتنشئة الاجتماعية السليمة، لأن المسؤولية تقع أساسا على عاتقها كمؤسسة أولية هدفها الأساسي رعاية الأطفال وتنشئتهم⁵، وفي الوقت ذاته يجب تجنب المغالاة في توفير طلبات الأطفال دون انتقاء وتمحيص لتجنب التأثير السلبي على تكوين شخصيتهم والحرص على توفير التنشئة الاجتماعية السليمة والمركزة على القيم والمبادئ الأخلاقية المتعارف عليها مجتمعا، والمستمدة من تعاليم الدين الإسلامي وما هو متوارث من الأجيال السابقة التي عكفت على بناء المجتمع على أسس سليمة.

¹ سامية ابرييم: العلاقة بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي - دراسة ميدانية لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة أم البواقي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 1، جامعة بسكرة، جوان 2015، ص 234.

² نعيمة رحمانى وزينب دهيمي: مرجع سابق، ص 377.

³ تركي بن عبد العزيز السديري: مرجع سابق، ص 28.

⁴ نعيمة رحمانى وزينب دهيمي: مرجع سابق، ص 370.

⁵ رشاد أحمد عبد اللطيف: مرجع سابق، ص 61.

حيث أن كل تقصير في التنشئة الاجتماعية للطفل يزيد من احتمال قيامه بالسلوك المنحرف الغير مقبول من قبل الآخرين¹، وذلك مرده إلى انغماسه في طيات العالم الافتراضي الذي يجعله يتأثر بكل ما يراه ويسمعه كون أنه في مرحلة الطفولة يكون في مرحلة التلقي الذي يبلور مع مرور الوقت سلوكياته بطريقة لا إرادية وبالتالي فإنه إذا تشبع منذ الصغر بالتنشئة الالكترونية ومشاهد العنف أو الإجرام أو المشاهد اللاأخلاقية فإنه يسلكها في مرحلة المراهقة والشباب.

- خاتمة:

وختاماً فإن التنشئة الاجتماعية تعد اللبنة الأساسية في التكوين الذاتي والبناء الشخصي للطفل وتحقيق كيانه الاجتماعي وهذا يكون من خلال الاستفادة من جميع المحطات والمراحل التي يمر بها في حياته بما تحتويه من وسائل وآليات تساعد على تجاوزها بنجاح، وكون أن العولمة سحبت معها الانترنت وفرضت العالم الافتراضي الذي برز وبقوة كوسيلة من الوسائل التكميلية في عملية التنشئة الاجتماعية فان هذا يبرز في المقابل أهمية الدور الرئيسي الذي تلعبه الأسرة كمؤسسة مؤهلة من خلال ممارستها الرقابة الأسرية، خاصة عند تعامل أطفالها مع العالم الافتراضي مما يستلزم منها تعليمهم وإرشادهم إلى كيفية الاستفادة من ايجابياته، وتجنب أخطاره بصفة عامة والإدمان بصفة خاصة والذي يزيد مدة مكوث الطفل أمامه، لاسيما في ظل محاولات فرض الغزو الثقافي الأجنبي الذي يعرض على براءته ما يستلزم ثقافته و يسلب قيمه الأخلاقية، ويغرس فيه ثقافة العنف، والأنانية، ويجعله يسلك سلوكا غير سوي إن لم يجعله شخصا منحرفا في المستقبل.

قائمة المراجع:

1. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: معجم مصطلحات عصر العولمة - مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية -، دار النشر والتوزيع الالكتروني للكتب العربية، دون سنة نشر.
2. أنتوني غدنز: علم الاجتماع - مع مدخلات عربية-، ترجمة فايز الصياغ، ط ٤، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.
3. إياد احمد محمد إبراهيم: دور الجامعات في تحقيق النزاهة العلمية، ورقة بحثية مقدمة لمنتدى الشراكة المجتمعية في مجال البحث العلمي والنزاهة العلمية، ط ١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، 2015.
4. ايكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، ترجمة محمد الجوهري، حسن الشامي، ط1، دار المعارف، مصر، 1972.
5. تركي بن عبد العزيز السديري: توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في التوعية الأمنية ضد خطر الشائعات، دراسة مسحية على العاملين في إدارات العلاقات العامة بقطاعات وزارة الداخلية، رسالة ماجستير، جامعة نايف للعلوم الأمنية، كلية العدالة الجنائية، قسم الدراسات الأمنية، الرياض، ٢٠١٤.

¹ المرجع نفسه، ص ٦١.

٦. جوردون مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري، المجلد الأول، ط ٢، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧.
٧. جيل فيريول: ترجمة أنسام محمد الأسعد، معجم مصطلحات علم الاجتماع، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠١١.
٨. رشاد أحمد عبد اللطيف : أساسيات الدفاع الاجتماعي في الخدمة الاجتماعية، ط ١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٧.
٩. سامية ابرييم: العلاقة بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي - دراسة ميدانية لدى عينة من ط لآب وطالبات جامعة أم البواقي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد ١٥، جامعة بسكرة، جوان ٢٠١٥.
١٠. طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة - معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، ط ١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ٢٠١٠.
١١. عبد الرحمان العيسوي: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٥.
١٢. عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤.
١٣. عبد الله الخياري: ثقافة الطفل وتحديات العولمة، التدريس مجلة كلية علوم التربية العدد ٥، السلسلة الجديدة، 2013.
١٤. محمد بدوي: قاموس اكسفورد المحيط عربي انجليزي- ، أكاديميا انترناشيونال للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.
١٥. نعيمة رحمانى وزينب دهبي : الانترنت (العالم الافتراضي) والعنف الرمزي، مجلة علوم الانسان والمجتمع، العدد ١١، جامعة بسكرة، سبتمبر ٢٠١٤.
١٦. وجدي محمد بركات وآخرون: الأطفال والعوامل الافتراضية.. "آمال وأخطار"، مؤتمر الطفولة في عالم متغير، الجمعية البحرينية لتنمية الطفولة، مملكة البحرين، ١٨-١٩/٥/٢٠٠٩.
17. <http://annabaa.org/nbanews/69/153.htm>
18. <http://blog.omariemran.com/virtual-world>
19. <http://shbakat1.blogspot.com/2012>
20. http://ibttesamh.com/showthread-t_288486.html فارس بن الشيخ الحسين: التنشئة الاجتماعية

علاقة ضغوط أحداث الحياة اليومية بأساليب مواجهتها لدى عينة من طلبة جامعة باتنة ٠١، الجزائر

أ.قاشي محمد، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر ٢

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن أهم ضغوط الحياة (الصحية، الأسرية، الدراسية، الاقتصادية، والاجتماعية) التي يتعرض لها الطلبة الجامعيين، و الأساليب المعتمدة لدى هذه الفئة لمواجهتها، ومن أهمها (أسلوب حل المشكلات، أسلوب التكيف الديني، أسلوب الانسحاب، أسلوب العلاقات والدعم الاجتماعي).

طبقت الدراسة على عينة ممثلة في ٩١ طالب من جنس الذكور تم اختيارهم بطريقة عرضية، معتمدين المنهج الوصفي الإرتباطي، ولغرض التحقق من أهداف الدراسة تم بناء أداة الدراسة، وهي عبارة عن استمارة تضمنت استبيانين الأول خصص لأحداث الحياة الضاغطة والثاني لأساليب المواجهة. وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

-توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين أحداث ضغوط الحياة (اقتصادية، اجتماعية، دراسية، أسرية وصحية) وبين أساليب المواجهة لدى الطالب الجامعي(أسلوب حل المشكلات، أسلوب التكيف الديني، أسلوب الانسحاب، أسلوب التروي والسيطرة، وأسلوب الدعم الاجتماعي).

-وقدم الباحث مجموعة من التوصيات التي من شأنها لأن تساهم في استخدام الاستراتيجيات الايجابية لمجابهة ضغوط الحياة لدى الطالب الجامعي.

الكلمات المفتاحية: ضغوط الحياة، الطالب الجامعي، أساليب المواجهة.

مقدمة:

يتوقف نهوض المجتمع وتقدمه بالدرجة الأولى على أفرادها، وكذلك على التكيف المتوازن في مختلف المجالات ومواكبة التغيرات المستمرة، وحتى يتحقق ذلك فلا بد من العمل على تخفيف ضغوط الحياة اليومية قدر الإمكان، سواء كانت نفسية أو اجتماعية. ولكن مع تعدد الأدوار التي يمارسها الأفراد وسعيهم المستمر لإشباع احتياجاتهم يتعرضون للعديد من الضغوط التي تؤثر على توازنهم وخاصة فئة الشباب التي تعتبر أكثر الفئات تعرضا للضغوط اليومية في حياتهم.

كما أن التطور السريع الذي تشهده المؤسسات الجامعية، أدى إلى ازدياد وتنوع مثيرات ومستلزمات الحياة، وأيضا طموحات الشباب التي اختلفت وازدادت عما قبل، وقد فرض ذلك عليهم مزيدا من الجهد والعمل المتواصل، ليعيشوا حياة سعيدة، وهذا ما جعلهم يشعرون بحالة من التوتر والضغط النفسي. وضغوط الحياة اليومية ومصادرها وأثارها

على الأفراد بصفة عامة والشباب بصفة خاصة، من الموضوعات التي نالت اهتمام الكثير من الباحثين في الآونة الأخيرة، خاصة لما ينجم عليهما من آثار على الصحة العامة للفرد.

١- مشكلة الدراسة:

يتميز العصر الحالي بمتغيرات سريعة متلاحقة أدت إلى العديد من المشكلات، والصراعات النفسية التي تواجه الفرد، في تواصله مع الآخرين، بحيث لم تعد الحياة بسيطة، بل أصبحت تفرض على الفرد أن يكون على قدر عال من الكفاءة لمواجهة هذه الصراعات، وعليه فالضغوط تعد أحد المظاهر الرئيسية التي تتصف بها حياتنا المعاصرة، وهذه الأخيرة ماهي إلا انعكاس للتغيرات الحادة والسريعة، التي طرأت على كافة مناحي الحياة.

ويعد طلبة الجامعة من الفئات التي تواجه بشدة العديد من العقبات والصعاب والصدمات النفسية والضغوط، خاصة وهم في مرحلة الدراسة الجامعية، وهي مرحلة حرجة وتعد من أصعب المراحل العمرية، بالإضافة إلى ذلك فطلاب الجامعة ينحرفون في سلوكياتهم نظرا لما يعانونه من الصراعات والإحباطات الداخلية والخارجية والتي يشعرون تجاهها بالقلق نحو التوافق من عدمه، وهذا ما أكدته (كونستاس، Constance) التي أوضحت مدى تعرض طلاب الجامعة للكثير من الاضطرابات النفسية، والصراعات نتيجة للمواقف والأحداث الجديدة والمتعددة، التي يواجهونها في حياتهم.¹

وبينما ترتبط ضغوط الحياة بمدى واسع من الاضطرابات النفسية والجسدية، فإن مصادر المواجهة تعد بمثابة عوامل تعويضية تساعد على الاحتفاظ بالصحة النفسية والجسدية، بشرط أن يعي الفرد كيفية التحمل، لذا يتعين عليه الاحتفاظ بالتوافق النفسي والاجتماعي، أثناء الفترات الضاغطة في حياته.

وبات هناك اقتناع بضرورة الاهتمام بدراسة حالة الشباب في مواجهتهم لمختلف المواقف والأحداث الضاغطة. واعتماد على ما سبق تم طرح التساؤل التالي: هل توجد علاقة ارتباطية بين أحداث ضغوط الحياة وبين أساليب المواجهة لدى الطالب الجامعي الجزائري؟

٢- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

١- أهمية المرحلة العمرية التي يمر بها الطلبة الجامعيين، وما يكتنفها من مشكلات متعددة تستدعي اهتمام المسؤولين والمهتمين، بشؤون التعليم وضرورة مراعاتها وأخذها بعين الاعتبار.

٢- مدى مساهمتها في تعزيز السلوكيات الصحية في حياة الناس عامة والطلاب الجامعي خاصة، وما تقتضيه هذه المرحلة في بناء شخصياتهم ومستقبلهم.

٣- مدى مساهمتها، في توفير القدر المناسب من المعلومات التي من شأنها أن تفيد أولياء الأمور، وأساتذة الجامعات في التعرف على حجم مشكلة تعرض الطلبة الجامعيين لبعض ضغوط أحداث الحياة اليومية، ومدى انعكاسها على التحصيل المعرفي لدى العينة محل الدراسة.

^١ - إبراهيم رشا راغب، الضغوط النفسية وعلاقتها بمستوى الطموح لدى طالبات الرحلة الثانوية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الع ليا للطفولة، جامعة عين الشمس، مصر، ١٩٩٨، ص ١٢٣.

٣- أهداف الدراسة:

- ١- التعرف على أكثر المواقف الضاغطة، انتشارا لدى الطلبة بجامعة باتنة^{١٠}.
- ٢- الكشف عن العلاقة بين أحداث ضغوط الحياة وبين أساليب المواجهة لدى الطالب الجامعي.
- ٣- التعرف على أهم أساليب المواجهة التي يعتمدها الطلبة في التصدي لأحداث الحياة الضاغطة.

٤- الفرضيات:

الفرضية العامة:

توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين أحداث ضغوط الحياة وبين أساليب المواجهة لدى الطالب الجامعي.

الفرضيات الجزئية:

- ١- توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين أحداث ضغوط الحياة وأسلوب حل المشكلات.
- ٢- توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين أحداث ضغوط الحياة وأسلوب التكيف الديني.
- ٣- توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين أحداث ضغوط الحياة وأسلوب الانسحاب.
- ٤- توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين أحداث ضغوط الحياة و أسلوب التروي والسيطرة على الأعصاب.
- ٥- توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين أحداث ضغوط الحياة وأسلوب العلاقات والدعم الاجتماعي.

٥- التعاريف الإجرائية:

أ- ضغوط أحداث الحياة اليومية:

وهي عبارة عن مجموعة من المواقف والمشكلات التي يتعرض لها الطالب الجامعي في حياتهم اليومية إلا أنها تختلف في درجة تأثيراتها. وتصنف في: الضغوط الأسرية والعائلية، الضغوط الصحية، الضغوط المادية، الضغوط الاجتماعية، الضغوط الدراسية... الخ

ويعرف إجرائيا: بالدرجة التي يتحصل عليها المجيب على الاستبيان، حيث تتراوح درجته ما بين (٩٠٣) درجة، بمتوسط حسابي (٦) درجة، وتدل الدرجة المرتفعة على ضغوط أحداث مرتفعة والعكس صحيح.

ب- الطالب الجامعي: كل تلميذ تعليم ثانوي متحصل على شهادة البكالوريا، ويزاول دراسته بالجامعة.

ج- أساليب المواجهة: هي ما يبذله الفرد من مجهود في مواجهته للمواقف والأحداث المتمثلة في الأنشطة، أو الخطط التي يسعى الفرد من خلالها للتعامل مع المواقف الضاغطة لحلها أو التقليل من أثارها.

ويعرف إجرائيا: بالدرجة التي يتحصل عليها المجيب على الاستبيان، حيث تتراوح درجته ما بين (٩٠٣) درجة، بمتوسط حسابي (٦) درجة، وتدل الدرجة المرتفعة على توظيف أساليب مواجهة مرتفعة والعكس صحيح.

٦- الدراسات السابقة:

دراسات تناولت أساليب مواجهة ضغوط الحياة وعلاقتها ببعض المتغيرات:

حيث أجرى علي عبد الله* (٢٠٠٩) دراسة لمعرفة دور المساندة الاجتماعية في المواجهة الإيجابية لأحداث الحياة الضاغطة، وتقليل الآثار السلبية الناتجة عن الضغوط، على عينة مكونة من (١٠٠) طالبا جامعيًا، نصفهم يقيم مع أسرهم، والنصف الآخر يقيم في المدن الجامعية، وانتهت نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة بين المجموعتين، على بعد التعامل الإيجابي والتروي مع أحداث الحياة الضاغطة، والفروق كانت لصالح الطلاب المقيمين مع أسرهم، وعلى بعد التعامل السلبي والفروق كانت لصالح الطلاب المقيمين في المدن الجامعية.

في حين قاما حسيب وتفاح* (٢٠٠٩) بدراسة على الالتزام الشخصي واستراتيجيات التعامل مع الضغوط لدى (٢٣) طالبا وطالبة بكلية التربية بالعريش، انتهت نتائجها بوجود ارتباط موجب دال بين إستراتيجية المواجهة، وجميع أبعاد الالتزام التنظيمي لدى أفراد العينة، وإلى وجود فروق في إستراتيجية المواجهة، في اتجاه المتفوقين دراسيا، ووجود فروق إستراتيجية المواجهة لصالح الذكور، وفي إستراتيجية التماس العون والسلبية لصالح الإناث، وفي بعدي تجنب الضغوط والسعي للاستمتاع لم تظهر فروق.

كما أجرت أمال جود* (٢٠٠٩) دراسة بعنوان أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة وعلاقتها بالصحة النفسية لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة الأقصي، وهدفت إلى التعرف على العلاقة بين أساليب مواجهة الضغوط النفسية والصحة النفسية، واعتمدت على مقياسين أحدهما لقياس أساليب الضغوط، والآخر لقياس الصحة النفسية. وبلغت عينة الدراسة مئة طالب وطالبة، وأسفرت النتائج أن طلبة جامعة الأقصي يستخدمون أساليب متعددة في مواجهة أحداث الحياة الضاغطة، كما أسفرت عن وجود علاقة ارتباط موجبة دالة بين أساليب المواجهة الفعالة والصحة النفسية، كما كشفت نتائج هذه الأخيرة عن عدم وجود فروق ذات دالة إحصائية في متوسطات درجات أفراد العينة في أبعاد أساليب مواجهة ضغوط الحياة تعزى لمتغير الجنس.

أما دراسة أبو عزائم* (٢٠٠٩) فهدفت إلى التعرف على أساليب مواجهة الضغوط وعلاقتها بسمات الشخصية لدى طلاب المرحلة الثانوية وهدفت الدراسة إلى التعرف على أساليب المواجهة وعلاقتها ببعض سمات الشخصية لدى طلاب المرحلة الثانوية وطبقت على عينة مكونة من ٤٣ طالباً و٤٥ طالبة، ومن النتائج التي توصلت إليها: أن أهم الأساليب التي يعتمد عليها الطلاب هي اللجوء إلى الله، ثم المواجهة وتأكيد الذات، ثم تحمل المسؤولية، كما كشفت عن وجود علاقة بين طبيعة المدارس التابع لها الطلاب وبين أسلوبين من أساليب مواجهة الضغوط وهي أسلوب لوم الذات والإنكار.

٧- التعقيب على الدراسات السابقة:

يتضح من الدراسات السابقة أنها ألقت الضوء على مختلف المواقف الضاغطة وكيفية مواجهتها والتصدي لها من قبل الطلبة بمختلف المستويات، وأوضحت هذه الدراسات أن معظم الطلبة يلجؤون إلى استخدام أساليب وإستراتيجيات معينة لمواجهة الضغوط التي تعترضهم في حياتهم وتنوعت بين " أسلوب التجنب، أسلوب التكيف، أسلوب التقييم الإيجابي، أسلوب التكيف الديني ...

كما حاولت هذه الدراسات معرفة الفروق بين الجنسين ذكور وإناث في اختيار الأسلوب الملائم لمواجهة الضغوط، غير أن دراستنا الحالية اختلفت في طبيعة عينة البحث بحيث ركزت على فئة الذكور المقبلين على التخرج، في مستويات ثلاث ليسانس، ماستر^١، ماستر^٢، وما يتعرضون له من مخاوف مستقبلية وضغوط يومية.

واستفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في بناء أدوات الدراسة.

الجانب النظري:

١. مفهوم ضغوط الحياة وطبيعتها: تعددت تعريفات الباحثين لمفهوم الضغوط الحياتية بمجالاتها المختلفة، حيث عرفها بشرير الحجاز ونبيل دخان على أنها: "مجموعة من المواقف والأحداث والأفكار التي تقضي إلى الشعور بالتوتر، وتستشف عادة من إدراك الفرد بأن المطالب المفروضة عليه تفوق قدراته وإمكاناته".¹ ويشير كامل عباس، روضة الصباغ إلى أن الضغوط هي مواقف غير سارة تعيق أو تهدد إشباع الحاجات النفسية، وتتجاوز قدرة الفرد على التوافق معها مما يؤدي إلى الشعور بالضيق والتوتر، وعدم الارتياح بناء على التقييم، الذاتي للموقف من قبل الفرد نفسه".²

ويذكر سامي عبد القوي، بأن الضغوط هي كل ما يواجهه الفرد في حياته من عوائق وصعوبات ومواقف وأحداث حياتية ضاغطة، تفوق طاقته على احتمالها، ويعجز عن إيجاد الحلول المناسبة لها، الأمر الذي قد يشعره بحالة من الإجهاد وعدم الارتياح النفسي، وقد يؤدي ذلك إلى اعتلال صحته الجسمية والنفسية.³ ومن خلال ما سبق يمكننا القول أن الضغوط هي مجموعة من العوامل والمؤثرات يمكن أن تكون داخلية نابعة من الفرد نفسه، أو خارجية قد تكون اجتماعية أو أسرية أو مهنية أو دراسية أو اقتصادية قد ينجح الفرد في مقاومتها والتغلب عليها، وقد لا ينجح في ذلك فيتعرض لكثير من المشكلات والأمراض النفسية أو الجسمية وهذا بالتالي ينعكس على علاقاته بالمجتمع المحيط.

٦ مصادر ضغوط الحياة المعاصرة:

قد تتعدد مصادر الضغوط، وتختلف باختلاف مجالات الحياة المعاصرة، بكل ما تكتنفه من تغيرات مفاجئة وسريعة ومن أمثلتها: ضغوط نفسية، اجتماعية واقتصادية، دراسية، مهنية، أسرية... وعن بعض المصادر التي أشارت إليها زينب شقير (١٩٩٠) وهي:

- ١-٢ - المشكلات الصحية: المرتبطة بالصحة الجسدية الفسيولوجية، كالصداع، وارتفاع ضغط الدم، وحرقة المعدة، وارتفاع معدل ضربات القلب، والغثيان والدوخة والرغبة... الخ
- ٢-٢ - المشكلات الشخصية: كالهروب والمقاومة، وانخفاض تقدير الذات، وانخفاض مستوى الطموح، والتصلب، وجمود الرأي، وصعوبة اتخاذ القرار والتردد.
- ٣-٢ - المشكلات الدراسية: والمتعلقة بظروف الدراسة، مثل صعوبة التعامل مع الزملاء والأساتذة، وصعوبة التحصيل الدراسي، وضعف القدرة على التركيز والانتباه، وارتفاع ضغط الدم، والنبض السريع، والتشاؤم وفقدان الاهتمام بالآخرين، ومشكلات الحساسية وآلام عضلات المعدة.¹

¹ بشرير الحجاز، ونبيل دخان (٢٠٠٥): الضغوط النفسية لدى طلبة الجامعة الإسلامية لديهم، وعلاقتها بالصحة النفسية لديهم، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، ص ١٣٤.

² كامل عباس وروضة الصباغ (٢٠٠٠): الضغوط النفسية الذي يواجهه طلبة المرحلة الإعدادية وعلاقتها بمفهوم الذات، مجلة التربية والعلم، العدد ٢٦، ص ١٢٣.

³ سامي عبد القوي (١٩٩٤): مقدمة في علم النفس البيولوجي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ص ١٤٥.

أما بشير الحجاز، ونبيل دخان، فيحددانها في:²

- المشكلات الاقتصادية: كضغوط الفقر والبطالة، انخفاض الإنتاج، التفاوت الطبقي، محدودية الدخل... الخ
 - المشكلات الاجتماعية: المتمثلة في سوء العلاقة مع الآخرين، وصعوبة تكوين صداقات، التفاوت الحضاري الثقافي، قلة نصيب الفرد من الرفاهية الاجتماعية والوسائط التكنولوجية...
 - المشكلات المهنية: كضغوط الشقاق مع الزملاء في العمل، ضغوط قواعد العمل، عدم الرضا الوظيفي، الأجر، الترقية، الشعور بالوفاة والعبء والثقل الناشئ من مهنة الفرد.
- هذا وقد أشار فاسمان (Fasman 1986) في دراسته، عن مصادر الحياة المواقف الحياة الضاغطة، في دراسته التي أجراها على (1) طالباً، من بينهم متفوقين، إلى وجود ثلاثة مصادر أساسية تتمثل في:
- أ- المشكلات الدراسية والاجتماعية: من حيث عدم تقبل الطالب لزملائه، وصعوبة تكوينه لعلاقات صداقة، وصعوبة قدرته على التعلم وانخفاض معدل تحصيله الدراسي، وعدم استغلال وقت فراغه.
 - ب- المشكلات الاقتصادية: من حيث وجود التفاوت الطبقي، الدخل المحدود للأسرة.
 - ج- العلاقات السيئة: وتتمثل في صعوبة التعامل، مع الأستاذ والنظام (الروتين) داخل الفصل الدراسي، ومشاعر الوحدة النفسية.³

3- خصائص الأحداث الضاغطة التي يمر بها الفرد: حسب عثمان⁴

- أ- إن المثير أو الضاغط يخرج عن نطاق ما يألفه الإنسان.
- ب- إن المثير الضاغط، يثقل القدرة التوافقية للفرد، يشكل تهديدا لذاته أو للآخرين من حوله امتدادا من الدائرة الصعبة.
- ج- إن المثير أو الحدث الضاغط، يحدث أثرا نفسيا سلبيا من الشعور بالعجز أو الخوف، أو معاناة الاضطراب الانفعالي في مواجهة الحدث.
- د- إن المثير أو الحدث الضاغط، يختزن في ذاكرة الفرد مفرزا اضطرابات انفعالية وجدانية وصحية سلوكية.
- هـ- إن التأثيرات المباشرة، أو غير مباشرة بعيدة المدى تتوقف على مدى حدة، أو استمرارية المثير أو الحدث الضاغط.

¹ عبد الله، محمد قاسم، مدخل إلى الصحة النفسية، دار الفك للطباعة والنشر، ٢٠٠٣، ص ٢٢.

² عودة، مرجع سابق، ص ٢١٥.

³ عبد المعطي، حسن (٢٠٠٦): ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها، القاهرة، مكتبة الزهراء، ص ١١١ - ١٣٤.

⁴ عثمان، فاروق السيد (٢٠٠١): القلق وإدارة الضغوط، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٣٦.

٤- أساليب مواجهة ضغوط الحياة:

يعرف علي أساليب مواجهة الضغوط بأنها: " الأساليب التي يواجه بها الفرد أحداث الحياة اليومية الضاغطة، والتي تتوقف مقوماتها الإيجابية، أو السلبية نحو الإقدام أو الإحجام، طبقا لقدرات الفرد، وإطاره المرجعي للسلوك ومهارته في تحمل أحداث الحياة اليومية الضاغطة، وطبقا لاستجاباته التكيفية نحو مواجهة هذه الأحداث، دون إحداث أية آثار سلبية جسدية أو نفسية عليه"¹

يعرفها كوهان^٢ ٣٤: Cohen, 1994: أساليب مواجهة الضغوط بأنها الأساليب التي يتبعها الفرد في مواقف الحياة المختلفة، سواء كانت هذه الأساليب: عقلية، معرفية، انفعالية، وجدانية أو سلوكية، التي من شأنها أن تخفف من حدة التوترات الناشئة، بعد تعرضه للأحداث الصادمة.²

ويعرفها إبراهيم على أنها: "مجموعة النشاطات أو الإستراتيجيات الدينامية- سلوكية أو معرفية، يسعى من خلالها، الفرد إلى مواجهة الموقف الضاغط، أو لحل المشكلة أو تخفيف التوتر الانفعالي المترتب عليه"³ وبالرغم من أن أساليب المواجهة تساعد على التكيف النفسي والاجتماعي، إلا أن " شيلدز" يرى أن أساليب المواجهة تختلف عن التكيف، فالتكيف يتكون من ردود أفعال الفرد التي تتسم بالآلية، أما أساليب المواجهة فإنها تستخدم آليات دفاع نفسية واجتماعية، تتضمن جهودا واعية Consious effort في التعامل مع الأحداث التي لم يستطع الفرد التكيف معها.⁴

١ تصنيف أساليب مواجهة ضغوط الحياة: ولقد أخذت تصنيفات عديدة نذكر منها:

أ تصنيف التحليل النفسي: صنفت هذه النظرية أساليب التكيف مع الضغوط إلى صنفين:

-أساليب تحدث لاشعوريا كالتبرير، والنكوص، وأحلام اليقظة، والإبدال.

-أساليب تحدث شعوريا، ويلجأ إليه الفرد بما يلي شخصيته في الرد على الموقف الضاغط أو المهدد.

ب -يصنفها لازاروس إلى عدة أنماط:

-نمط الهجوم، والمجاهبة وتصاحبه انفعالات العدا، والغضب والخصومة.

-نمط التجنب والانزواء، وتصاحبه مشاعر الخوف، والرعب، والهروب، واحتمالات الإصابة بالذعر.

-نمط اللافعل والسلبية الذي يرافقه الشعور، بالاكتئاب والميول إلى الانسحاب.

-نمط الخوف العام المتمثل في الشعور، بالقلق لاسيما في الظروف التي يستطيع فيها تحديد مصدر التهديد.

¹ علي، علي (٢٠٠٣): دليل تطبيق أساليب مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ١١.

Chang. Boston, Allyn and Bacon. and ² Cohen, R. J. (1994): Psychology and Adjustment. Values, Culture, and Collier, Macmillan, cands, P 346.

^٣ إبراهيم، رشا راغب (١٩٩٨): الضغوط النفسية وعلاقتها بمستوى الطموح لدى طالبات المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة عين شمس، ص ٩٥.

⁴ Shields,N(2001): "Stress, active coping and academic performance among persisting and no persisting college students", Journal of applied behavioral research, Vol,06,No3, P123.

- نمط الرفض والنعكران، حيث يميل الفرد لتجنب إدراك التهديد، أو الخطر بشكل كامل باللجوء إلى تجاهل، تجاهل مؤثرات الضغط النفسي وكبت الانفعالات التي يثيرها التهديد.

- أسلوب النشاط الاجتماعي، والعمل الهادف إلى تغيير مصدر الضغط والتخلص منه، أو التأثير فيه بشكل مباشر أو غير مباشر¹.

ويصنفها عودة² إلى:

- أسلوب حل المشكلات: وهي محاولات سلوكية، للقيام بعمل ما للتعامل المباشر مع المشكلة لحلها.

- أسلوب التكيف الديني: أسلوب يستند إلى الدعم العاطفي، الذي يوصل الفرد لحالة السكينة والطمأنينة، ومن أمثلة السلوك في هذا الأسلوب أن الفرد يطلب المساعدة من الله، ويصلي أكثر من المعتاد عندما تصادفه مشكلة أو ضغط ما.

- أسلوب الانعزال: وهو أسلوب تقل فيه جهود الفرد، للتعايش مع الحدث الضاغط ويحاول فيه الابتعاد عن تحقيق الأهداف المرتبطة أو ذات العلاقة بالحدث الضاغط، ويظهر أسلوب الانعزال على عدة أشكال تشير إلى أن الفرد وصل لمرحلة لا يستطيع فيها القيام بأي عمل لحل المشكلة.

- أسلوب التروي والسيطرة: أسلوب ينتظر فيه الفرد حتى اللحظة المناسبة، التي يقوم فيها بعمل ما لحل المشكلة، ويحاول الفرد التحقق من أن العمل الذي سيقوم به ليس خطأ، كما أنه لا يتسرع ويصبر قبل القيام بأي عمل لحل المشكلة.

- أسلوب العلاقات والدعم الاجتماعي: وهو أسلوب يتجه من خلاله الفرد، الذي يتعرض للحدث الضاغط بطلب النصيحة والمساعدة والمعلومات، من الآخرين الذين يثق بهم لمساعدته على خفض الضغوط وحل المشكلة.

إجراءات الدراسة الميدانية:

١ - عينة الدراسة: تكونت عينة البحث التي أجريت عليها الدراسة من (٩) طالب جامعي، تم اختيارهم بطريقة عشوائية على مستوى جامعة باتنة^٥، علما انه تم توزيع (١٥) استمارة استرجعت منها (٩) استمارة، و بعد فرزها تبين أنها كلها صالحة للمعالجة، و تعتبر هذه الفئة من الطلبة كلها من جنس ذكور و يبين الجدول رقم (١) بعض خصائص العينة المدروسة:

^١ عبد المعطي، المرجع السابق، ص 111.

^٢ عودة، مرجع سابق، ص ٢٠.

جدول رقم 1: بعض خصائص العينة المدروسة:

الخصائص	السن			المستوى الدراسي			دخل الأسرة			طبيعة السكن			وسيلة النقل		
	٢١	٢٢	٢٣	ليسانس	ماستر	ماستر	مرتفع	متوسط	منخفض	سكن جامعي	سكن خاص	مع الأسرة	نقل جامعي	سيارة خاصة	للمواضع
الفئات	٢١٨	٢٣٣	٣٢٨	٣٢	٣٩	٢٠	٠٨	٧٠	١٣	٢٩	٠٨	٥٤	٥٥	١٠	٢٦
التكرار	٢١	٢٢	٢	٣٢	٣٩	٢٠	٠٨	٧٠	١٣	٢٩	٠٨	٥٤	٥٥	١٠	٢٦
النسبة المئوية	١٩,١١%	٥٦,٤٢%	١,٨١%	٢٩,١٢%	٣٥,٤٩%	١٨,٢%	٧,٢٨%	٦٣,٧%	١١,٨٣%	٢٦,٣٩%	٧,٢٨%	٤٩,١٤%	٥٠,٥٥%	٩,١%	٢٣,٦٦%

٢- منهج الدراسة:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي الإرتباطي نظرا لملاءمته لطبيعة الموضوع فهو يقوم على أساس وصف خصائص الظاهرة وصفا دقيقا، عن طريق التعبير عنها تعبيرا كيفيا فيوضح خصائصها، تعبيرا آخر كميا ورقميا يوضح به مقدار الظاهرة المدروسة، مع تفسير وتحليل العلاقة التي تربط بين متغيرات الدراسة الأساسية، مما يزيد الرصيد المعرفي اللازم لفهم الظواهر والتنبؤ بها.¹

- حدود البحث:

أ- الزمنية: تم القيام بهذه الدراسة في الفترة الممتدة من ديسمبر ٢٠١١ إلى فيفري ٢٠١٢.

ب- المكانية: جامعة باتنة (أ).

ج- البشرية: طلبة كليات العلوم الاجتماعية والإنسانية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، كلية العلوم الاقتصادية، كلية الآداب واللغات الأجنبية.

٤- أداة الدراسة:

اعتمدت الدراسة على تصميم استمارة بحث، تضمنت استبيانين الأول متعلق بأحداث ضغوط الحياة، والثاني كان متعلق بأساليب مواجهة هذه الضغوط. وتكون الاستبيان الأول من (٣) فقرة موزعة عبر خمسة محاور، وهي الضغوط الأسرية، الدراسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الصحية. أما الاستبيان الثاني فتكون أيضا من (٣) فقرة موزعة عبر خمسة محاور وهي: أسلوب حل المشكلات، أسلوب التكيف الديني، أسلوب الانسحاب، أسلوب التروي والسيطرة،

¹ صلاح الدين شروخ، منهجية البحث العلمي للجامعيين، الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص ١٥٠.

وأسلوب الدعم الاجتماعي. وتم تحكيمه مجموعة من أستاذة القسم ثم تطبيقه على عينة استطلاعية قدرت بـ (٢) طالبا من قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، بعدها تم حساب صدق وثبات الأداة.

-الاستبيان الأول: تم الاعتماد على صدق المحكمين ،أما الثبات فقد تم حسابه عن طريق معادلة ألفا لكرونباخ وتراوحت بين معاملات الثبات لأبعاد الاستبيان بين ٠.٦ و ٠.٧ ،وهي معاملات مقبولة لثبات الأداة.

- أما الاستبيان الثاني: تم الاعتماد كذلك على صدق المحكمين ،أما الثبات فقد تم حسابه عن طريق معادلة ألفا لكرونباخ، وتراوحت بين معاملات الثبات لأبعاد الاستبيان بين ٠.٥ و ٠.٧ ،وهي معاملات مقبولة لثبات الأداة.

٥- الأساليب الإحصائية المطبقة: تم خلال هذه الدراسة الاعتماد على بعض الأساليب الإحصائية وهي:

- ✓ معامل الارتباط لبيرسون.
 - ✓ النسب المئوية في وصف العينة..
 - ✓ برنامج الجدولة ٢٠١ : Excel للتفريغ الأولي للبيانات وتنظيمها، وحساب المجاميع، المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.
 - ✓ برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS: لإدخال البيانات والحصول على النتائج بصفة نهائية.
- ١/ عرض وتحليل و مناقشة النتائج:

عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفرضية العامة:

والتي تنص على: " توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين أحداث ضغوط الحياة وبين أساليب المواجهة لدى الطالب الجامعي".

الجدول (٢) يبين العلاقة الارتباطية بين ضغوط أحداث الحياة واستراتيجيات مواجهتها

استراتيجيات مواجهة ضغوط أحداث الحياة		ضغوط أحداث الحياة
معامل الارتباط	-,576**	
مستوى الدلالة	,001	
العينة	٩١	

** . La corrélation est significative au niveau 0.01 (bilatéral).

من خلال القراءة الإحصائية للجدول رقم (٢) يتبين أن قيمة معامل ارتباط بين ضغوط أحداث الحياة و استراتيجيات مواجهتها بلغت (٠,٥٧-) وهو معامل ارتباط متوسط، مما يدل على وجود علاقة ارتباطية عكسية دالة إحصائية بين المتغيرين عند مستوى الدلالة (0.001)، أي كلما زادت ضغوط الحياة كلما قلت أساليب مواجهتها.

١١ / عرض، وتحليل نتائج الدراسة:

عرض نتائج الفرضية الأولى: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين ضغوط الحياة وأسلوب حل المشكلات.

جدول رقم ٣٠: يمثل العلاقة بين أسلوب حل المشكلات وأحداث ضغوط الحياة

أسلوب حل المشكلات		ضغوط أحداث الحياة
معامل الارتباط	-٠,٥٦	
مستوى الدلالة	٠.٠٠	
العينة	٩١	

من خلال الجدول رقم ٣٠ يتبين أن قيمة معامل ارتباط بين أسلوب حل المشكلات وأحداث ضغوط الحياة بلغت (-٠,٥٦) وهو معامل متوسط وفي ذلك دلالة على وجود علاقة ارتباطية عكسية دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠.٠٠ ، أي كلما كانت زادت ضغوط الحياة كلما قل استخدام أسلوب حل المشكلات من طرف أفراد العينة محل الدراسة.

عرض نتائج الفرضية الثانية: توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين أحداث ضغوط الحياة وأسلوب التكيف الديني

جدول رقم ٣١: يمثل العلاقة بين أسلوب التكيف الديني وأحداث ضغوط الحياة

أسلوب التكيف الديني		ضغوط أحداث الحياة
معامل الارتباط	-٠,٤٦	
مستوى الدلالة	٠.٠٠	
العينة	٩١	

من خلال الجدول رقم ٣١ يتبين أن قيمة معامل ارتباط بيرسون بين أسلوب التكيف الديني وأحداث ضغوط الحياة بلغت (-٠,٤٦) وهو معامل متوسط وفي ذلك دلالة على وجود علاقة ارتباطية عكسية دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠.٠٠ . أي كلما كانت زادت ضغوط الحياة كلما قل استخدام أسلوب التكيف الديني من طرف أفراد العينة محل الدراسة.

عرض نتائج الفرضية الثالثة: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين أحداث ضغوط الحياة و أسلوب الانسحاب.

جدول رقم ٥: يمثل العلاقة بين أسلوب الانسحاب وأحداث ضغوط الحياة

أسلوب الانسحاب		ضغوط أحداث الحياة
معامل الارتباط	٠,٤٢	
مستوى الدلالة	٠.٠٠	
العينة	٩١	

من خلال الجدول رقم ٥) يتبين أن قيمة معامل ارتباط بيرسون بين أسلوب الانسحاب وأحداث ضغوط الحياة بلغت $(0,42)$ وهو معامل متوسط وفي ذلك دلالة على وجود علاقة ارتباطية طردية دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة $0,00$. أي كلما كانت زادت ضغوط الحياة كلما زاد استخدام أسلوب الانسحاب من طرف أفراد العينة محل الدراسة.

عرض نتائج الفرضية الرابعة: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين أحداث ضغوط الحياة وأسلوب التروي والسيطرة

جدول رقم ٥: يمثل العلاقة بين أسلوب التروي والسيطرة وأحداث ضغوط الحياة

أسلوب التروي والسيطرة		ضغوط أحداث الحياة
معامل الارتباط	-٠,٥٢	
مستوى الدلالة	٠.٠٠	
العينة	٩١	

من خلال الجدول رقم ٥) يتبين أن قيمة معامل ارتباط بين أسلوب التروي وأحداث ضغوط الحياة بلغت $(-0,52)$ وهو معامل متوسط وفي ذلك دلالة على وجود علاقة ارتباطية عكسية دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة $0,00$. أي كلما كانت زادت ضغوط الحياة كلما قل استخدام أسلوب التروي والسيطرة من طرف أفراد العينة محل الدراسة.

عرض نتائج الفرضية الخامسة: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين أحداث ضغوط الحياة وأسلوب الدعم الاجتماعي

جدول رقم ٥ : يمثل العلاقة بين أسلوب الدعم الاجتماعي وأحداث ضغوط الحياة

أسلوب الدعم الاجتماعي		ضغوط أحداث الحياة
معامل الارتباط	٠,٣٦ -	
مستوى الدلالة	٠,٠٠٠	
العينة		٩١

من خلال الجدول رقم (٥) يتبين أن قيمة معامل ارتباط بين أسلوب التكيف الديني وأحداث ضغوط الحياة بلغت (٣,٠٦ -) وهو معامل منخفض وفي ذلك دلالة على وجود علاقة ارتباطية عكسية دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ٠,٠٠٠ . أي كلما كانت زادت ضغوط الحياة كلما قل استخدام أسلوب الدعم الاجتماعي من طرف أفراد العينة محل الدراسة.

٢١ / مناقشة نتائج الدراسة:

من خلال ما تم عرضه من نتائج في الجداول رقم (٢,٣,٤,٥,٦,٧) تبين لنا أن جميع التساؤلات التي تم افتراضها قد تحققت لكن بنسب متفاوتة في علاقاتها الارتباطية، كما أن أغلبها جاءت بعلاقة ارتباطية عكسية سلبية وتبين ذلك في كل من الفرضية الأولى، الثانية، الرابعة والخامسة، في حين جاءت الفرضية الثالثة بعلاقة طردية موجبة .

مناقشة نتائج الفرضية الأولى: وتنص على: أنه توجد علاقة بين أسلوب حل المشكلات وأحداث ضغوط الحياة

من خلال الجدول رقم (٥) يتبين أن هذه الفرضية قد تحققت وكانت قيمة معامل الارتباط لبرسون مقدره بـ (٩,٠٦ -) وهي ما تؤكد على أن العلاقة بين أسلوب حل المشكلات وضغوط أحداث الحياة هي علاقة سلبية عكسية أي بمعنى أنه كلما زادت الضغوط التي يواجهها الطلبة كلما قل الاعتماد على أسلوب حل المشكلات. وإن اعتمد أفراد العينة على تبني هذا الأسلوب فهو يبين أنه غير فعال في تخطي أو على الأقل التكيف مع مختلف الضغوط الحياتية وهذا قد يرجع لأسباب كثيرة منها على سبيل المثال: افتقار هذه الفئة إلى الثقة بأنفسهم، نقص البرامج التدريبية التي تساعد على تنمية روح الابتكار والإبداع، واكتساب مهارات حل المشكلات، كما قد ترتبط الأسباب بغياب روح المسؤولية والاتكال على الأسرة في مساعدتهم على المشكلات والضغوط التي يواجهونها، وهو ما تكشف عنه نتائج الجدول رقم (٥) بحيث نجد أن نسبة الطلبة المقيمين مع أسرهم تقدر بـ (٩,٤٩ %) وهي نسبة مرتفعة إذا ما قورن بنسبة الطلبة المقيمين في السكن الجامعي والمقارنة بـ (٢٦,٣ %) ونسبة الطلبة ذوي السكن الخاص والمقدرة بـ (٧,٢ %). مما نلاحظ أن النسبة الأكبر ممن يقيمون مع أسرهم، الأمر الذي يجعلهم لا يبذلون أي مجهود لحل مختلف المشكلات والعقبات التي تواجههم عن طريق استعمال هذا الأسلوب.

مناقشة الفرضية الثانية: وتنص على: أنه توجد علاقة بين أسلوب التكيف الديني وأحداث ضغوط الحياة.

من خلال الجدول رقم (٥) يتوضح أن هذه الفرضية قد تحققت وكانت قيمة معامل الارتباط لبرسون مقدره بـ (٤,٠٦ -) وهي قيمة سلبية، ما يؤكد على أن العلاقة بين أسلوب التكيف الديني وضغوط أحداث الحياة هي علاقة عكسية أي بمعنى أنه كلما زادت الضغوط التي يواجهها الطلبة كلما قل الاعتماد على أسلوب التكيف الديني، وهو ما قد يعبر عن

انعدام الثقافة الدينية وبعد الطالب الجامعي عن أداء واجباتهم الدينية كالمحافظة على الصلوات وقراءة القرآن خاصة وأن الحجم الساعي الدراسي جد مكثف وهو بالكاد لا يمنح أوقات راحة محددة سواء للصلاة أو غيرها...بالإضافة إلى تأثرهم بالثقافة الغربية سواء في لباسهم أو تصرفاتهم، وهذا ما جعل منهم يمارسون طقوسا غريبة بعيدة عن قيمنا وعاداتنا. وهذه النتيجة قد تتعارض مع نتائج دراسة أبو عزيم (٢٠) التي تؤكد أن أهم الأساليب التي يعتمد عليها الطلاب في مواجهة الضغوط وبالمرتبة الأولى هي اللجوء إلى الله، ثم المواجهة وتأكيد الذات، ثم تحمل المسؤولية.

مناقشة الفرضية الثالثة: وتنص على وجود علاقة بين أسلوب الانسحاب وضغوط أحداث الحياة

يتوضح لدينا من خلال نتائج الجدول رقم (٥) أن هذه الفرضية قد تحققت وجاءت قيمة معامل بيرسون مقدرة ب (٥,٦) وهي قيمة موجبة و تدل على أنه توجد علاقة طردية بين أسلوب الانسحاب وأحداث ضغوط الحياة، وتعتبر هذه الفرضية الوحيدة التي جاءت بقيمة موجبة وهذا يعني أنه كلما زادت الضغوط التي يواجهها الطالب الجامعي كلما زاد أسلوب الانسحاب، وهذا قد يعود مرده الخوف من مواجهة الضغوطات، أو السعي في التصدي للضغوط بأساليب أخرى تكون أقرب لشخصياتهم وميولاتهم وقدراتهم.

مناقشة الفرضية الرابعة: وتنص على: وجود علاقة بين أسلوب التروي والسيطرة وضغوط أحداث الحياة

الجدول رقم (٦) توضح نتائجه أن الفرضية الرابعة قد تحققت وأنه توجد علاقة عكسية بين أسلوب التروي والسيطرة وضغوط أحداث الحياة، وهذا ما تثبته قيمة معامل الارتباط لبيرسون المقدرة ب (٩,٠-)، ويأتي توضيح هذه العلاقة في أنه كلما زادت أحداث ضغوط الحياة كلما قلت السيطرة على المواقف، وهذا قد يعود مرده إلى طبيعة الشخصية التي قد تتسم بحدة الانفعال والتوتر الشديد مما قد تؤثر بالسلب على التحكم في الأعصاب ومواجهة الضغوط بروية وسكينة. وفي هذا الصدد يؤكد نتائج دراسة علي عبد الله (٢٠) على أن بعد التعامل الإيجابي والتروي مع أحداث الحياة الضاغطة، كان لصالح الطلاب المقيمين مع أسرهم على الطلاب المقيمين في الاقامات الجامعية.

مناقشة الفرضية الخامسة: والتي مفادها: وجود علاقة بين أسلوب الدعم الاجتماعي وضغوط أحداث الحياة

يوضح الجدول رقم (٧) أن هذه الفرضية قد تحققت وذلك بوجود علاقة عكسية بين أسلوب الدعم الاجتماعي وضغوط أحداث الحياة، وهذا ما تثبته قيمة معامل الارتباط لبيرسون المقدرة ب (٣,٠-)، وهي قيمة منخفضة وتدل على أنه كلما زادت ضغوط الحياة كلما قل اتجاه الشباب إلى طلب يد المساعدة والعون من زملائهم أو أقربائهم، بالرغم من أن الطلبة الجامعيين وبحكم دراستهم فهم يقضون معظم الأوقات إن لم نقل كلها في الجامعة بين زملائهم وأصدقائهم، وفي أجواء أخوية محفزة على التفرغ والأخذ بنصيحة الغير، غير أن هذه النتيجة تعبر عن رفض هذه الفئة لحب المشاركة والتعاون على تخطي الصعوبات والمشكلات التي قد تواجهها، وهو أمر راجع أيضا إلى طبيعة شخصية أفراد العينة، فهناك من يخجل من التصريح بحاجته إلى يد المساعدة سواء أكان الأمر يتعلق بمشكلة دراسية، صحية أو مادية..وهناك من نجده يعتمد على نفسه في مواجهة كل الضغوط التي تعترضه.

خاتمة:

شكلت هذه الدراسة محاولة للتعرف على أهم ضغوط الحياة اليومية التي يتعرض لها الشباب الجامعي، وعلى أهم الأساليب التي يتبناها ويستخدمها كوقاية للتصدي ولمواجهة هذه الأخيرة.

ومما لا شك فيه أن الطلبة الجامعيين يعتمدون على أساليب مختلفة لمواجهة الضغوط التي تعترضهم في حياتهم اليومية، غير أن قلة الخبرة والوعي في التصدي والمواجهة جعلتهم يستنزفون طاقتهم في السعي لتبني أساليب ذات فعالية أكثر للتكيف مع ضغوط أحداث الحياة اليومية.

غير انه من المهم الإشارة في خاتمة هذه الدراسة إلى مسألة جد مهمة في تقدير الباحث، والتي تكمن في تأثير مختلف ضغوط أحداث الحياة اليومية على التحصيل العلمي للطلاب الجامعي، مما يستوجب إرشاده وتوجيهه لتبني استراتيجيات مواجهة فعالة وإيجابية لتخفيفها ومجابهتها.

وخلصت الدراسة إلى جملة من التوصيات والاقتراحات تمثلت فيما يلي:

- ١ ضرورة اعتناء المسؤولين على الخدمات الجامعية، بتحسين مستوى تلك الخدمات وتوفير كافة الوسائل والتجهيزات، المادية التي من شأنها أن ترفع من معنويات الطلبة وترفع من دافعتهم نحو الدراسة والبحث الأكاديمي.
- ٢ ضرورة فتح مكاتب خاصة داخل الجامعة بتقديم خدمات الإرشاد التربوي والنفسي والمهني، وبرامج التوعية الوقائية للطلبة الذين يعانون من بعض المشكلات الأكاديمية والضغوط الحياتية، ومساعدتهم على تحقيق أكبر قدر من التوافق معها.
- ٣ ضرورة اهتمام كل قسم على مستوى إدارة الكليات، ببرمجة محاضرات في مقاييس الصحة النفسية والإرشاد التربوي والنفسي ضمن المقررات الدراسية، لأهميتها في تحسيس الطلبة بالمشكلات المصاحبة لكل مرحلة من مراحل المراهقة والطرق الصحيحة للوقاية منها.
- ٤ الاهتمام بثقافة الشباب الجامعي وذلك من خلال تنظيم دورات تكوينية، الهدف منها رفع مستواهم العلمي والثقافي والتربوي والتحصيل العلمي والتأهيل الوظيفي، وكذا التعريف بمكانته وأهميته في المجتمع ودوره في بنائه وتطوره.
- ٥ تشجيع المشاركة الايجابية للبناء للشباب الجامعي في مختلف النشاطات العلمية والرياضية والثقافية والترفيهية.

قائمة المراجع:

- ١ إبراهيم رشا راغب، الضغوط النفسية وعلاقتها بمستوى الطموح لدى طالبات المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة عين شمس، ١٩٩٠.
- ٢ بشير الحجاز ونبيل دخان، الضغوط النفسية لدى طلبة الجامعة الإسلامية لديهم، وعلاقتها بالصحة النفسية لديهم، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، ٢٠٠٥.
- ٣ كامل عباس وروضة الصباغ، الضغط النفسي الذي يواجهه طلبة المرحلة الإعدادية وعلاقتها بمفهوم الذات، مجلة التربية والعلم، العدد ٢٠٠٤.
- ٤ سامي عبد القوي، مقدمة في علم النفس البيولوجي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٠.
- ٥ عبد الله محمد قاسم، مدخل إلى الصحة النفسية، دار الفك للطباعة والنشر، عمان، ٢٠٠٣.
- ٦ عبد المعطي حسن، ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها، القاهرة، مكتبة الزهراء، ٢٠٠٠.
- ٧ عثمان فاروق السيد (٢٠٠٩): القلق وإدارة الضغوط، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠.
- ٨ علي علي، دليل تطبيق أساليب مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠.

٩ عودة محمد محمد، الخبرة الصادمة وعلاقتها بأساليب التكيف مع الضغوط والمساندة الاجتماعية والصلابة النفسية لدى أطفال المناطق الحدودية بقطاع غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠.

١٠- صلاح الدين شروخ، منهجية البحث العلمي للجامعيين، الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.

المراجع باللغة الأجنبية:

1- Cohen, R. J. , Psychology and Adjustment. Values, Culture, and

Chang. Boston, Allyn and Bacon. Collier, Macmillan, cands, 1994.

12-Shields,N, "Stress, active coping and academic performance among persisting and no persisting college students",

Journal of applied behavioral research, Vol,06,No3, 2001.

صناعة الأخبار التلفزيونية (مقاربة نظرية)

أ. قعوير هشام/جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، الجزائر

ملخص :

يتناول هذا البحث طرحا أكاديميا حول صناعة الأخبار التلفزيونية ، التي تشكل محور العمل الرئيسي في مختلف القنوات التلفزيونية خاصة منها القنوات الإخبارية المتخصصة ، حيث يشكل التلفزيون مصدرا إخباريا هاما للجمهور بفضل سرعته في تغطية الأحداث ومواكبتها أولا بأول ، غير أن العمل الإخباري يتطلب من رجال الإعلام التحلي الكبير بأخلاقيات المهنة نظرا لكون الخبر له القدرة على توجيه الرأي العام وخلق المواقف والاتجاهات ، ولهذا فمن أجدبيات الإعلام النقي الهادف والموضوعي أن يكون أداة لتنوير الرأي العام لا أداة لتظليلها وتزييف الحقائق ، كما أن هذا العمل يتطلب من رجال الإعلام أيضا أن يكونوا على دراية تامة بمختلف المستجدات التقنية التي يعرفها هذا الميدان من جهة، والتحكم في أساليب التحرير والمعالجة الإعلامية من جهة أخرى .

الكلمات المفتاحية : القنوات التلفزيونية الإخبارية ، الخبر ، القصة الإخبارية ، المعالجة الإعلامية ، أخلاقيات المهنة.

مقدمة :

إن من أهم ما يميز مجتمعات اليوم هي أنها مجتمعات تولي أهمية كبيرة للأخبار التي تندفق كل لحظة من مختلف بقاع العالم عبر وسائل الإعلام المختلفة، ولعل وأبرزها القنوات التلفزيونية الإخبارية التي ما تتوقف في تزويد الجمهور بالمعلومات والأخبار، التي تعكس في النهاية رؤية هذه القنوات للأحداث الجارية حسب ما تمليه سياستها التحريرية وأجندتها الإعلامية ، ومن هنا فقد باتت المنافسة الإعلامية شرسة بين هذه القنوات لتحقيق السبق الصحفي ، وهذا ما جعلنا نقدم هذا الطرح النظري حول صناعة الأخبار التلفزيونية، من خلال التعريف بمفهوم الخبر كمحور رئيسي في العمل الإخباري التلفزيوني ، وكذا إبراز أهم المستجدات في هذا الميدان وأهم المشكلات التي تواجه القنوات الإخبارية كمصدر للأخبار والمعلومات ، ثم في الأخير عرض للجانب الأخلاقي والتحريري في صناعة الأخبار التلفزيونية .

1- مفهوم الخبر كمحور أساسي في العمل الإخباري التلفزيوني:

إن الخبر هو سرد لشيء حقيقي وقع في العالم الفعلي ، حيث يتم نقل تقرير متوازن وموضوعي متضمنا القيم الإخبارية التي تقوم على معايير إخبارية مثل التأثير ، البروز ، الاهتمامات الانسانية ، الغرابة ، الصراع¹ ، وعرف هيربرت جانس Gans Herbert بأنه خبر حدث يركز على صراع درامي معين يهم عددا كبيرا من الأشخاص² ، أما ماجي

¹ -مارتن جون ، نظم الإعلام المقارنة، ترجمة علي درويش ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩١، ص٧٦.

² - نهي عاطف العبد ، صناعة الأخبار التلفزيونية في عصر البث الفضائي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص٢١.

الحلواني فيعرفه بأنه معلومات جديدة تدور حول حدث ما جرى في العالم القريب أو البعيد ، يتم نقله بدقة وأمانة موضوعية بدون تحيز لوجهة نظر أو لاتجاه سياسي ما ، وإذا تم خرق أحد الجوانب التي ذكرها يتحول الخبر إلى نوع من الدعاية ويسقط عنه عندئذ مفهوم الخبر^١.

ويعرف جون لي Lee John الأخبار بأنها ليست وصفا للواقع وإنما هي استعادة مقولبة اجتماعيا لذلك الواقع^٢ ، وبناءً على مجمل هذه التعريفات يمكن لنا صياغة تعريف إجرائي للمفهوم الخبر على أنه وصف موضوعي ودقيق لحدث ما ، على اختلاف طبيعته (سياسي ، أممي ، عسكري ، اقتصادي ، ثقافي ، اجتماعي ...) ، ويحظى هذا الحدث باهتمام الوسيلة الإعلامية نظرا لأهميته أو نظرا للأثار التي تترتب عليه وهذا من خلال معالجته وإخراجه في شكل مادة إعلامية قابلة للاستهلاك من طرف الجمهور ، وتعد الأخبار سلعة يتم التحكم فيها من خلال سوق إعلامي يتسم بالمنافسة المتزايدة يوما بعد يوم مثل أي سلعة إعلامية تحتاج لإرضاء رغبات الجمهور حتى يُقبل عليها ولا ينصرف عنها ، وتحتاج هذه الصناعة إلى العديد من المقومات التي يعد من أهمها وجود إعلامي يتمتع بحس إخباري تمكنه من تحقيق السبق الإخباري.

يتفوق التلفزيون كوسيلة إخبارية في ظل ثورة الاتصال التي أتاحت إمكانية معالجة الأحداث عن بعد، وذلك نتيجة لتطور تكنولوجيا الاتصال وظهور القنوات الفضائية مما أدى إلى زيادة الوعي بأهمية الوظيفة الإخبارية للتلفزيون خاصة في أوقات الأزمات والأحداث الطارئة ، ويهيئ الجمهور إلى الثقة أكثر في الأخبار التلفزيونية عن الأخبار المكتوبة وذلك لتوافر عنصر الصورة المتحركة والفورية في نقل الأحداث ، ولا يعني ذلك بالضرورة أن الأخبار التلفزيونية هي أخبار موضوعية حيث يمكن أن تتضمن قدرا من التحيز حتى في اختيار الصور المصاحبة للخبر^٣، وترجع أهمية التلفزيون في المجال الإخباري إلى أنه يقدم الأحداث في مشاهد متكاملة من صوت وصورة ، وتزداد خطورة ذلك عندما نعرف أن الانسان العادي يحصل على (٨٨%) من معارفه عن طريق حاسي السمع والبصر ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن التلفزيون يمكن أن يصل إلى مليارات المشاهدين في نفس اللحظة عبر الأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت لأدركنا خطورة الأخبار التلفزيونية .

وتلعب الصورة في الأخبار التلفزيونية أهمية كبيرة من حيث قدرتها على تحقيق الأثر لدى المشاهد وهذا انطلاقا من وجود العديد من الخصائص التي تتوفر عليها أهمها :

لغة العاطفة : حيث أن الصورة تحرك استجابة عاطفية لدى المشاهد مما يؤدي إلى تفاعله مع المضمون بشكل كبير .

المشاركة : ويقصد بها الاستغراق في المشاهدة ، حيث يشترك المشاهد اختياريًا في مشكلات الأشخاص الذين تدور حولهم الأخبار ، ولكن دون أن يكون ملزما بمساعدتهم .

مبدأ الاكتشاف : حيث تتيح الصورة للمشاهد أن يصل إلى نفس الاكتشاف الذي توصلت إليه الكاميرا ، وذلك يختصر المادة المكتوبة المصاحبة للصورة^٤ ، بالإضافة إلى قدرة التلفزيون على تخطي حاجز الأمية التي تعاني منها مجتمعاتنا

٣- ما جي الحلواني ، تكنولوجيا الاتصال والقوالب الفنية الإذاعية ، مذكرات غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص

١٧

٢ - حمدي حسن ، الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٨٦ .

١ - Jones Marsha , Mass Media , London , Macmilan , 1992 , P 92 .

٤ - نهى عاطف العبد ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

العربية ، فهو يتمتع بمزايا قريبة من مزايا الاتصال الشخصي حيث يسمح للقائم بالاتصال الدخول إلى بيوت المشاهدين بدون مجهود منهم لتعريفهم بأهم القضايا وتقديم التفسيرات المختلفة بالصوت والصورة، مما يساهم في ارتباط الجمهور بالمضمون الإخباري المعروض .

كما يعتبر البعض أن التلفزيون مصدرا إخباريا يُقدم معلومات سطحية عن الحدث ، فهو يعطي تغطية محدودة لعدد لا محدود له من القضايا والأحداث فلا يكون أكثر من خدمة عناوين ، كما أنه قوة سلبية ساهمت في تقديم صورة مبتورة ومشوهة عن العديد من القضايا ، بالإضافة إلى إبراز قضايا على حساب قضايا أخرى وتوجيه الرأي العام في اتجاه معين يخدم مصالح الجهة المالكة للوسيلة¹ ، كما يعتبر البعض أن التلفزيون ضد التعلم حيث أنه نظرا لضيق وقت البث يلجأ المذيعون إلى سرعة إلقاء الأخبار ، مما يؤدي إلى زيادة العبء على المشاهدة في الإدراك بعكس الصحف التي يحدد فيها القارئ سرعته في القراءة .

وقد تعرض التلفزيون إلى المنافسة شرسة في السنوات الأخيرة مع وسيلة جديدة وهي شبكة لمعلومات الدولية Internet ، حيث أدى ظهور الانترنت إلى تغيرات على الساحة الإعلامية ، باعتباره وسيلة منافسة للتلفزيون والإذاعة في المجال الإخباري ، ومن هذه التغيرات أن الانترنت يسمح لكل شخص قادر على التعامل مع هذه التكنولوجيا أن يصمم موقعه الإلكتروني الخاص به ، الذي يمكنه من أن يعرض عليه مضامين إعلامية مسموعة ومرئية ، وهي تتناسب مع طبيعة المرحلة التي نعيشها في الوقت الراهن ، والتي يطلق عليها "مرحلة الإعلام التفاعلي" ، وهي قيمة مضافة للإنترنت غير متوفرة في التلفزيون - حتى الآن - كما يوفر درجة من الاتصال الشخصي غير المواجهي من خلال مواقع التواصل الاجتماعي والدرشة وخدمة البريد الإلكتروني مما يسمح بتوفير مجال لمناقشة الموضوعات المختلفة .

٢- المستجدات الحديثة في صناعة الأخبار التلفزيونية :

١- إن الأخبار هي شكل إعلامي متميز يقبل الجمهور على متابعته ، ولهذا ظهرت مؤخرا قنوات إخبارية تبث على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع بما يعرف (٢٤/٧) ، حيث تعتبر الاستمرارية سمة حديثة أصبحت تنسج بها صناعة الأخبار التلفزيونية ، فالأخبار أصبحت تبث على مدار الساعة² Twenty Four Hours Continuous News ، وتستخدم تكنولوجيا رقمية حديثة في نقل المضامين المحلية والدولية بشكا فوري ، ويوجد أمران يجب مراعاتهما عند التعامل مع هذا المضمون الإعلامي وهما :

- إن الأخبار ليست مادة شفافة أو موضوعية أو غير متحيزة وليست نافذة على العالم .
- ضرورة أن تقدم الوسيلة الإعلامية أخبارا متنوعة لتلبية احتياجات متنوعة للجمهور ، كالتعرف على الأحداث العالمية لحظة بلحظة خاصة في أوقات الأزمات ، وقضاء وقت الفراغ وإيجاد موضوعات تصلح للحديث والنقاش مع الآخرين .

٢ - كما ظهر مصطلح حديث في مجال الأخبار وهو Infotainment وهو مزيج من مفهوم الترفيه والإعلام ، والمقصود به أن المضامين الإخبارية التي تغطي الحوادث والجرائم يتم معالجتها إعلاميا بشكل مشوق يقترب من أسلوب المضامين

¹ - محمد أحمد فياض ، الإعلام الفضائي الدولي والعربي (النشأة التطورية وصناعة الأخبار) ، دار الخليج ، عمان ،

٢٠٠٥ ، صص ١٣-١٤ .

²Holland Patricia , The TelevisionHandBook , Second edition , london . Routledge , 2000, P134 .

الترفيهية حتى تجذب المشاهد لمتابعتها ، ومن هذه النماذج التغطية الإخبارية لحرب تحرير الكويت ، حيث إنها كانت تغطية ترفيهية أكثر منها تغطية إعلامية¹ .

ويعد هذا التقارب بين صناعة المضامين الإخبارية والمضامين الترفيهية من الاتجاهات الحديثة في مجال الأخبار ، حيث بدأ هذا الاتجاه خلال الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي وأصبحت بعض البرامج الترفيهية تقدم مناقشات حول موضوعات جادة ، كما أن بعض المضامين الإخبارية تستخدم بعض تكتيكات المضامين الترفيهية في أساليب التصوير و الموسيقى المستخدمة وديكورات الاستديوهات لإضفاء روح مختلفة على المضامين الإخبارية التي تتسم بالجدية والجفاف ، حيث إن لم تقم الوسيلة بذلك لن تستطيع جذب انتباه الجمهور .

3- عرفت صناعة الاخبار التلفزيونية أيضا ظهور ما يسمى بالدراما الوثائقية The Docudrama ، لوصف نمط التغطية الإخبارية للصراعات والأزمات من قبل القنوات الإخبارية المختلفة ، حيث يرى بعض الباحثين أن هذه القنوات (الإخبارية) تُعيد خلق الواقع المتأزم الذي يفرز الصراعات المعنية وفقا لرؤيتها الخاصة ، وتعبيرا عن هويتها ومرجعيتها المعنية ، الامر الذي يستلزم إعادة النظر في مفاهيم الحياد والتوازن بوصفهما قيما تحكم العمل الإخباري² .

4- ومن عناصر الجذب التي تشكل أهمية وقيمة مضافة لصناعة الأخبار توافو المواد الفيلمية المصاحبة، حيث يعتبر الخبر الذي تصاحبه مادة فيلمية جذابة أكثر قابلية للبث من الخبر الذي يقتصر على مضمون مقروء فقط ، ويعد استخدام رسوم الجرافيك أو اللقطات الأرشيفية البديل الحديث العملي الذي يصاحب القصة الإخبارية لتوضيح معناها عندما لا تتوفر مادة فيلمية ، حيث أن أهمية الصورة في الخبر كمضمون إعلامي تحولت بعد ظهور التلفزيون إلى أحد أهم عناصر جودة القصة الخبرية ، فلقد أصبحت الصورة الفيلمية المصاحبة للخبر من العناصر الهامة في تقييم الخبر ، إذ تضيف له ثقلا يزيد من احتمالات بثه وبالتالي أصبحت الأخبار التلفزيونية كمضمون إعلامي لها قيمة مضافة عن الأخبار الإذاعية³ ، وبالتالي أصبحت المنافسة اليوم جد شرسة خاصة بين القنوات الإخبارية للحصول على صور فيلمية حصريّة من أجل تحقيق السبق الإعلامي ، ولعل هذا يبدو جليا من خلال توسيع هذه القنوات لشبكة مراسيلها في مختلف نقاط العالم من جهة ، ودعوة الجمهور للتفاعل مع صفحتها على مواقع التواصل الاجتماعي من جهة أخرى لتزويدها بكل ما يحدث في بلدنهم من أحداث قد تعجز هذه القنوات في الوصول إليها وتغطيتها مثل ما حدث في انتفاضة الربيع العربي ، أين استطاعت بعض القنوات الإخبارية تقديم صور حصريّة لأحداث هامة تم الحصول عليها من طرف الهواة ونشطاء الإعلام الجديد .

5- ومن المستجدات الحديثة التي أثرت على صناعة الأخبار التلفزيونية اختراع " جهاز التحكم عن بعد " The Remote Control" ، الذي جعل الواقع الاتصالي أكثر تعقيدا بالنسبة للإعلامي، لأن اختيار الاستمرار في المشاهدة مضمون معين أو عدم مشاهدته أصبح أسهل بالنسبة للمشاهد ، حيث يمكنه بسهولة التحويل من قناة إلى أخرى إذا ما شعر بالملل من المضمون التلفزيوني المعروض ، مما يجعل المشاهد في حالة استنفار دائم اتجاه المضمون المعروض ، حيث لا يصبر

¹ - Miljan Lydia ,Hidden Agendas (How Journalists Influence The News) , Canda , UBC Press, 2003, P36 .

² - نهي عاطف العبد ، مرجع سابق ، ص 31 .

³ - Henderson Harry , Power of The News Media , USA , facts on File , 2004 , P13 .

على مشاهدة فقرة غير جذابة في برنامج أو قصة إخبارية غير متميزة في نشرة ، فينتقل من مشاهدة هذه القناة إلى مشاهدة قناة أخرى، وبالتالي يضيع جهد فريق العمل الإخباري هباءً¹.

ويعد جهاز التحكم عن بعد تحديا جديدا يواجه صناعة الإعلام حيث أنه لا يسمح للمشاهدين بالحكم السليم على المضمون الإعلامي المعروض ، إذ زادت عمليات التعرض الانتقائي بشكل يؤدي الإعلامي ، فأصبح يتم الحكم على المضمون الإعلامي في كل دقيقة وليس كما كان الحال في الماضي عندما كان يهتم الإعلامي بصياغة مقدمة وخاتمة جذابة لبرنامج ، أما الآن فأصبح من الضروري أن تكون كل دقيقة من المضمون الإخباري جذابة ، لأن في كل دقيقة ينضم إلى البرنامج مشاهدون جدد يحكمون على المضمون إما بالاستمرار في مشاهدته أو رفضه .

٣-المشكلات والقيود التي تواجه صناعة الأخبار التلفزيونية :

لقد أدى ظهور القنوات المتخصصة الإخبارية التي تقدم إرسالها على مدار الساعة تأثيرا ملموسا في مجال السياسة الدولية ، حيث يرى البعض أن السياسيين أصبحوا يتخذون قراراتهم وفي أذهانهم تأثيراتها المحتملة إذا ما عرف بها الجمهور عن طريق وسائل الإعلام ، وقد ظهر ذلك التأثير بوضوح في تغطية شبكة CNN لحرب الخليج الثانية ، وعلى الرغم من ذلك لا تستطيع أي قناة تلفزيونية حتى المتخصصة منها تغطية كافة الأحداث التي تقع في كافة أنحاء العالم وذلك نظرا لعدة أسباب منها :

١-قيود الوقت المخصص للبحث فهو لا يكفي حتى لو كان ٢٤ ساعة ، حيث يحدد وقت النشرة عدد القصص الإخبارية التي يتم بثها ، إذ لا تسمح الخرائط البرمجية في أغلب القنوات التلفزيونية العامة بإضافة وقت زائد للنشرات الإخبارية إلا في ظروف خاصة كالحروب والكوارث الطبيعية ، لذلك يضطر المحررون الإخباريون إلى الاختيار الدقيق للقصص الإخبارية التي تتضمنها النشرة² ، وهذا ما يترجم من خلال وجود أجندة إعلامية تحكم عملية ترتيب الأخبار ومدتها الزمنية داخل النشرة الإخبارية .

٢- القيود السياسية المتمثلة في علاقات بعض الدول بالدولة المالكة للقناة ، والتي لا تسمح بإذاعة وبث الأخبار السلبية عنهم ، بالإضافة إلى ثقل بعض الدول وأهميتها عن دول أخرى ، لهذا توجد فجوة ملحوظة في مجال التغطية الإخبارية لأخبار بعض الدول عن تغطية أخبار دول أخرى لصالح الدول المتقدمة في أغلب الأحيان في أسلوب معالجة القصص الإخبارية الذي قد يختلف عن الواقع الفعلي لصالح أو ضد بعض الدول فيما يعرف بالتحيز الإخباري ، وهو الأمر الذي أدى إلى العديد من التساؤلات المطروحة حو الفرق بين العالم الحقيقي والعالم الإخباري³.

٣- ضرورة التعرف على نوعية الجمهور المستهدف من النشرات الإخبارية ، من خلال تحديد منطقة استقبال الإشارات التلفزيونية وإجراء دراسات ميدانية على جمهور القناة بهدف التعرف على الخلفيات الثقافية للجمهور وبالتالي القدرة على التعرف ردود أفعالهم المختلفة تجاه القصص الإخبارية المقدمة ، غير أن هناك مجموعة من الصعوبات التي تواجه الباحثين في هذا الإطار ، كاختلاف ظروف الاتصال من شخص لآخر ولدى نفس الشخص من وسيلة لأخرى ومن فترة

¹ - Holland Patricia , OP-cit. p p 234- 235

^٢ - محمد أحمد فياض ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

^٣ - نهي عاطف العبد ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

زمنية لأخرى أيضا ، بالإضافة إلى صعوبة قياس درجة تذكّر الجمهور للقصص الإخبارية المختلفة خاصة أن هذه النوعية من الدراسات نادرة في العالم العربي¹ .

وبذلك تعد طبيعة الجمهور المشاهد من القيود التي تتحكم في صناعة الأخبار التلفزيونية أيضا ، حيث أن عددا محدودا من المشاهدين لنشرات الأخبار يتفرغون لمشاهدتها بشكل كامل وينتهون أثناء المشاهدة ، بمعنى أنه يتعامل مع المضمون الإخباري بناءً على خبراته وعاداته واتجاهاته السابقة ، وهي عمليات انتقائية من شأنها أن تقود إلى الاهتمام بنوعيات معينة من الرسائل وإهمال رسائل أخرى .

٤- ملل المشاهدين من مشاهدة النشرات الإخبارية مما يجعلهم ينصرفون من مشاهدة النشرات الإخبارية مما يجعلهم ينصرفون عن مشاهدتها رغم اقتناعهم بأهميتها ، ويرجع ذلك إلى عامل التكرار فعلى الرغم من ذلك التغيير اليومي في القصص الإخبارية إلا أن الأسلوب الذي تقدم به النشرة لا يتغير، مما يجعل المشاهد غير المتخصص لا يشعر بأي تغيير حيث أن ديكور الأستوديو وموسيقى المقدمة والخاتمة وطاقت العمل وأسلوب المعالجة الأخبار ثابت² .

ويعالج المحررون الإخباريون مشكلة ملل المشاهدين من النشرات الإخبارية بتقديم القصص الإخبارية في إطار درامي له بداية ووسط ونهاية ، وهو ، أسلوب يوفر إرشادا منطقيا ومفهوما للموضوعات السياسية بشكل أكثر تبسيط ووضوحا مما يقدم في الوسائل المطبوعة.

٥- التعتيم الإعلامي الذي يُفرض على الوسيلة من قبل السلطة السياسية خاصة في أوقات الحروب والأزمات ، ففي هذه الأوقات تظهر على السطح إشكالية جدلية تتمثل في كيفية تحقيق التوازن ما بين تحقيق الشفافية الإعلامية والوضوح من ناحية وحماية الأمن القومي من ناحية أخرى³ ، وتزداد هذه الإشكالية وضوحا في العالم العربي حيث تخضع أغلب وسائل الإعلام لسيطرة صارمة من قبل الحكومات خاصة الوسائل التي تقدم الضامين الإخبارية ، وترجع أسباب الاهتمام بفرض رقابة على وسائل الإعلام المرئية في الدول العربية إلى ارتفاع معدلات الأمية ، مما يصبح معه التلفزيون المصدر شبه الوحيد للمعلومات بالنسبة لشريحة كبيرة من الجمهور ، غير أن بعض القنوات الفضائية الخاصة كسرت هذا التعتيم ومنها قناة الجزيرة ، إلا أنه في أوقات الأزمات والحروب يكون التعتيم مفروضا على أغلب وسائل الإعلام لحماية الأمن القومي .

٤- الجانب الأخلاقي والتحريري في صناعة الأخبار التلفزيونية:

أ- الجانب الأخلاقي في صناعة الخبر التلفزيوني التلفزيوني :

تعد اللغة أداة قوية من أدوات الإعلامي حيث أن أسلوب صياغة القصة الإخبارية من الممكن أن يحشد الرأي العام في اتجاه معين حيال قضية معينة ، لهذا من الواجب مراعاة اللغة المستخدمة في صياغة القصة الإخبارية حتى لا تكون منحازة من ناحية أو معقدة من ناحية أخرى ، حيث أن الأخبار تعد مادة جافة وثقيلة على المشاهد لهذا لا بد من تبسيطها حتى لا ينصرف عنها المشاهد إلى مضامين أخرى .

¹ - De-Fleur Melvin ,Across Culture Experiment On How Well Audiences Remember News Stories From Newspaper, Computer ,Television and Radio Sources : In Journalism Quartely Vol : 70, No :3 , 1993 , P P 585 – 586 .

² - Campbell Vincent , Information Age Journalism , London , Arnold Publishers , 2004 , P 76 .

³ - Amin Hussein , The development Of Spacenet and Its Impact , Cairo , The Adham Center For Television Journalism , AUC, 1995 , P84 .

لا بد في هذا السياق الخاص بالمعالجة الإعلامية للقصص الإخبارية من مراعاة بنود ومواثيق الشرف The Code Of Ethics وتعني مجموعة قواعد ومبادئ أخلاقية تعد دليلاً ملتبساً يسترشد به الإعلامي في المواقف المتعددة¹، حيث تضع حدوداً معينة للموضوعات التي يتناولها لتكون أو تحدد طرق معالجة تلك الموضوعات بما يتلائم مع ظروف المجتمع، ومن المعايير الأخلاقية التي تحكم صياغة المضامين الإخبارية والمتضمنة في مواثيق الشرف الإعلامية:

-تجنب إذاعة أخبار الفضائح والأخبار المخلة بالأداب العامة .

-تجنب إذاعة الأخبار التي من شأنها إثارة الدعر والرعب والفوضى وبلبله الرأي العام .

-تجنب دمج الأخبار مع الآراء من ناحية، وتجنب دمج الأخبار مع الإعلانات التجارية من ناحية أخرى².

ولابد من الالتزام بالقواعد الأخلاقية في كافة مراحل اختيار القصة الإخبارية الصالحة لأن تكون خبراً تلفزيونياً منذ البداية، مروراً باختيار التفاصيل الشارحة لها وصولاً إلى اختيار المادة الفيلمية المصاحبة للقصة الإخبارية، حيث يجب أن لا تتضمن هذه الأخيرة جرعة كبيرة من المشاهد العنيفة أو الصور الفيلمية التي تخدش الحياء العام، مع الاهتمام بتطبيق القيم الإخبارية المختلفة التي تعد المرشد الرئيسي للمحرر أثناء صياغته للقصة الإخبارية³، وترجع أهمية الالتزام بتطبيق بنود مواثيق الشرف أثناء صياغة القصص الإخبارية باعتبار أن صناعة الأخبار عملاً إقناعياً بالدرجة الأولى، حيث أن عدداً قليلاً من الأشخاص يشاهدون الحدث الأصلي على أرض الواقع، لكن أغلب أفراد الجمهور يتابعونه من خلال وسائل الإعلام التي تعد بالنسبة لهم المصدر الوحيد للمعلومات في هذا الإطار، لهذا يفترض أن تستخدم هذه الوسائل اللغة المحايدة وإن بدت جافة، حيث يمكن معالجة ذلك من خلال الاستعانة بمواد مصاحبة كالمواد الفيلمية أو الصور الفوتوغرافية أو اللقاءات مع شهود عيان، وهذه هي المعادلة الصعبة التي يحاول أن يحققها الإعلامي وهي المحافظة على موضوعية الخبر وتقديمه بحيادية مع الحفاظ على جاذبيته⁴.

كما يحكم عملية المعالجة الإعلامية للقصص الإخبارية أيضاً درجة انفتاح النظام السياسي في الدولة أو المؤسسة المالكة للقناة التلفزيونية التي تبث النشرات الإخبارية، حيث يتوقف أسلوب معالجتها للأخبار على مدى إيمانها بالديموقراطية⁵، إذ يعد الإعلاميين بمثابة ممثلين للسياسيين ينقلون قراراتهم ووجهات نظرهم في القضايا المختلفة، ولكن هذا التمثيل له مستويات حسب نوع النظام الإعلامي ودرجة الحرية الممنوحة له، فالإعلام يعد بوقاً للسلطة في الأنظمة السلطوية عكس الأنظمة الديموقراطية، وهذا يتأثر أسلوب كتابة القصة الإخبارية بالنظام السياسي الذي تتبعه المؤسسة الإعلامية ومدى مرجعيته الديموقراطية ودرجة الحرية الممنوحة له، وهنا يكمن دور الإعلامي في طاعة النظام السياسي وتحديد إن كان نظاماً سلطوياً من خلال انتقاء الأخبار التي ستذاع للجمهور، وبالتالي لا تكون أهمية الأخبار هي المعيار ولكن يتم اختيار الأخبار التي تؤكد على وجهات نظر معينة تخدم السلطة، وتلك ممارسة ضارة بالإعلام ومصداقيته لدى الجمهور، وفي هذا الإطار هناك مقولة معروفة وهي " بدون الإعلام لا توجد ديموقراطية وبدون ديموقراطية لا يوجد إعلام " فالعلاقة بينهما تبادلية حيث يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به.

¹ - عاطف عدلي العبد، القنوات المتخصصة (أنواعها، جمهورها، مبحثها، وأخلاقياتها)، مكتبة فيروز المعادي، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٠٠.

² - سامي الشريف، النشرات الإخبارية في الإذاعات العربية (الشكل والمحتوى)، دار الوزن للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٥٣.

³ - نهي عاطف العبد، مرجع سابق، ص ١٠٠.

⁴ - Street John, Mass Media, Politics and Democracy, London, AronaldPublishers, 2003, P 265.

⁵ -LustedDavid, The TelevisionStudies Book, London, Arnold Publishers, 2003, P 265.

ب - الجانب التحريري في صناعة الخبر التلفزيوني :

يتم تحرير الأخبار التلفزيونية وفق عدة أساليب ، غير أنه توجد بعض الأساليب أكثر شهرة وأكثر تداولاً بين محرري الأخبار التلفزيونية وهي :

١- أسلوب أدوات الإستفهام الستة The Five Wh + H :

وهي أدوات الاستفهام التي يفترض أن تجيب عنها القصص الإخبارية ، وهنا تكمن قدرة المحرر الإخباري الناجح على الاختصار - إذا تطلب الأمر - حيث يمكنه تقديم قصة إخبارية بشكل كامل في ٢٥ كلمة أو في ٢٥٠ كلمة حسب رغبته ، شريطة أن تتضمن القصة الإخبارية ذات الخمس والعشرون كلمة الإجابة عن العناصر التالية وهي : من ؟ وتضمن الشخصية أو الشخصيات المحورية في القصة الإخبارية ، ماذا ؟ وتضمن الحدث الذي تدور حوله القصة الإخبارية ، أين وتضمن المكان الذي وقعت فيه القصة الإخبارية ، متى والمقصود منها الفترة الزمنية التي وقعت خلالها القصة الإخبارية - ويميل بعض المحررين إلى حذف هذه الأداة من الخبر وذلك يرجع إلى افتراض أن الجمهور سيعرف أن الخبر وقع اليوم - كيف ؟ وتضمن التفاصيل التي وقعت في القصة ، ولماذا؟ وتقدم تفسير أو خلفيات الحدث^١ .

٢- أسلوب الهرم المقلوب The Inverted Pyramid :

ويعتمد على إبراز أهم عناصر القصة الإخبارية في بداية الخبر ، ثم توضع العناصر الأقل أهمية بعد ذلك ، وهذه الطريقة تعد موروثاً مهنياً من الكتابات الصحفية في الصحافة المكتوبة حيث استخدمها المحررون والصحفيون بسبب ملاحظتهم أن أغلب قراء الصحف يركزون على قراءة عناوين الأخبار ومقدماتها فقط ، ولهذا أصبحوا يضمونها العناصر الأكثر أهمية^٢ .

٣- أسلوب العصف الذهني Brain Storming :

يعد من الأساليب الهامة المستخدمة في إنتاج القصص الإخبارية ، وهو عملية إبداعية تعتمد على الترابط اللغوي لاستطلاع الأوجه المختلفة لموضوع القصة الإخبارية ، حيث يتم رسم دائرة أو جذع شجرة للموضوع الرئيسي ثم يتم سرد الأفكار ذات العلاقة به كأغصان لهذه الشجرة^٣ .

٤- القصة المكونة من مقدمة وتقرير مصاحب لها Stand Up - Story :

وهو شكل يعتمد على قارئ النشرة الذي يقوم بقراءة القصة الإخبارية ، ثم ينتقل إلى مراسل في الميدان يزوده بتقرير يتضمن تفاصيل أكثر حول القصة الإخبارية ، وهو شكل يوفر معالجة عميقة للحدث .

١ - عبد الستار جواد ، فن كتابة الأخبار (عرض شامل للقولب الصحفية وأساليب التحرير الحديثة) ، ط٢ ، دار مجدلاوي ، عمان ، ٢٠٠١ ، ص ٢٠١

٢ - وستون جيرالد ، نظرية الاتصال والبحوث التطبيقية ، ترجمة عبد الله بن أهنية و سعد هادي ، مركز البحوث والدراسات الإدارية ، الرياض ، ١٩٩٩ ، ص ٤٧ .

٣ - كارول ريتش ، كتابة الأخبار التلفزيونية والتقارير الصحفية ، ترجمة عبد الستار جواد ، دار الكتاب الجامعي ، العين ، ٢٠٠٢ ، ص ١١٢-١١٣

٥- القصة المكونة من نص تعقبه مادة فيلمية Voice Over Tape Story:

وهو شكل يعتمد على قارئ النشرة الذي يقوم بقراءة القصة الإخبارية ، وتعقبه مادة فيلمية حول الحدث مع صوت قارئ النشرة مصاحب لها Voice Over وهو يكمل قراءة القصة الإخبارية ، كما يوجد شكل آخر يستخدم عندما لا تتوفر لدى القناة صور فيلمية حديثة تناسب القصة الإخبارية حيث يقوم قارئ النشرة بقراءة القصة الإخبارية ويصاحبها رسوم جرافيك تشرح الحدث ، وقد تتضمن خرائط أو صور افتراضية^١.

خاتمة :

في الختام نقول أن العمل الإخباري التلفزيوني الناجح هو العمل الإخباري الذي يقدم الخبر بكل موضوعية وصدق بعيدا عن التهميل أو التظليل ومراعيا في ذات الوقت أخلاقية المهنة ، كما أن الجانب التحريري للخبر التلفزيوني يلعب أيضا دورا كبيرا في جذب انتباه المشاهد وشد اهتمامه وهذا بالتركيز على ضرورة تقديم أهم معلومة حول الحدث في مقدمة الخبر مع ترك التفاصيل الأقل أهمية إلى نهاية ، وهو الأسلوب الرائج إعلاميا لدى الكثير من القنوات الإخبارية العريقة في هذا الزمن ، ويعود ذلك بالأساس لكون المتلقي اليوم لم يعود كالمتلقي في السنوات الماضية ، فهو يملك اليوم العديد من الخيارات والبدائل الإعلامية والاتصالية التي قد تغنيه عن مشاهدة الأخبار التلفزيونية ، خاصة في ظل بروز الإعلام الجديد الذي أفرز وضعًا اتصاليا جديدا يسمح للمواطن العادي بأن يمارس دور الصحفي والقائم بالاتصال من خلال مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات وغيرها من فضاءات الاتصال الحديثة، وهذا ما يشكل تحديا حقيقيا أمام القنوات التلفزيونية الإخبارية في ضرورة التكيف مع الوضع من جهة والاستفادة من المستجدات الحديثة في صناعة الأخبار التلفزيونية من جهة أخرى لأجل هدف واحد هو ضمان استمراريتها في الساحة و المحافظة على جمهورها.

قائمة المراجع:

أ – الكتب باللغة العربية :

١. سامي الشريف ، النشرات الإخبارية في الإذاعات العربية (الشكل والمحتوى) ، دار الوزن للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٩ .
٢. عاطف عدلي العبد ، القنوات المتخصصة (أنواعها ، جمهورها ، بحوثها وأخلاقياتها) ، مكتبة الفيروز المعادي ، القاهرة ، ٢٠٠٦ .
٣. عبد الستار جواد ، فن كتابة الأخبار (عرض شامل للقوالب الصحفية وأساليب التحرير) ط٢ ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠١ .
٤. كارول ريتش ، كتابة الأخبار التلفزيونية والتقارير الصحفية ، ترجمة عبد الستار جواد ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ٢٠٠٥ .
٥. ماجي الحلواني ، تكنولوجيا الاتصال والقوالب الفنية الإذاعية ، مذكرات غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
٦. مارتن جون ، نظم الإعلام المقارنة ، ترجمة على درويش ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩١ .

^١ - نحي عاطف العبد ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

٧. محمد أحمد فياض ، الإعلام الفضائي الدولي والعربي (النشأة التطورية وصناعة الأخبار) ، دار الخليج ، عمان ، ٢٠٠٥
٨. نهي عاطف العبد ، صناعة الأخبار التلفزيونية في عصر البث الفضائي ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ٢٠٠٧ .
٩. وستون جيرالد ، نظرية الاتصال والبحوث التطبيقية ، ترجمة عبد الله بن أهنية وسعد الهادي ، مركز البحوث والدراسات الإدارية ، الرياض ، ١٩٩٩ .
- ١٠-حمدي حسن ، الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩١ .

ب – الكتب باللغة الإنجليزية :

- 11 –Amin Hussein ,**The development Of Space Netand itsimact**, cairo , the Adham center for televisionjournalism , AUC ; 1995 .
- 12 – Camp Bell Vincent ,**Information agejournalism** , London , arnoldpublishers , 2000 .
- 13 – DefleurMelvin ,**Across Culture experiment on How wellaudience remember news stories** from (news pape , **computer , television and radio sources**) , London , arnoldpublishers , 1993 .
- 14 – Jones Mersha ,**Mass Media** , London , macmilian , 1992 .
- 15 – Henderson Hany ,**Power Of the News Media** , USA , facts on Fille , 2004 .
- 16 – HolandPatricia ,**The television**, handbook , 2^{ed} edition , London , Routledge , 2000 .
- 17 – LustedDavid ,**The TelevisionStudies Book** , London , Arnold publishers , 2003 .
- 18 – MiljanLydia , (**How journalistsinflence the news**) , Canda , UBC press , 2003 .
- 19 – Street john ,**Mass Media politics and democracy**, London , Publishers , 2003

تأثير شبكة الطرق على النقل الجماعي: حالة مدينة قسنطينة

الباحث طريفة محمد/جامعة قسنطينة ٣

ملخص :

تشكل شبكة الطرق القاعدة الأساسية التي تعتمد عليها المدينة من أجل ديناميكيتهما و سيولة حركتها ، فهي تؤثر مباشرة على مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وتضم مدينة قسنطينة شبكة طرق إدارية هامة تقدر بـ ٤٨.٥ كلم للطرق الوطنية و ٤٨.٥ كلم بالنسبة للطرق الولائية بالإضافة إلى الطرق البلدية التي تضم ٦٠ كلم ، لاكن رغم هذا تبقى شبكة الطرقات لمدينة قسنطينة دون المستوى و لا تلي الطلب المتزايد للنقل ، و الدليل على ذلك هو الاختناق المروري الهائل الذي يعانيه المواطنين يوميا على كامل محاور المدينة ، كما أن الإحصائيات المستخلصة من الاستمارة تبين عدم رضا المواطنين وعمال هذا القطاع على هذه الوضعية ، وتمثل الحلول المقدمة من طرف السلطات المحلية حلول نقطية و مؤقتة ليس لها توجه مستقبلي ، ولا نستطيع تحسين و الرقي بشبكة الطرق إلا بتضافر جميع الجهود في إطار الحكم الراشد و إنشاء هياكل فنية ذات بعد إستراتيجي على المدى البعيد و التوجه نحو وسائل النقل الجماعي الصديقة للبيئة (ترامواي ، تلفريك ، الحافلة ذات المستوى العالي في الخدمة) فيما يعرف بالنقل الأخضر .

الكلمات المفتاحية :

شبكة الطرق ، النقل الجماعي ، طرق وطنية ، طرق ولائية ، المتنقلين ، العوائق الطبيعية ، الاختناق المروري .

تمهيد:

تعتبر الهياكل القاعدية للنقل أساسا في شبكة الطرق ، فهي تعتبر القاعدة التي يقوم عليها النقل الجماعي ، كما لها دور مهيكلي للمجال ، و الذي يجب أن توفر له الهيكل الأساس القاعدي و المتمثل في الطرق و مختلف هياكلها (مفترقات الطرق ، محولات) لإعطاء سيولة للمدينة ، وقد سجلت قسنطينة في السنوات الأخيرة قفزة نوعية من حيث المشاريع المهيكلية للمدينة و التي تخدم مجال النقل الجماعي سواءً بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كإنشاء الترامواي و الجسر العملاق ، ورغم احتواء مدينة قسنطينة على شبكة طرق هامة و كثيفة ، لكنها لم ترتقي إلى المستوى المطلوب و خاصة مع تزايد امتلاك السيارة الفردية ، بالإضافة إلى تأثير النقل الجماعي بصفة مباشرة من جراء هشاشة وضعف الشبكة الطرقية كالزيادة في طول وقت الرحلة وتكلفتها باعتبار الطلب على النقل الجماعي طلب مزدوج من داخل المدينة و من خارجها كما أنه طلب كمي و نوعي ، ويعتبر ازدحام حركة السير نتيجة لتثبيح الطرقات و زيادة استعمال السيارة الفردية على حساب النقل الجماعي ، و تعتبر مدينة قسنطينة مثال على هذه الظواهر التي أصبحت تشكل خطر على حياة المواطنين نتيجة الحوادث المرورية المرتفعة التي أرققت الحكومة و السلطات المحلية بسبب أن ٦٠% من شبكات الطرق

الموجودة في المدينة تعتبر إرث استعماري ، لذا يجب علينا وضع حلول منطقية وواقعية تتماشى مع طبيعة المدينة ذات الكثافة البنائية المرتفعة و الطبيعة الجغرافية المتضرسة ، للحد من المظاهر السلبية للنقل الجماعي وحركة السير في المدينة التي أقل ما يقال عنها أنها مدينة عريقة و متروبولية .

- ولقد تم اختيار مدينة قسنطينة كمجال للدراسة النظرية و التطبيقية لقطاع النقل و المرور بصفة عامة ، وعليه فإن موضوع الدراسة جاء تحت عنوان " تأثير شبكة الطرق على النقل الجماعي: حالة مدينة قسنطينة " .

- تشهد مدينة قسنطينة في السنوات الأخيرة ازدياداً مرورياً هائلاً في مستوى خدمات النقل و فوضى عارمة لطريقة تسيير النقل الجماعي للأشخاص بالنظر للطلب المتزايد للنقل و التوسع العمراني التي تعرفه هذه المدينة ، ومن أجل دراسة المشاكل والعوامل التي أدت إلى الازدحام المروري و تأثيرها في مستوى خدمة النقل بمدينة قسنطينة سنقوم بتحليل عناصر هذه الإشكالية من خلال طرح عدّة تساؤلات وهي:

- ماهي أهم نتائج تأثير شبكة الطرق على النقل الجماعي ؟

- و ما مدى رضا مستعملي و سائقي النقل الجماعي عن هذه الوضعية. وماهي الاقتراحات و الحلول المُقدّمة التي من شأنها القضاء على ضعف شبكات الطرق ؟

فرضية البحث:

- تحليل إشكالية النقل العمومي من خلال شبكات الطرقات التي يجب أن ترمّم وتوسّع بالإضافة لإنشاء هياكل جديدة، وإنشاء مسارات جديدة للتأمواي و التلفريك للقضاء على تدني مستوى خدمة النقل (تدني مؤشر الرفاهية و مؤشر الوقت و سوء توزيع الخطوط و وسائل النقل الجماعية القديمة).

الهدف من الدراسة : تهدف هذه الورقة إلى إبراز أهم النتائج لظاهرة ضعف الشبكة الطرقية ونتائجها المباشرة على النقل الجماعي من خلال المرور على الطبيعة الجغرافية للمدينة وشبكة البنية التحتية ، ثم القيام بتوزيع ٥٠ استمارة للمتقنين ثم سائقي القطاع الجماعي (سائقي الحافلات و القابضين و سائقي سيارات الأجرة)، لمعرفة الواقع المعاش ميدانياً و أهم النتائج المرتبطة و المتعلقة بالنقل الجماعي ، في محاولة لإيجاد حلول منطقية وواقعية من شأنها النهوض بهذا القطاع الحساس و إعطاء سيولة وحرية للمدينة .

(1) مفاهيم عامة :

1-1) تعريف الشبكة الطرقية⁽¹⁾:

الشبكة تعني انتظام مجموعة من الطرقات في صور عقد تنظمها مجموعة من الوصلات (المحاور) ، وتمثل الشبكات إحدى العناصر الهامة في نظام النقل و المواصلات.

(1) عبد الواحد بوبرية، النقل وتنظيم المجال بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي حالة الطريق الرابط بين مطماطة ورباط الخيل ، أطروحة مقدمة للحصول على دكتوراه في الجغرافيا الاقتصادية شعبية جغرافيا ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ظهر المهراس فا س (٢٠٠٢، ٢٠٠١) ص ٧٧.

(2-1) الطريق⁽¹⁾ :

لقد تعددت التعاريف المحددة لمعنى الطريق ومن بينها :

- أن الطريق هو مسلك عمومي مخصص لحركة مرور المركبات.

- الطريق عبارة عن خط، حين يتوقف و ينقطع يصبح نقطة هي المدينة .

- الطريق هو كل إنشاء خاص مهياً بصفة جيدة على الأرض موجه للسيارات و الراجلين، و يعتبر الطريق شريان الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الحضرية، إذا يلعب دورا هاما وفعالاً بالنسبة للسكان و المستعملين.

(3-1) مفهوم شبكة النقل⁽²⁾: و هي تعني انتظام مجموعة من الطرق في صورة عقد تنظمها مجموعة من المواصلات و تمثل الشبكة أربع عناصر التي لا يتم بدونها و هي الطريق، العقدة، وسائل النقل و المواد المنقولة، فمفهوم الشبكة يكمل مفهوم الطريق، فالطريق يعني النقل بين نقطتين معينتين، في حين أن الشبكة تعني النقل ضمن مساحة أو مجال في بعدين هما الطول و العرض، و عندما نقوم بدراسة شبكات النقل و المواصلات للكشف في التنظيم المكاني في منطقة معينة، لا يقتصر دراسته على الخصائص الإجمالية لشبكة فحسب، إنما يحاول التعرف على البنية السكانية للعلاقة بين العقد و الطرق التي تتألف منها الشبكة.

(4-1) وسائل النقل الجماعي⁽³⁾: النقل الجماعي، أو النقل المشترك للأشخاص، هو توفير مركبات مهياً و مصممة لاستقبال الأشخاص و التكفل بنقلهم من مكان إلى آخر معلوم بمقابل يتمثل في شراء تذكرة أو بطاقة اشتراك. وذلك عبر مسالك معينة، وفي أوقات محددة.

(5-1) النقل البري⁽⁴⁾: كل نشاط يقوم من خلاله مستغل بنقل أشخاص أو بضائع من مكان إلى آخر عبر الطريق أو السكة الحديدية أو السلك عن متن مركبه ملائمة

(6-1) النقل العمومي⁽⁵⁾: نقل يتم بمقابل و لحساب الغير يقوم به مشغلون مرخص لهم لهذا الغرض.

(2) العوامل الرئيسية المؤثرة في تشكيل شبكة الطرق⁽⁶⁾: هناك العديد من العوامل التي تؤثر في تشكيل شبكة النقل و من طرق المواصلات، و لا يمكن أن يكون العامل الاقتصادي هو الوحيد المسئول عن ذلك و من بين أهم العوامل:

⁽¹⁾ نجلاء غرابي حرم ميلي، النقل شبه الحضري بولاية عنابة، واقع و آفاق، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التهيئة الإقليمية، كلية علوم الأرض . جامعة منتوري - قسنطينة - 2009، ص 123.

⁽²⁾ د. سعيد عبده، جغرافيا النقل مغزاها و مرماها، مكتبة الأنجلومصرية، 2007، ص 47.

⁽³⁾ ب. الهاشمي بوطالي، السلامة و الأمان في النقل الجماعي ندوة علمية، حول النقل الجماعي و الحل المستقبلي لمشكلات المرور في المدن العربية، مركز الدراسات و البحوث جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ص 3-4/30/2008.

⁽⁴⁾ الجريدة الرسمية، المادة 2 من قانون رقم 11-09 مؤرخ في 03 رجب عام 1432 الموافق ل 05 يوليو سنة 2011 يعدل و يتمم القانون رقم 13/01 المؤرخ في 17 جمادى الأولى عام 1422 الموافق 7 عثت سنة 2001 و المتضمن توجيه النقل البري و تنظيمه.

⁽⁵⁾ الجريدة الرسمية، المادة 2 من قانون رقم 11-09، مصدر سابق.

⁽⁶⁾ هيثم هاشم ناعس، منشورات جامعة دمشق كلية الآداب و العلوم الإنسانية جغرافيا النقل ص 65-66، 2005-2006.

(١) العوامل الطبيعية و التي تشمل المظاهر التضاريسية و أشكال السطح و البيئة الطبيعية و الجيولوجية و الأرض و طبيعة الغطاء النباتي و توزيعه و الظروف المناخية.

(٢) أشكال توزع الموارد و الثروات الطبيعية

(٣) درجة فعالية عمل وسائط النقل و أشكال النقل و الاتصال ضمن الأقاليم

(٤) أشكال توزع المكان و المراكز البشرية الإدارية و المدن بشكل خاص.

و بشكل عام فإن تشكل شبكة النقل يرتبط بالدرجة الأساسية بدرجة التخصص الاقتصادي و الإنتاج للإقليم ، و إن كثافة الشبكة و فعاليتها تزداد و تنشط في الأقاليم و المناطق الأكثر تطورا في الناحية الاقتصادية.

(3) عوائق الموضوع للمدينة : العائق الرئيسي لمدينة قسنطينة يتمثل في تضاريسها الصعبة فحواف واد الرمال تقسم المدينة على امتداد ٢٠ متر طول و عرض ١٠ متر و عمق ٢٠ متر بالإضافة إلى السكة الحديدية التي صممت على مسار حواف واد الرمال ، كما أن المدينة توقعت على مرتفعات، و هذا ما يجعل أغلبية الحركة على شكل استواءات مما يؤدي إلى خلق عدة نقاط صعبة و هي :

- جسر سيدي راشد الذي تم إنشاؤه سنة ١٩١١ م.

- جسر القنطرة الذي تم إنشاؤه سنة ١٨٦٦ م.

- جسر سيدي مسيد الذي تم إنشاؤه سنة ١٩١١ م.

- المعبر العلوي لباب القنطرة.

- المعبر العلوي لحي مبروك

- و هذه النقاط تعمل على ربط بين ضفتي وادي الرمال و هي نقاط مفروضة العبور حيث تمثل الحركة الكلية بين الضفتين.

(4) الكثافة السكانية للمدينة :

- تعتبر الكثافة السكانية العالية ونسبة الفئات النشطة من أبرز العوامل التي تؤدي بالمسؤولين إلى التفكير في ضرورة إنشاء هياكل جديدة ووسائل للتنقل ذات فعالية لمحاولة التحكم في التدفقات العالية لسكان هذه المدينة وخاصة الفئات النشطة والتي تستحوذ على نسبة عالية من إجمالي السكان والجدول رقم (٥) يوضح ذلك:

جدول رقم (٠): الكثافة السكانية والفئات النشطة

الأعداد	تعداد ٢٠٠٩	عدد السكان أكثر من ١٥ سنة	الفئة النشطة	نسبة النشاط
بلدية قسنطينة	٤٤٨٧٧	٣٤٠٢٤	١٥٧٣٤	٤٦%

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء ٢٠١٤

الملاحظ من خلال الجدول التالي أن مدينة قسنطينة هي مدينة ديناميكية باعتبار أن عدد السكان النشيطين فيها بـ ١٥٧٣٩٢ ن بالإضافة إلى الوافدين للمدينة يوميا بسبب إحتوائها على مختلف التجهيزات الجهوية للشرق الجزائري.

(5) أهم أسباب الاختناق المروري في مدينة قسنطينة : من أهم أسباب هذه الظاهرة مايلي :

- ضيق الطرقات و تشعبها
- عدم احترام إشارات المرور والضوابط المرورية.
- كثرة المركبات المتواجدة في مركز المدينة نتيجة الحركة الكبيرة في الطرق و الشوارع وعدم قدرتها على الاستيعاب .
- توافد أعداد كبيرة للسيارات في وقت واحد و خروجها في وقت واحد أيضا (أوقات الذروة) .
- نقص أماكن التوقف و الوقوف (الوقوف فوق رصيف الطريق)، بالقرب من مناطق التجهيزات الاقتصادية و الاجتماعية و الخدماتية .
- وجود مناطق فوضوية و عمرانية تفتقر للأرصعة و ممرات الراجلين.
- تركيز مختلف الإدارات و التجهيزات في مركز المدينة التي ينتج عنه حركة كبيرة سواءً أكانت تجهيزات ولائية و جهوية مثل (دار المالية (جهوية) ، المحافظة العقارية ، سونالغاز، المديرية العامة للأمن الوطني، الناحية العسكرية الخاصة، الحماية المدنية... الخ
- نقص فلدح في التجهيزات القاعدية مثل (الأنفاق و الجسور، و الطريق المحيطية).
- عدم تكامل وسائل النقل الجماعية مع بعضها البعض.
- و إن من أسباب الحوادث المرورية أيضا هو الاختناق المروري الذي ينتج ردة فعل من طرف السائقين كالتجاوز الخطير و النفرزة المؤدية للسرعة القاتلة و فقدان التحكم في المركبة.

(6) التصنيف الإداري لشبكة الطرق للمدينة :

- شبكة الطرق شرايين المدينة التي تربط بين مختلف عناصرها ، و تؤمن مواصلاتها، كما أنها القاعدة التي يقوم عليها نظام النقل الجماعي، و يتوفر المجال الحضري لولاية قسنطينة على شبكة هامة جدا من الطرق الوطنية الولائية و البلدية حسب التصنيف الإداري الذي يخضع إلى عدة اعتبارات منها :حجم المرور ،وظيفة الطريق ،أهمية الطريق

، مناطق الربط (العقد) ، حالة الطريق بمقتضى المرسوم رقم ٩٠٨٠ المؤرخ في ١٦ أفريل ١٩٩٠ ، حيث تنص المادة رقم ٠٨ من الفقرة ٠ أن هناك تعليمة مشتركة بين وزارة الداخلية ووزارة الأشغال العمومية تحدد شروط تطبيق المادة ٠ من الفقرة الأولى لترقية أو تنزيل الطرق الولائية وهذه الشروط كالآتي :

- أن يصل بين مقري ولايتين.

- أن يكون له طابعا استراتيجيا .

- أن يكون له أهمية اقتصادية و سياحية على المستوى الوطني.

- أن يكون للطريق ميزة تبرر انتماءه إلى الصنف الجديد وتقرر ذلك اللجنة الولائية لتصنيف الطرق .

ومنه نستطيع أن نؤكد أن الطريق يلعب دورا في الترقية الإدارية كعامل من بين العوامل التي تؤخذ بعين الاعتبار ، فالترقية الإدارية للتجمعات تتبعها دوما ترقية أه م الطرق التابعة لها.

- لهذا لا بد من وضع تعاريف دقيقة و عملية يمكن من خلالها التفرقة بين مختلف أنواع الطرق^(١).

و تتضمن شبكة الطرق لمدينة قسنطينة شبكة هامة جدا من الطرق الوطنية الولائية و البلدية و هي ممثلة كالآتي:

(1-6) الطرق الوطنية :

و يطلق عليها اسم الطرق الرئيسية وفي مناطق أخرى يطلق عليها اسم الطرق الشريانية وهي نوعان الطرق المزدوجة و غير المزدوجة ، تتميز هذه الطرق بتصميم في عالي من حيث عرض الطريق حيث يتراوح عرض السطح المسفلت بين (٩-٧) أمتار و أما الأرصفة (الجوانب) فيتراوح عرضها بين (٢-٣) أمتار في كلتا الجانبين وهي طريق سريعة مخصصة للمرور الكبير ، تربط عاصمة الإقليم بمدنها الهامة وموانئها، كما تربط أطراف الإقليم مع بعضها البعض وتكون حركة المرور كثيفة جدا.

أما على المستوى الوطني فتربط الطرق الوطنية مقرات الولايات، ويتم إنجاز وصيانة وتهيئة الطرق الوطنية من ميزانية الدولة^(٢)، هي التي تربط مراكز البلاد الأساسية وتؤدي إلى البلدان المجاورة^(٣)، و هي طرق ذات أهمية كبيرة جدا نظرا للدور الذي تلعبه في ربط الولايات فيما بينها ، وتمتاز بسيولة ومساحة عرضية أكبر من الطرق الولائية و البلدية وتعتبر جميع محاورها الرئيسية و يخترق مدينة قسنطينة عدد هام من الطرق الرئيسية يربطها بعدة ولايات و هي كالآتي:

(١) نجلاء غرابي حرم ميلي، مرجع سابق ص ١٢٥ .

(٢) نجلاء غرابي حرم ميلي، مرجع سابق، ص ١٢٦ .

(٣) عبد الواحد بوبرية مصدر سابق ص ٦٩ .

جدول رقم (02): الطرق الوطنية لبلدية قسنطينة و الولاية .

رقم الطرق الوطني	الطول (كلم) الولاية	الطول (كلم) البلدية	العرض
- طريق وطني رقم ٠٣	٧٢,٢٠٠	١٥,٦٠٠	١٤٧
- طريق وطني رقم ٠٥	٢٤,٢٠٠	١٣,٩٠٠	١٤٧
- طريق وطني رقم ٠٥ (A)	٤,٤٠٠	/	٧
- طريق وطني رقم ١	٧,٤٠٠	/	٧
- طريق وطني رقم ٢	٣٥,٢٥٠	/	٧
- طريق وطني رقم ٢ (A)	١٠,٠٠٠	/	٧
- طريق وطني رقم ٢٧	٢٧,٦٠٠	٦,٤٠٠	١٤٧
- طريق وطني رقم ٢٧ (A)	٢,٢٠٠	/	١٤٧
- طريق وطني رقم ١٩ (٢)	٢٩,٢٠٠	/	٧
- طريق وطني رقم ٧٩ (٢٤)	٢٦,٢٠٠	١٢,٠٠٠	١٤٧
- طريق المحيط الجنوبي	٢,٩٠٠	٢,٩٠٠	١٤
- طريق المحيط ماسينيسا	٤,٠٠٠	٤,٠٠٠	١٤
المجموع	٢٤٥,٥٥٠	٥٤,٨٠٠	/
الطريق السيار الخروب	١٧,٠٠٠	/	٢٨
الطريق السيار قسنطينة	١٧,٠٠٠	/	٢٨
المجموع	٢٧٩,٥٥	٥٤,٨٠٠	/

المصدر : مديرية الأشغال العمومية جانفي ٢٠١٠

(2-6) الطرق الولائية:

و هي أقل أهمية من الطرق الوطنية من حيث خصائصها التقنية ومواصفاتها وقدراتها الاستيعابية وهي تستعمل لربط الطرق الوطنية ببعضها البعض ، تخص تراب الولاية بالدرجة الأولى و هي تربط ما بين بلدياتها و يقدر طولها الإجمالي بالبلدية بـ ٤٨ كلم، و يخترق مدينة قسنطينة عدة طرق ولانية كما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (03):توزيع الطرق الولائية لولاية قسنطينة و بلدية قسنطينة

رقم الطريق الولائي	طول الطريق في الولاية (كلم)	طول الطريق في البلدية (كلم)
- طريق الولائي رقم ٤	٢,٥٠٠	٢,٥٠٠
- طريق الولائي رقم ٢ (A)	٥,٣٠٠	٥,٣٠٠
- الطريق الولائي رقم ٢	٤,٤٠٠	٤,٤٠٠
- الطريق الولائي رقم ٢	١,٢٠٠	١,٢٠٠
- الطريق الولائي رقم ٥	١٠,٤٠٠	١٠,٤٠٠
- الطريق الولائي رقم ١٣	٥٠,٦٥٠	٥,٣٠٠
- الطريق الولائي رقم ١٥	٧,٨٠٠	٧,٨٠٠
- الطريق الولائي رقم ١٧	١٢,٥٠٠	٩,١٠٠
- الطريق الولائي رقم ٢	٢,٨٠٠	٢,٨٠٠
المجموع	٩٧,٥٥ كلم	٤٨,٨٠٠ كلم

المصدر: مديرية الأشغال العمومية لولاية قسنطينة ، جانفي ٢٠١٠

(3-6) الطرق البلدية :

و هي طرق فرعية ومحدودة من حيث خصائصها و طاقة الاستيعاب و هي الطرق التي يتم إعدادها لتكون في المستقبل طرقا ولانية. وتكمن أهميتها في تهيئة المجالات الريفية وتنميتها وفك العزلة عن المناطق المهمشة وربطها بالمراكز الكبيرة^(١).

(١) نجلاء غرابي حرم ميلي، مرجع سابق، ص ١٢٧.

و تعتبر شبكة الطرق البلدية صغيرة جدا مقارنة بللطرق بالطرق الولائية و الوطنية حيث تقدر الطرق البلدية بـ ٦ كلم وهذا رجع لأن أغلبية الطرق في بلدية قسنطينة وطنية و ولائية
 (4-6) الطريق السيار : و يبلغ طوله ١٧ كلم بعرض يقدر بـ ٢٨ م

جدول رقم (04): تصنيف الطرق و الكثافة المساحية لمدينة قسنطينة

الكثافة المساحية للطرق ^(١)	طول إجمالي للطرق كلم	تصنيف الطرق
٢٩,٩	٥٤,٨	طريق وطني
٢٦,٦	٤٨,٦	طريق ولائي
٣,٣١	٥,١	طريق بلدي
٩,٢	١٧	طريق سيار
٦٩,٢	١٢٦,	المجموع

$$ك = ح \frac{ط}{ح} , ك : ح : الكثافة المساحية للطرق , ط : أطول الطرق ح : المساحة.$$

٧) مفترق الطرق:

تعتبر مفترقات الطرق نقاط جد هامة في نظام النقل بالمدينة، إذ أنها تمثل مكان التقاء و تقاطع مختلف الحركات لمختلف أنواع المركبات مما يجعل لها عدة ايجابيات، و هي تقوم بدور هام في تنظيم حركة المرور.
 لهذا السبب، تهيأت مفترقات الطرق و تسييرها عن طريق نظام مراقبة مناسب و أساسي و يليي الشروط و الملاحظات الآتية :

- يضمن رأي جيدة لمفترق الطرق
- وضع جهاز قانوني لفرض التقليل من السرعة
- تقليل عدد نقاط الالتقاء الجزئي (حيث أن مفترق الطرق بطريقين و باتجاهين يتضمن ٢ نقطة التقاء، أما في حالة طريقين و باتجاه واحد يتضمن ٥ نقاط، و أيضا التقليل في نقاط الالتقاء دون أخذ بعين الاعتبار الاتجاه
- التقليل في الحجم المساحي للإلتقاءات حيث كلما زاد الحجم زاد التردد و التوقف للتقاطعات في الوقت و السار الخطر
- فصل نقاط الالتقاء و التقاطع. هذه العملية تسمح للمستخدمين و المستعملين لأخذ وقت لتطبيق مختلف التحركات.

(١) المصدر هيثم هاشم ناعس المصدر السابق ص ٧٠ .

- تبسيط المحولات و مفترقات الطرق المتبعة وذلك بإقصاء بعض الخطوط و وضعها في خطوط أخرى تسمح بسيولة جيدة و أمان أكثر و تسيير أفضل للتدفقات.

- بالإضافة في حالة غياب لتطبيق في نمط المراقبة المناسب لهيئة جيدة لمفترق الطرق يجب وضع نظام أمان جيد، وفي حالة نظام المراقبة المناسب (أضواء السير) لا تضمن التصدي لتدفقات السير و لا تضمن سيولة الحركة حسب الشروط الموضوعية بحسابات الخوارزمية الموضوعية (algorithme) في التطبيق و مزامنة الأضواء التي تسيير مفترق الطرق.

- حسب المعايير المتفق عليها في خبرات الشبكات لمفترقات الطرق التي تسمح بتميز الوظيفة و الحصيلة لمفترق الطرق هي كالتالي⁽¹⁾ :

احتياط القدرة RC (Réserve de capacité)

سيولة جيدة ($RC > 38\%$)، مقبولة ($15\% < RC < 30\%$)، غير محققة ($0\% < RC < 15\%$)، متشعبة $0\% < RC < 15\%$ نقد $RC < 15\%$

⁽²⁾ Calcul de capacité réserve d'intersection

$$QP = \frac{160W(1 + \frac{e}{W})}{1 + \frac{W}{I}}$$

W: عرض قسم مفترق الطرق م، E: العرض المتوسط لمدخل الأقسام مفترقات الطرق (م)، I: طول قسم مفترق الطرق (م)

- إن تزايد الضغط على شبكة الطرق بمدينة قسنطينة خاصة في أوقات الذروة طرح عدة مشاكل في ميدان النقل الحضري، حيث عرفت شبكة الطرق حركة مرور كثيفة تفوق سعتها الحقيقية الشيء الذي زاد في تأزم الأمر، مما دفع المصالح المختصة في

التفكير في كيفية معالجة مشاكل الاكتظاظ بالطرق وتسهيل حركة تنقل حافلات و السيارات خاصة في الأماكن التي تعرف تقاطع و التقاء (مفترقات الطرق ، محولات) ونقاط الالتقاء .

٨) المحولات و الأنفاق:

تحتوي مدينة قسنطينة على عدة محولات و الأنفاق لها أهمية كبيرة في التقليل من الازدحام في بعض المناطق والقضاء عليهماهائيا في مناطق أخرى بالإضافة إلى تصريف العدد الكبير من المركبات من أهمها : محول^٥ جويلية ، محول باب القنطرة ، محول سيدي مبروك ، جنان الزيتون ، نفق زواغي سليمان، نفق منتوري .

٩) بيوت الصيانة⁽³⁾ (Maisons cantonniers): تعتبر بيوت الصيانة القاعدة الأساسية لإنشاء و صيانة الطرقات من خلال العمل الميداني و الدوري في متابعة الطرقات و إعطاء معلومات أساسية و دورية على حالة الطرقات وتتواجد في ولاية

⁽¹⁾ : دراسة مخطط المرور لمدينة قسنطينة ٢٠١٤، مكتب دراسات النقل ، مؤسسة مترو الجزائر ص ٤٣ .

⁽²⁾: دراسة مخطط المرور في قسنطينة (مركز المدينة) ٢٠١١ ص ٣٠ .

⁽³⁾ مديرية الأشغال العمومية لولاية قسنطينة ٢٠١٥ .

قسنطينة^٧ • بيوت متباعدة ب حوالي^{٣٠} كلم و هي كالتالي: الطريق الوطني رقم^٥ (زيغود يوسف)، ط و رقم^{٢٧} (حامة بوزيان)، ط و رقم^٥ (اولاد رحمون)، ط و رقم^٥ (عين اسمارة)، الطريق الولائي رقم^{١٠} (مسعود بوجريو، الطريق الولائي رقم^{١٣} (ابن باديس)، الطريق الولائي رقم^٧ (عين اعبيد).

دورها:

- الصيانة الدورية و المستمرة.

- حماية الأملاك العمومية الخاصة بالطرقات.

- أمن الطرقات.

- صيانة و متابعة المشاريع.

و الجدول التالي يبين لنا الحلول المقترحة و المنجزة للنقاط لتي تكثر فيها حوادث المرور لولاية قسنطينة.

١٠ (الحلول المقدمة و المقترحة من طرف المصالح المختصة:

تحتوي مدينة قسنطينة على شبكة هامة جدا من الطرقات بمستوياتها بالمقارنة مع بلديات الولاية الأخرى ، رغم ذلك تبقى شبكة الطرقات لمدينة قسنطينة دون المتوسط ولا تلي الطلب المتزايد للنقل خاصة في أوقات الذروة ، الأمر الذي يطرح عدة مشاكل في ميدان النقل الجماعي ، حيث تعرف شبكة الطرق حركة مرور كثيفة تفوق سعتها الحقيقية الشيء الذي زاد في تأزم الأمر ويبقى الاختناق المروري مشكل يؤرق المواطنين و السلطات على حد سواء، مما دفع المصالح المختصة في التفكير في كيفية معالجة مشاكل الاكتظاظ بالطرق وتسهيل حركة تنقل حافلات و السيارات خاصة في الأماكن التي تعرف تقاطع و التقاء (مفترقات الطرق ، محولات) ونقاط الالتقاء وهي كالتالي :

- تصحيح المنعرجات

- تصحيح علو الجسور

- إنشاء les Giratoires.

- إنشاء المحولات.

- انجاز ازدواجية الطرق.

- تلبيس الطرق و أشغال تابعة.

- تدعيم المنحدرات.

- معالجة الانزلاقات الأرضية .

- تركيب حواجز حديدية.

ويبقى ضيق الطرقات من أهم المشاكل التي تعترى مدينة قسنطينة حيث لانزال أغلب الطرقات منذ الحقبة الاستعمارية لم تغير وتوسع رغم زيادة الكثافة البنائية والكثافة السكانية وعدد السيارات مما ينتج عنه عدة تأثيرات سلبية، بالإضافة إلى أن أغلب التدخلات التي تتم على مستوى شبكات الطرقات هي نقطية.

(١١) التأثيرات السلبية لزيادة الكثافة البنائية دون تغيير عروض شبكات الطرق^(١) :

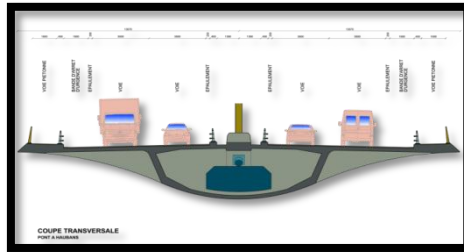
- (١) الاختناقات: وهي أول المشاكل المرورية التي تعاني منها شبكات الطرق التي تم تطبيق زيادة كثافة بنائية عليها.
- (٢) سعة غير متكافئة: كمناطق انتظار السيارات الحالية لا تكون بالحجم أو السعة المطلوبة مستقبلا.
- (٣) عدم الأمان: فقدان الأمان يرجع سببه إلى عدم تطبيق قوانين تنظيم الحركة و التأخير على الطرق.
- (٤) عدم توافر الخصوصية: لا تتوافر الخصوصية كلما زادت درجة لشافة العمران وإشغال الطريق وضيقه.
- (٥) عدم الراحة: هناك عوامل مشتركة تؤدي إلى عدم الشعور بالراحة منها الضوضاء و المنظر، الحرارة و الرطوبة و حركة الرياح و الروائح المنبعثة و القاذورات و التبخر.
- (٦) مشاكل أخرى: مثل الحفاظ على الطاقة وارتفاع تكاليف الإنفاق على الخدمات لا يساوي العائد، وتلوث الهواء.

(١٢) أهم المشاريع الفنية المنجزة في السنوات الأخيرة للمدينة :

(١٢-١) مشروع الجسر العابر لوادي الرمال (ترانس رمال):

و التي أولت له الولاية أهمية كبرى من اجل تنظيم حركة السير و تخفيف العبء على جسر سيدي راشد و من مميزات هذا المعلم ربط الجهة الشرقية بالجزيرة (ربط الفج بسطح المنصورة) و التقليل من معوقات وادي الرمال و خط السكة الحديدية، و تعتبر إضافة سياحية لمدينة قسنطينة، و ربط حديد لجانبي وادي الرمال، و يسمح بتجنب جزء من حركة المرور و تحسين شروط السير بفرض مخطط حديد لحركة السير الذي يحسن الربط مع الطرق الموجودة و تحسين سهولة حركة المرور، بالإضافة إلى ذلك استمرارية و إدماج تقنية متطورة للنقاط التاريخية للمدينة .

صورة رقم (٠): مقطع عرضي للجسر العملاق



(١) عبد المنعم أحمد السعيد (التأثيرات السلبية لتغير الضوابط و التشريعات العمرانية على الحركة المرورية في المدن العربية) ، ندوة علمية أنماط التخطيط العمراني و علاقته بالمخالفات المرورية ص ١٤-١٥ (٢٠٠٦/٠٩/١٣)

صورة رقم (٥): الجسر العملاق



المصدر: مديرية الأشغال العمومية! ٢٠١

- ٢١٢) الطريق السيار (شرق, غرب) شطر ولاية قسنطينة^(١): و يبلغ طوله الكلي ٦٣ كلم و هو مقسم كالآتي :
- ١- شطر (عين اسمارة, عين الباي) ٩.٢١ كلم (تحت الخدمة)
 - ٢- شطر (عين الباي , المريج) ١٣ كلم تحت الخدمة
 - ٣- شطر (المريج , ديدوش مراد): ٩ كلم نسبة الأشغال به وصلت الى ٩٢% الا انه لم يكتمل نظرا لتواجد الأنفاق و هشاشة التربة مما ادى الى الخروج على المخطط و إعادة توجيه سير الطريق.
 - ٤- شطر (ديدوش مراد- الحدود الشرقية سكيكدة): طول (٢ كلم) منتهية بنسبة ١٠%.
- خريطة رقم (٥) : الطريق السيار في الشرق الجزائر



المصدر: مديرية الأشغال العمومية! ٢٠١

١٣) أهداف صيانة الطريق:

- المحافظة على الإرث الطريقي بصيانتته
- تكييف الشبكة مع تطوير حركة السير من اجل إنقاص مصاريفه

^(١) مديرية الأشغال العمومية ٢٠١٥.

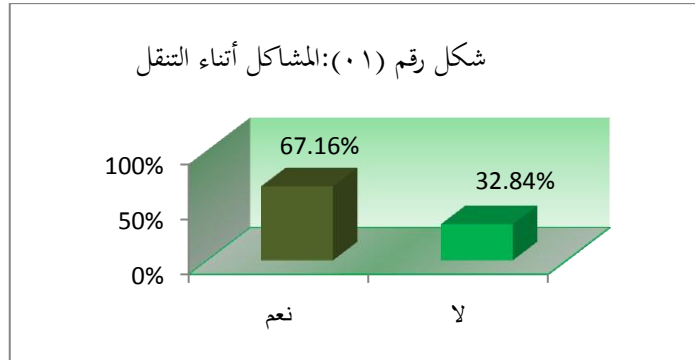
- استغلال المركبات و تحسين مستوى الخدمات لصالح المستعملين
- توسيع الشبكة من اجل فك العزلة الريفية و خاصة المناطق المعزولة
- تحسين الأمن الطريقي بمعالجة النقاط السوداء

١٤ (المشاكل):

يهدف الوصول إلى ترقية وتحسين نوعية الخدمة بالنقل الجماعي يجب علينا تشخيص و تحليل وتسييل الضوء على المشاكل و النقائص التي يعاني منها القطاع ، لتكوين بدائل و اقتراحات مساهمة للتطلعات الحالية و المستقبلية لمدينة قسنطينة ، و لتحقيق ذلك قمنا بتوزيع ٥٠ استمارة على مستعملي النقل الجماعي أولاً ثم موظفي عمال هذا القطاع (حافلات وسيارات الأجرة) وقد قمنا باستخلاص أهم المشاكل المتعلقة بـمستعملي النقل الجماعي ، والمشاكل الخاصة بسائقي وسائل النقل الجماعي(الحافلات ،سيارات الأجرة)، و هي كالآتي :

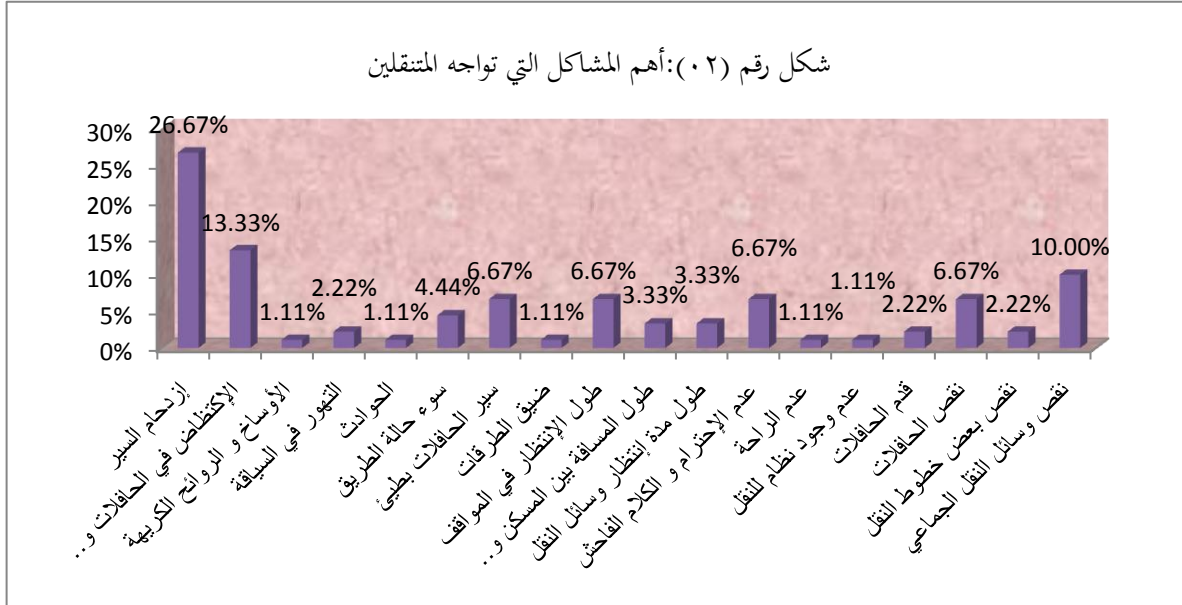
١٤ (المشاكل أثناء التنقل (المتنقلين) :

بصفة عامة توجد عدة مشاكل لدى المواطنين أثناء التنقل و الدليل على ذلك هو إقرار النسبة الأعلى و المقدرة بـ ٦٧.١٣% بوجود مشاكل في حين أدلتنا ٣٢.٨٧% على عدم وجود مشاكل .



ومن بين هذه المشاكل كالآتي :

إن من أكثر المشاكل التي تؤرق المواطنين هو ازدحام السير بالدرجة الأولى حيث جاءت كأعلى نسبة من حيث المشاكل بـ ٢٦.٧٦% و يليها مباشرة الاكتظاظ في الحافلات بـ ١٣% والشكل رقم (٠٢) يوضح ذلك



و الصور التالية الظواهر الغريبة و اليومية التي أصبحت تحتاح طرفنا و نتائجها الوخيمة في غلق حركة السير.

صورة رقم (٠٨) توقف الحافلة فوق الرصيف



صورة رقم (٠٩) غلق الطريق الرئيسي (الزيادية)



صورة رقم (١) بيع الخضرو الفاكهة في مواقف الحافلات

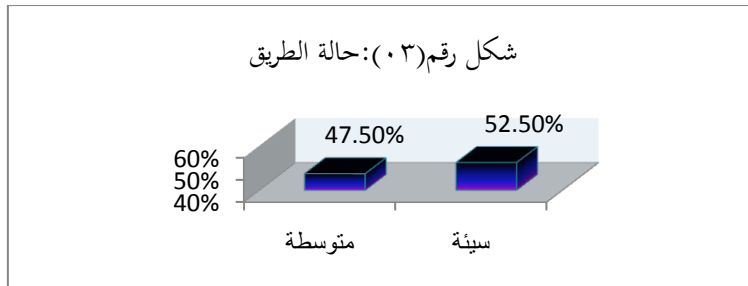


المصدر: الباحث ٢٠١٥

٢١٤) سائقي الحافلات :

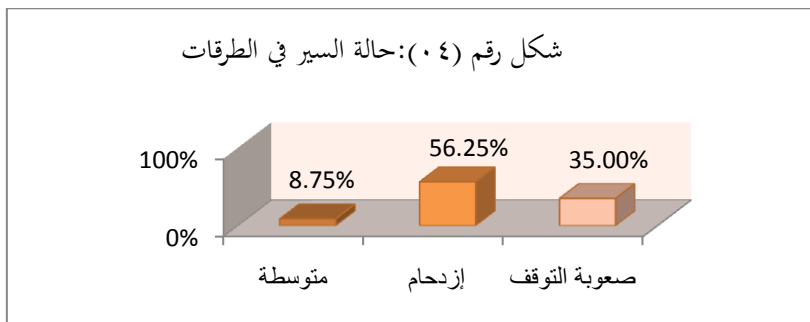
١٢١٤) حالة الطريق البنائية :

عبر ٥٥.٨% من سائقي الحافلات أن من بين المشاكل أثناء العمل هي حالة الطريق المزرية بنظرهم (ضيق الطرقات ، ممهلات الطريق الكثيرة ، سوء حالة الطريق كوجود حفر و انزلاقات... الخ ، فيما عبر ٤٤.٤% على أن الطريق عادي في مختلف الخطوط.



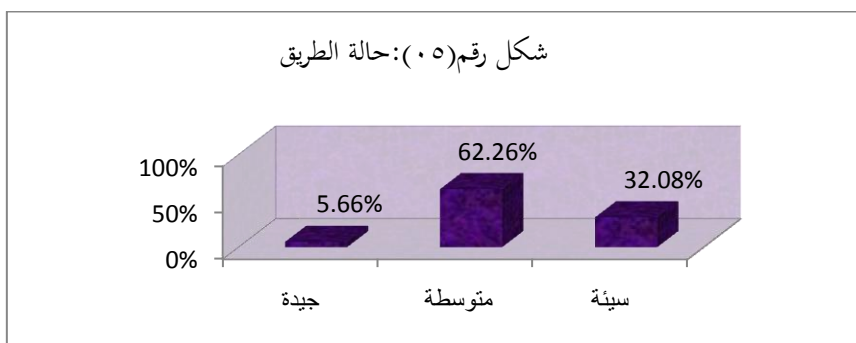
٢٢١٤) حالة السير في الطرقات:

اشتكى ٥٦.٢% من سائقي الحافلات من ازدحام حركة المرور على طول خطوطهم وضيق الطرقات و تشعبها بالإضافة أن نسبة ٣٥% اشكت من صعوبة التوقف فيما ترى نسبة ٨.٧% أن حالة السير في الطرقات متوسطة .



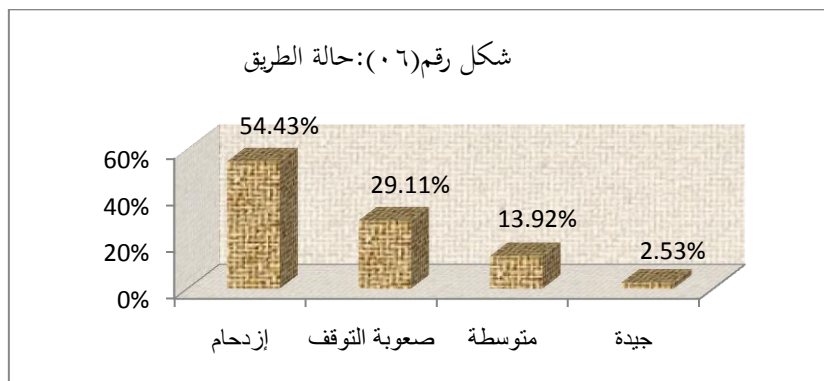
٣١٤ (سائقين سيارات الأجرة):

١٣١٤ (حالة الطريق البنائية: يرى أغلبية سائقي السيارات أن حالة الطريق هي متوسطة بنسبة ٦٢.٢% فيما ترى نسبة ٣٢.٠% أن حالة الطريق هي سيئة وتبقى النسبة الأضعف والتي ترى أن الطريق في حالة جيدة.



٢٣١٤ (حالة السير في الطرقات):

اشتكى أغلبية السائقين و المقدره نسبتهم ٥٤.٤٣% من ازدحام حركة المرور و كثافتها بالإضافة إلى نسبة ٢٩.١% و المتمثلة في صعوبة التوقف و ترى نسبة ١٣.٩% أن حالة الطريق هي متوسطة فيما ترى أن النسبة الأضعف هي جيدة.



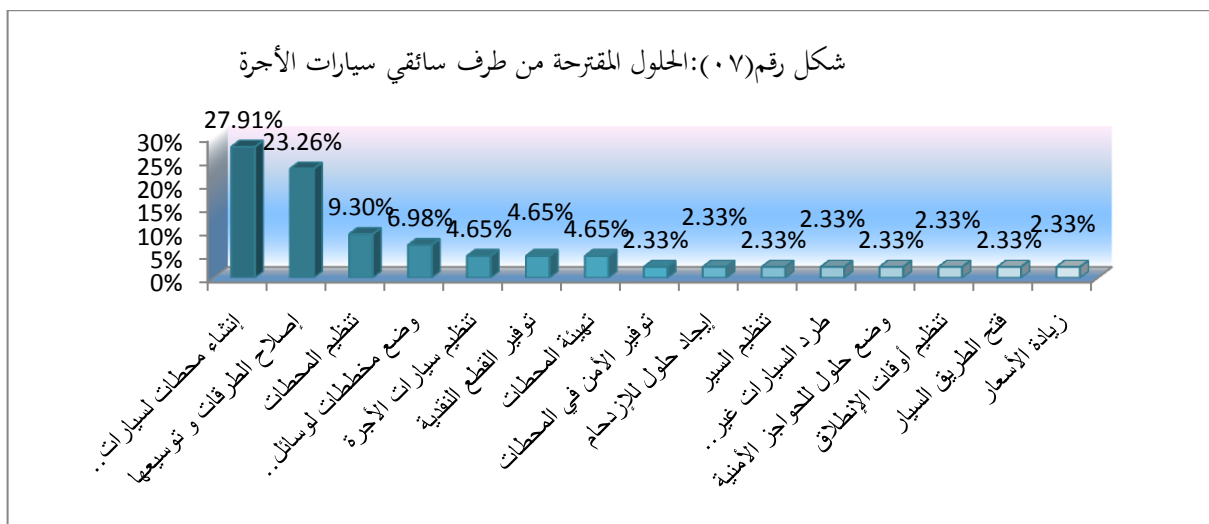
١٥ (الحلول):

بعد عرضنا للمشاكل المباشرة التي تؤثر على شبكة النقل الجماعي لمدينة قسنطينة، و إبراز أهم الأسباب المؤثرة فيه، سنسعى لتقديم اقتراحات تكون موضوعية من أجل التحسين و النهوض بقطاع النقل الجماعي ابتداءً باقتراحات سائقي الحافلات وسائقي سيارات الأجرة ثم اقتراحات الباحث وهي كالتالي:

١٥١) الاقتراحات الخاصة بالسائقين (الحافلات):

لقد جاءت مختلف آراء السائقين باقتراحات عامة ومشتركة من بينها (توسيع الطرقات ، تكثيف الأمن ، تقليص عدد الحافلات ، تخفيف الازدحام ، العمل لساعات إضافية ، إتمام مشروع الترامواي).

١٥٢) اقتراحات سائقي سيارات الأجرة: وهي مبينة في الشكل رقم (٠٧).



- إن أهم نسبة من الاقتراحات التي جاءت في إطار الاستمارة هي إنشاء محطات لسيارات الأجرة وتكون خاصة بها بنسبة ٢٧.٩١% ثم بعدها مباشرة إصلاح الطرقات و توسيعها بنسبة ٢٣.٢٦% ثم في المرتبة الثالثة تنظيم المحطات بنسبة ٩.٣٠% ووضع مخططات لوسائل النقل بنسبة ٦.٩٨%، وتأتي نسبة ٤.٦٥% متساوية على كل من (تنظيم سيارات الأجرة ، تهيئة المحطات ، توفير القطع النقدية ، وفي الأخير تأتي النسبة الأضعف و المقدرة بـ ٢.٣٣% متساوية على كل من (إيجاد حلول للازدحام ، تنظيم السير ، تنظيم أوقات الانطلاق ، توفير الأمن في المحطات ، زيادة الأسعار ، طرد السيارات غير المرخصة ، فتح الطريق للسيار، وضع حلول للحواجز الأمنية لأنها في نظر السائقين تعطل حركة المرور وذلك من خلال إقامة طريق اجتنابي خاص بها).

١٥٣) الاقتراحات الخاصة بالباحث: وهي مقسمة كالآتي :

١٥٣.١) الاقتراحات الخاصة بالهيئات القاعدية و الفوقية:

١٥٣.١.١) على مستوى الطرقات:

تلعب شبكة الطرق دورا كبيرا في تدني خدمة النقل لأي مدينة أو تحسينها وذلك راجع لتأثيرها المباشر على النقل فإمكانها المساهمة في تنمية هذا القطاع أو تعمل علة انكماشه ومحدودية أدائه إذا كانت غير مجهزة على نحو كافي حيث تعتبر سيولة حركة المرور مرتبطة مباشرة بحجم الطريق وفي مدينة قسنطينة زادت في تعقد مشكل المرور والنقل ، حيث تشهد طرق المدينة اختناقا بأغلب أجزاءها وهذا راجع إلى صفات الموضع لمدينة قسنطينة المعروفة بطرقها الوعرة وضيقتها بالإضافة إلى الاهتراء التي لعبت دورها في تحديد عدد الطرق الرئيسي و و المحيطة بالمدينة و التي يمكن أن تتحمل وتصرف نشاطا هاما من المرور وبالتالي فهي تؤثر مباشرة على وسائل النقل لذا لا بد من :

- ❖ الإهتمام بتوسيع شبكة الطرق ، و العمل على إنجاز طرق محيطية بالمدينة لفك الضغط على المحاور الرئيسية، ولتصريف نشاط المرور العابر العالي وتحسين الطاقة الاستيعابية.
- ❖ إعادة تهيئة الطرق التي هي في حالة سيئة مثل الطرق الوطنية التي تعرف بضيقها وهشاشتها في مداخل المدينة.
- ❖ تنظيم سير الراجلين و هذا باستعمال ممرات العبور للتقليل من اختراق الطريق العشوائي للراجلين، أو بإنجاز جسور عبور من أجل السلامة أولاً وعدم تعطيا حركة المرور.
- ❖ إنشاء أنفاق وسط المدينة وفتح طرق فرعية جديدة.

٥-١-٢١) على مستوى مفترقات الطرق:

- الحد من توقف السيارات و العبور الممنوع بالقرب من مفترقات الطرق بوضع سلاسل ورجال أمن و إشارات تنبيهية عن طريق رجال الأمن للتقليل من الحوادث و اكتظاظ مفترقات الطرق .
- تجهيز مفترقات الطرق بالإشارات العمودية و الأفقية و الضوئية التنبيهية .
- تهيئة مفترقات الطرق بالمساحات الخضراء .
- تعديل مفترقات الطرق ومساحاتها بمعايير ومواصفات عالية.

٥-١-٣) على مستوى المحطات :

- تعاني مدينة قسنطينة اليوم من مشكل كبير على مستوى تهيئة وتجهيز المحطات و المواقف خاصة الرئيسية منها ، وذا بسبب الإهمال من طرف الجميع (مسؤولين ، ناقلين ، متنقلين ...)
- حيث أصبحت تعرف بسوء التنظيم و التسيير وهذا ما يخلق عزوف وهروب للمتقلين خلافاً بين العمال ، خلافاً بين المؤسسات المسيرة لعدم توفر أغلبيتها على أدنى الشروط و المعايير الخاصة ب المحطات رغم حداثة بعضها مثل (صعوبة الدخول و الخروج من المحطات ، الازدحام داخل المحطات ، النظافة و المراحيض العامة ، الأمن ، أماكن الجلوس) لذا قمنا فيها بجملة من المقترحات و هي:
- ✓ توسيع المحطات وتهيئتها و إنجاز السياج الخارجي للمحطات بصفة عامة وتوسيع مداخل و مخارج المحطات ونقل المحطات التي تستوعب عدد كبير من المتنقلين والحافلات .
 - ✓ العمل على تخصيص مواقف سيارات الأجرة لتكون منفصلة نسبياً عن محطة الحافلات لتخفيف الضغط على المحطات و التقليل من الازدحام داخل المحطة و تسهيل الدخول و الخروج و التقليل من زمن التنقل.
 - ✓ توفير الأمن العام و وضع حاويات القمامة داخل وعلى محيط المحطة.
 - ✓ تجهيز المحطات بمقاعد للجلوس المغطاة و إشارات تبين دخول و خروج الحافلات لأن المقاعد الموجودة قليلة و لا تلي حاجيات المحطة بالإضافة لذلك وضع مراحيض عامة ومصلى ووضع مساحات خضراء من شأنها القضاء على نسبة كبيرة من التلوث و الضوضاء .

٤١٣١) على مستوى الحظائر: إن افتقار المدينة إلى أماكن وحظائر لركن السيارات أدى إلى زيادة الأزمة وشل حركة المرور بسبب ركنها على جانبي الطرقات بطرق فوضوية مما يجب علينا إنشاء حظائر سيارات ذكية (smart parking) ذات طوابق نتيجة لقلّة المساحات والتي أثبتت كفاءتها في الكثير من الدول المتطورة وتعتبر أفضل حل لمواجهة تكديس السيارات السطحية وتكون موزعة في المدينة وخاصة عند مداخل المدينة من أجل التخلص من الركن الفوضوي على جانبي الطرقات .

٤٣١٦) الاقتراحات العامة الخاصة بتنظيم و تسيير النقل الجماعي لمدينة قسنطينة :

- ❖ إنشاء برنامج للتنسيق و التنظيم بين مختلف المديرية و المصالح المعنية و تفعيل التنسيق و التشاور فيما بينها في مجال النقل الجماعي ، اقتراح لجنة متابعة و مراقبة لعملية السير الحسن لشبكات النقل .
 - ❖ إنشاء مخطط النقل الحضري و ما بين المدن و ما بين الولايات للمدينة يتماشى مع رغبات المواطنين و توجهاتهم.
 - ❖ توفير وسائل أكثر حداثة و تابعة للدولة مثل : حافلات E.T.C من أجل منافسة الخواص على احتكارهم لوسائل النقل الجماعية وذلك راجع للغياب شبه الكلي للقطاع العمومي .
 - ❖ إعطاء نفس جديد للمشاريع التي من شأنها ترميم و الرقي و النهوض بهذا المجال الحساس وذلك بربط الجماعات المحلية و المستثمرين و تثقيفهم الأهمية الكبيرة على كافة المجالات الاقتصادية و الاجتماعية .. الخ
 - ❖ استعمال وسائل الإعلام و إعداد البرامج التحسيسية لتوعية المواطنين على أهمية تنظيم و تحسين حركة المرور ، و أهمية استعمال النقل الجماعي للتقليل من ازدحام حركة المرور و التلوث و سهولة الحركة، بالإضافة لتوعيتهم على أن الاستعمال المفرط للسيارة الشخصية ينتج عليه عدة إشكاليات كالاحتناك المروري ، التلوث البيئي ، الارتفاع المتزايد لحوادث السير .
 - ❖ إنشاء السلطة التنظيمية للنقل والسيارة على إنجازها لأنه منذ خروج القانون الخاص بها سنة ٢٠١١ لم يأخذ أي قرار من أجل هيكلتها وإحيائها.
 - ❖ تخصيص ميزانية خاصة لتحسين وضعية النقل والمرور ببلدية قسنطينة .
 - ❖ تشجيع أصحاب السيارات على ترك سياراتهم خارج محيط وسط المدينة والتنقل بوسائل النقل العمومي.
 - ❖ نقل بعض التجهيزات العمومية من مركز المدينة إلى الأحياء الأخرى أو إنشاء فروع لها لتخفيف الضغط على المركز.
- خاتمة:

تعتبر قسنطينة مفترق طرق لمختلف المناطق شمال جنوب شرق و غرب ، و هذا راجع إلى موقعها الجغرافي رغم تضاريسها الوعرة التي تصعب في الوصول إليها بالإضافة لحركة العمران المتزايدة و كثافة السيارات المتزايدة التي أدت إلى وجود اختلال في شبكات الطرقات وحدوث تشعب بها ، رغم كل هذه التعقيدات ومن خلال دراستنا لشبكة الطرق حسب التقسيم الإداري وجدنا أنها تحتوي على شبكة هامة جدا من الطرقات بمستوياتها ، حيث بلغ الطول الإجمالي للطرق الوطنية ٥٤.٨ كلم و ٤٨.٨ كلم بالنسبة للطرق الولائية للمدينة من أصل ٩٧.٥ كلم أما الطرق البلدية فتحتوي على ٦.٦ كلم ، أما بالنسبة لمفترقات الطرق و المحولات و الأنفاق فتحتوي المدينة على نقاط هامة جدا للتقليل من اختناك

الشبكة حيث قدر عدد مفترقات الطرق المدروسة بـ ٣٩ مفترق طرق، أما بالنسبة لبيوت الصيانة فيجب إعطاء دفع جديد لها من خلال إعادة تأهيلها لتقوم بدور ريادي في الولاية ككل

و من خلال الاستمارة المقدمة للمتقلين و سائقي الحافلات و سيارات الأجرة تبين لنا أن نسبة ٦٧.١ % من المتنقلين لديهم مشاكل أبرزها ازدحام السير ، و قد عبرت نسبة ٥٢.٥ % من سائقي الحافلات أن حالة الطريق سيئة ، أما بالنسبة لسائقي سيارات الأجرة فقد عبرت نسبة ٥٢.٥ % أن حالة الطريق سيئة .

و من خلال دراستنا لشبكة الطرقات لمدينة قسنطينة فهي تعتبر دون المتوسط ولا تلي الطلب المتزايد للنقل و يبقى الاختناق المروري مشكل يؤرق المواطنين و السلطات على حد سواء لذا يجب علينا وضع بعض الحلول للتقليل من مشكل الاختناق المروري ومن بينها :

- وضع هياكل للمناطق المحيطة بالمدينة لتدعيم التجهيز المحلي و بعثة باتجاه المناطق الأقل تجهيز و تأهيل ممرات النقل بها لفك العزلة عن المناطق الريفية.

- إعداد ووضع اطر ووسائل خاصة للتخطيط (مخططات توجيهية على كافة المستويات , مخططات النقل , مخططات السير.....الخ).

-إعطاء أهمية كبرى للمنشآت القاعدية للمدينة و التي تلعب دورا في اعطاء ديناميكية و سيولة المدينة (مختلف مستويات الطرق ، جسور، أنفاق....).

- إدماج ضواحي المدينة و المدن التوابع و تحسين مستوى تجهيزها و ربطها بشبكات الاتصال من أجل انفتاح افضل على المنطقة و سيولة لحركة السير من خلال المشاريع التي تم انجازها و التي في طور الانجاز او التي يتم انجازها تطوير مداخل و مخارج الولاية و المدينة .

قائمة المراجع:

(١) عبد الواحد بوبرية ، النقل وتنظيم المجال بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي حالة الطريق الرابط بين مطماطة ورباط الخيل ، أطروحة مقدمة للحصول على دكتوراه في الجغرافيا الاقتصادية شعبة جغرافيا ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ظهر المهراس فاس (٢٠٠١، ٢٠٠٢).

(٢) نجلاء غرابي حرم ميلي ، النقل شبه الحضري بولاية عنابة، واقع و آفاق، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التهيئة الإقليمية، كلية علوم الأرض. جامعة منتوري - قسنطينة - ٢٠٠٩ .

(٣) سعيد عبده، ، جغرافيا النقل مغزاها و مرماها، مكتبة الأنجلومصرية، ٢٠٠٧.

(٤) الهاشي بوطالبي، السلامة و الأمان في النقل الجماعي ندوة علمية ، حول النقل الجماعي و الحل المستقبلي لمشكلات المرور في المدن العربية، مركز الدراسات و البحوث جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ص ٣-٤/٣٠-٢٠٠٨.

(٥) الجريدة الرسمية ، المادة ٢ من قانون رقم ١١-٠٩ مؤرخ في ٠٣ رجب عام ١٤٣٢ الموافق لـ ٥ يوليو سنة ٢٠١١ يعدل و يتم القانون رقم ١٣/٠١ المؤرخ في ١٧ جمادي الأول عام ١٤٢٢ الموافق ٧ عثت سنة ٢٠٠١ و المتضمن توجيه النقل البري و تنظيمه.

- (٧) هيثم هاشم ناعس، منشورات جامعة دمشق كلية الآداب و العلوم الإنسانية جغرافيا النقل ٢٠٠٥-٢٠٠٦.
- (١٣) دراسة مخطط المرور لمدينة قسنطينة ٢٠١٤، مكتب دراسات النقل ، مؤسسة مترو الجزائر .
- (١٤) دراسة مخطط المرور في قسنطينة (مركز المدينة) ٢٠١١ .
- (١٥) مديرية الأشغال العمومية لولاية قسنطينة. ٢٠١٥.
- (١٦) عبد المنعم أحمد السعيد (التأثيرات السلبية لتغير الضوابط و التشريعات العمرانية على الحركة المرورية في المدن العربية) . ندوة علمية أنماط التخطيط العمراني و علاقته بالمخالفات المرورية (٢٠٠٦/٠٩/١٣).

شباب الأحياء الهامشية بين قوة القيم التقليدية وإكراهات القيم الحديثة

الباحثة نجاة باسو/جامعة محمد الخامس، المغرب د.عبد اللطيف كداي/جامعة محمد الخامس، المغرب

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة معرفة اتجاهات ومواقف الشباب الهامشي نحو القيم التقليدية والقيم الحديثة، وكيف يعيش بين كلاهما، من خلال دراسة ميدانية أنجزت بحي هامشي بالوسط الحضري لمدينة مكناس بالمغرب¹، على عينة تتكون من ٢٠ شاب وشابة.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، مستعملة أداتين لجمع البيانات الأولى كمية وهي الاستبيان لقياس الاتجاهات، والثانية كيفية وهي المقابلة الجماعية عن طريق المجموعات البؤرية.

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أكدت فرضيات البحث وهي:

- اتجاهات الشباب الهامشي إيجابية نحو القيم التقليدية المتمثلة في الأسرة والدين والعمل. فيحين اتجاهاتهم سلبية نحو القيم الحديثة المتمثلة في الحرية والمساواة والمشاركة.

- يعيش الشباب الهامشي بعض التجاذب بين القيم التقليدية والقيم الحديثة.

الكلمات المفتاحية: الشباب- القيم- الهامشية.

مقدمة:

يشكل موضوع القيم أحد المواضيع الراهنة في كل المجتمعات والمستأثرة باهتمام الباحثين والعلماء، نظرا لأهميتها في توجيه سلوكات الأفراد والجماعات، وباعتبار أن المجتمعات تعرف تحولات عميقة على مستوى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتي ينتج عنها تحولات قيمية بالتأكيد.

هذه التحولات القيمية أثارَت مجموعة من الإشكالات والقضايا، وتناولتها بالدراسة العديد من الاتجاهات النظرية التي أسهمت في محاولة فهم منظومة القيم المجتمعية الجديدة التي تجمع بين قيم قديمة في طريقها إلى التلاشي، وقيم أخرى مستمرة، ثم قيم ظهرت حديثا. وأصبح الحديث عن أزمة القيم في المجتمعات الراهنة.

¹ حي النزلة الرداية فهو حي صفيحي إلى يومنا هذا، أنشأ من طرف سكان ضواحي المدينة الذين هاجروا من قراهم نحو مكناس، يبعد الحي ب ٣ كيلومترات عن المدينة الجديدة (حمرية) وهو تابع للمدار الحضري . يبلغ عدد سكانه حوالي ٣٠٠٠ نسمة، لا يتوفر على الماء والكهرباء وتوجد به مدرسة ابتدائية وهي الوحيدة كمرفق عمومي. كما أن هذا الحي يتواجد بمحاذاة مكان النفايات المخصص لمدينة مكناس.

ولعل أكثر الفئات في المجتمع التي تتأثر بالتحويلات القيمية هي فئة الشباب تحديدا ولهذا اتجهت الأبحاث والدراسات أيضا في هذا المنحى لدراسة القيم لدى الشباب، إلا أن الملاحظ هو أن أغلب هذه الدراسات ركزت على الشباب المتدرس، الشباب الجامعي، شباب الوسط الحضري بصفة عامة.. ولم تتطرق إلى شريحة مهمة في المجتمع لها خصوصية معينة بالرغم من كونها شريحة متمدرسة وتنتهي إلى الوسط الحضري، وهي شريحة الشباب الهامشي الذي يسكن بالأحياء الهامشية بالوسط الحضري.

فالشباب الهامشي أو الأحياء الهامشية عموما تنطوي على مجموعة من القضايا والظواهر الاجتماعية والأحداث التي تستدعي البحث وإيجاد الحلول. وبهذا، فإن أهمية هذا البحث تتجلى أساسا في أن معرفة كيف ينظر هؤلاء الشباب إلى القيم المجتمعية، وما هي آراؤهم وتصوراتهم ومواقفهم، سيكون انطلاقة لأبحاث في قضايا أخرى تتعلق بهذه الفئة من المجتمع قد لا نستطيع تناولها وتفسيرها دون معرفة اتجاهاتهم نحو هذه القيم.

من هذا المنطلق اخترنا البحث في هذا الموضوع بهدف معرفة اتجاهات الشباب الهامشي نحو مجموعة من القيم التقليدية والحديثة، وكذا معرفة كيف يعيش هؤلاء الشباب بين هذين الصنفين من القيم وهل يستطيعون التوفيق بينهما.

أولا: إشكالية البحث:

يكتسي موضوع القيم أهمية بالغة في الدراسات السوسولوجية نظرا لدورها الأساسي في توجيه سلوك الفرد عبر مختلف المراحل التي يمر بها في حياته، كما أن الأنساق القيمية تحدد أهدافه ومثله العليا ومبادئه الثابتة والمستقرة التي تحفظ وجوده وتؤمن ممارسة حياته الاجتماعية داخل المجتمع. وقد تناولت العديد من الدراسات العربية منها والأجنبية موضوع القيم لدى مختلف فئات المجتمع وحسب مختلف أوساط عيشهم ومستواهم التعليمي.. في علاقة هذه القيم بمختلف التحويلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية، التي تؤثر في مختلف مكونات الحياة والتي ينتج عنها ظهور معطيات جديدة تحتاج باستمرار إلى دراسات معمقة ودقيقة. فالقيم تعتبر من الناحية السوسولوجية غير ثابتة وتتغير مع التحويلات التي تطرأ على المجتمع.

وقد أشار البحث الوطني حول القيم بللمغرب سنة ٢٠٠٦، إلى دينامية المغرب بدوره في العقدين الأخيرين، والتي أغنت وعقدت منظومة القيم التي تتمثل في التسامح والشفافية والحوار والمواطنة والمساواة والتنوع الثقافي... وأدت في المقابل إلى ظهور أفكار وأفعال مضادة لهذه القيم كالقتل والعنف والرشوة والمحسوبية... وأكدت الدراسة أن البحث العلمي يجب أن يواكب هذه الدينامية لفهم القيم التي تسود بين مختلف شرائح المجتمع.

وتعتبر فئة الشباب حسب مجموعة من الدراسات، الفئة الأكثر تأثرا بهذه التحويلات، كما أشار إلى ذلك Olivier Galland في دراسة حول تطور القيم عند الفرنسيين سنة ١٩٩٤، " فالشباب كما هو معروف يميلون إلى رفض قيم الكبار، لكن هذا الرفض هو مؤقت فقط، فعندما يصبحون كبارا، فهم يقبلون ما رفضوه بالأمس، والسبب في ذلك هو أنهم في مرحلة الرشد يتقلدون أدوار اجتماعية في مجالات العمل والأسرة... الشباب هم أكثر المتأثرين بالتغير الاجتماعي، ولهذا لا

يجب مقارنة قيم الشباب وقيم الكبار فليس هذا هو المهم، بل الذي يفيد أكثر هو البحث حول القيم لفهم هذه الصعوبات!

ففي المغرب كما في المجتمعات العربية يرجع الاهتمام بالشباب تحديداً إلى كون هذه الفئة تشكل القاعدة الأوسع في الهرم السكاني، فحسب البحث الوطني حول الشباب فإنهم يشكلون ٤٣% من سكان المغرب خلال سنة ٢٠١٠، أي حوالي ١٣,٩ مليون نسمة، وبالتالي الطاقة البشرية الأكثر تأثيراً في مناحي الحياة المجتمعية سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية وخاصة في ظل التحولات العميقة التي تعرفها هاته المجتمعات في السنوات الأخيرة. كما أن فئة الشباب تعتبر الفئة الحساسة من بين الفئات العمرية على مستوى تعرضها لمجموعة من المشاكل والصعوبات وعلى مستوى إقصائها وتهميشها.

فيحسب البحث الوطني حول الشباب لسنة ٢٠١٠ دائماً، فإن ٦٧% من الفئة العمرية ٢٤-١٨ سنة لا تتوفر على مورد للدخل، و أزيد من نصف الشباب (٥٤%) ما زالوا يعيشون داخل البيت العائلي. و ٤٦% من الشباب العُزب لا يفكرون في الزواج.

يظهر من خلال هذه المعطيات أن الشباب المغربي خاصة الفئة العمرية ما بين ١٨ و ٢٤ سنة يعانون صعوبات مادية واجتماعية واضحة، تجعلهم على هامش الارتقاء الاجتماعي.

وبالنظر إلى الفئات المختلفة للشباب، نجد أن لكل فئة ظروفها وخصائصها وأزماتها كما أشار إلى ذلك الدكتور مصطفى حجازي في كتابه "الإنسان المهودر"، حيث قسم الشباب إلى " فئة محظية مترفة، وهي قلة قليلة...وفئة هامة عددياً تمثل الشباب المهمش الذي لم يأخذ فرصه الفعلية في الدور والمكانة والأعداد للمستقبل" ^٢. إنها شريحة منسية ولا تدخل في حساب السلطة وبرامجها، سواء من حيث الخدمات التي يجب أن تقدمها لهم، أو من حيث فرص المشاركة في القرارات التي تهمهم. "لذلك فلا عجب مع تزايد الاحتقان النفسي والإحساس بأنهم مهشمة وغريبة عن عالم الفرص، أن تكون ردود فعلها عنيفة ومدمرة حين تتاح ظروف الانفجار، بشكل يفاجئ الرأي العام الذي كأن غافلاً عنها ومتناسياً لها" ^٣.

معظم هؤلاء الشباب يعيشون بالأحياء الهامشية وبالوسط الحضري تحديداً، وهم الشباب الذين تشير لهم دائماً أصابع الاتهام في كل المشاكل التي تعترض المجتمع، فهل اهتمت الدراسات هؤلاء الشباب وبقضاياهم واهتماماتهم وفي مقدمتها القيم على اعتبار أنها الموجه لسلوك الأفراد كما أشرنا إلى ذلك أعلاه.

وباعتبار الأهمية التي تكتسبها دراسة القيم عند الشباب بصفة عامة، والشباب الهامشي بصفة خاصة، يمكننا صياغة السؤال الإشكالي الذي سنعمل على الإجابة عليه في هذا البحث كما يلي:

ماهي اتجاهات الشباب الهامشي نحو القيم السائدة في المجتمع؟ وتتفرع عنه الأسئلة التالية:

-ماهي اتجاهات الشباب الهامشي نحو القيم التقليدية المتمثلة في الأسرة-الدين-العمل؟

^١ Bréchon, P. (1980). les valeurs des français, évolution de 1980 à 2000. Paris,p203.

^٢ حجازي، مصطفى. (٢٠٠٥). الإنسان المهودر دراسة تحليلية نفسية اجتماعية. الدار البيضاء: المرکز الثقافي العربي، ص ٢٠٧.

^٣ حجازي، مصطفى. (٢٠٠٥). الإنسان المهودر دراسة تحليلية نفسية اجتماعية. الدار البيضاء: المرکز الثقافي العربي، ص ٢١٠.

-ما هي اتجاهات الشباب الهامشي نحو القيم الحديثة المتمثلة في الحرية-المساواة-المشاركة؟

-كيف يعيش الشباب الهامشي بين القيم التقليدية والقيم الحديثة؟

ثانيا: فرضيات البحث:

الفرضية الأولى: اتجاهات الشباب الهامشي إيجابية نحو القيم التقليدية المتمثلة في الأسرة والدين والعمل.

الفرضية الثانية: اتجاهات الشباب الهامشي سلبية نحو القيم الحديثة المتمثلة في الاستقلالية والمساواة والحرية.

الفرضية الثالثة: يعيش الشباب الهامشي تجاذبا بين القيم التقليدية والقيم الحديثة.

ثالثا: مجتمع البحث وعينته

يتكون مجتمع البحث من شباب حي النزلة الرداية، وهو حي هامشي بالمجال الحضري لمدينة مكناس. ونظرا لأننا لا نتوفر على قاعدة معطيات لسكانه هذه الأحياء تمكنا من اختيار عينة عشوائية تمثل مجتمع البحث فإننا قمنا باختيار عينة قصدية، وقد تضمنت مجموعة من الشباب ذكورا وإناثا من مختلف المستويات الدراسية، تتراوح أعمارهم ما بين خمسة عشرة وأربعة وعشرون سنة، ويبلغ عددهم مائتان (٢٠٠).

رابعا: أدوات البحث

اعتمدنا في بحثنا هذا على الأداة الملائمة للتحقق من الفرضيتين الأولى والثانية، وهي أداة كمية تتجلى في مقياس الاتجاهات. ثم اعتمدنا على أداة كيفية للتحقق من الفرضية الثالثة وهي المقابلة الجماعية عن طريق المجموعة البؤرية.

خامسا: عرض النتائج وتفسيرها ومناقشتها

١ عرض النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

الجدول رقم (١): اتجاهات الشباب نحو الأسرة

المتوسط الحسابي	التكرارات				البنود	الرقم
	غير موافق إطلاقا	لا أوافق	محايد	أوافق		
٤,٧٦				٤٧	١٥٣	١ الأسرة هي عماد المجتمع
٤,٧				٦٠	١٤٠	٢ تشعرني الأسرة بالثقة بالنفس
٢,٠٥		٤٥	١٠	١٠٠	٤٥	٣ لا أربغ في الابتعاد عن أسرتي قبل الزواج
٤,٢٥				١٥٠	٥٠	٤ تربية الأبناء هي مسؤولية الوالدين
٤,٩				٢٠	١٨٠	٥ أتجنب ما أمكن سخط الوالدين
٤,٣٢		١٥		٩٠	٩٥	٦ الأسرة هي التي تحقق الأمان لأفرادها
٤,٣		٢٠		٨٠	١٠٠	٧ الأب هو صاحب القرار داخل الأسرة ويمكن أن تنوب عنه الأم أثناء غيابه
٤,٧				٦٠	١٤٠	٨ أسعى إلى نيل رضى الوالدين
٣,٣٧		٤٥	٣٥	١٢٠		٩ الأسرة وحدها من يمنح الحب والعطف

٣,٨٢		٢٥	٢٥	١١٠	٤٠	تتحمل الأسرة المسؤولية في انحراف أبنائها	١٠
٤,٢٧				١٤٥	٥٥	أرغب في تأسيس أسرة كما هو الحال بالنسبة لأسرتي الآن	١١
٤,٦٢				٧٥	١٢٥	أسرتي هي أهم شيء في حياتي	١٢
٤,٧	١٤٠	٦٠				لم يعد للأسرة أهمية في حياة الفرد	١٣
٤,٢١						المتوسط الحسابي للاتجاه نحو الأسرة	

يتضح من خلال الجدول رقم (٤) أن المتوسط الحسابي لجميع البنود المتعلقة بقياس اتجاهات أفراد العينة نحو الأسرة تراوحت بين درجة ٠,٢ في البند رقم ٣ المتعلق بعدم الرغبة في الابتعاد عن الأسرة قبل الزواج، ودرجة ٤,٢ المتمثلة في البند رقم ٥ المتعلق بتجنب ما أمكن سخط الوالدين. ويتضح أن المتوسط الحسابي لاتجاهات الشباب نحو الأسرة مرتفع بدرجة ٢,٤.

الجدول رقم (٥): اتجاهات الشباب نحو الدين

المتوسط الحسابي	التكرارات					البنود	الرقم
	غير موافق إطلاقاً	لا أوافق	محايد	أوافق	موافق جداً		
٤,٧				٦٠	١٤٠	الدين هو أساس الحياة بالنسبة للفرد	١
٤,٥٥				٩٠	١١٠	الابتعاد عن الدين يؤدي إلى اختلال التوازن داخل المجتمع	٢
٣,٣٢		١٠٥	٣٠	٦٥		التدين حرية فردية	٣
٤,٠٧		٢٥	٥	١٠٠	٧٠	المهم هو أن أعمل على إرضاء الله في سلوكاتي اليومية	٤
٤,٦٢				٧٥	١٢٥	الصلاة عماد الدين	٥
٤,٦٤				٧١	١٢٩	الصوم فريضة وفي هراحة للبدن	٦
٤,٢			٢٥	١٠٥	٧٠	الدين هو المعاملة	٧
٣,٨٢			٧٠	٩٥	٣٥	الدين اساسي لتماسك المجتمع	٨
٤,٧				٦٠	١٤٠	الواجب أن أعمل لأخرتي وللقاء الله تعالى	٩

٤,٤٢			٢٠	٧٥	١٠٥	الصلاة راحة نفسية	١٠
٤,٨			٥	٣٠	١٦٥	أخشى غضب الله مني	١١
٤,٣٤						المتوسط الحسابي للاتجاه نحو الدين	

يتبين من خلال بيانات الجدول رقم (٩) أن درجات المتوسط الحسابي فيما يتعلق بالاتجاه نحو الدين تتراوح بين ٤,٨ وهي معدل البند رقم ١ المتعلق بالخشية من غضب الله، ومعدل ٣,٣ والمتمثلة في البند رقم ٣ المتعلق بحرية الفرد في التدين. أما المتوسط الحسابي للاتجاه نحو الدين فهو مرتفع بدرجة ٤,٣.

الجدول رقم (٣): اتجاهات الشباب نحو العمل

المتوسط الحسابي	التكرارات					البنود	الرقم
	غير موافق إطلاقاً	لا أوافق	محايد	أوافق	موافق جداً		
٤,٠٧		١٥	١٠	١٢٠	٥٥	العمل عبادة	١
٤,٦٤				٧١	١٢٩	العمل وسيلة لتحقيق الذات	٢
٤,٠٤		٣٠		١٠٠	٧٠	المجتمع يعطي قيمة أكثر لمن يعمل	٣
٣,٧		٣٠	٢٠	١٣٠	٢٠	يعترف بي المجتمع اذا كنت ناجحاً في عملي	٤
٤,٩				٢٠	١٨٠	ليس هناك تكافؤ للفرص في الشغل	٥
٤,١٣		١٥	١٥	٩٨	٧٢	النجاح في الحياة مرتبط بالعمل	٦
٥,٠٩				٣٢	١٧٨	العمل يضمن الاستقرار المادي للفرد	٧
٤,٢١			٥	١٣٥	٦٠	العمل يحقق الاندماج في المجتمع	٨
٤,٦١		١٥		٣٠	١٥٥	ضمان الشغل هو مسؤولية الدولة	٩
٤,٣						المتوسط الحسابي للاتجاه نحو العمل	

يتضح من خلال الجدول رقم (٦) أن البند المتعلق بضمان العمل للاستقرار المادي للفرد يمثل أعلى درجة في قياس الاتجاه نحو العمل بدرجة ٥,٠، يليه البند رقم ٦ المتعلق بعدم تكافؤ الفرص في الشغل بدرجة ٤,٤. وحصل البند رقم ٤ والمتعلق بأن المجتمع يعترف بالفرد إذا كان ناجحاً في العمل على متوسط حسابي ٣,٧، فيما المتوسط الحسابي للعمل فهو مرتفع لـ ٤,٣.

يتبين لنا من خلال القراءة الأولية لنتائج مقياس اتجاهات الشباب نحو القيم التقليدية المتمثلة في الأسرة والدين والعمل أن الاتجاهات مرتفعة بالنسبة للقيم الثلاثة وهذا يعني أن الشباب لهم مواقف إيجابية نحو هذه القيم التقليدية بمتوسط حسابي ٤,٣.

مناقشة وتفسير النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

مكانة الأسرة: تبين النتائج المحصل عليها المواقف الإيجابية للشباب من الأسرة باعتبارها عماد المجتمع بمعدل ٤,٧ على سلم ليكرت. ومرد ذلك أنها المؤسسة الداعمة لهؤلاء الشباب في ظل الأوضاع التي يعيشونها من جهة، فهي التي تشعرهم بالأمن والثقة ونوع من الاحتماء الاجتماعي والنفسي خصوصاً أمام الإكراهات المادية التي يعاني منها سكان الأحياء الهامشية، ومن جهة ثانية فشباب هاته الأحياء مرتبطون بالأسرة لأنها تمثل مكوناً أساسياً في المجتمع على اختلاف عاداته وتقاليده ونظمه التقليدية.

وعلى الرغم من الخطابات الشائعة حول الشباب عموماً، كون هذه الفئة لم تعد مرتبطة بالأسرة كما في السابق وأن هذا الجيل يعرف أزمة قيم بسبب التحولات التي يعرفها المجتمع، إلا أن أفراد العينة يعتبرون الأسرة أهم شيء في حياتهم بمعدل ٤,٦ بل ويرغبون في تأسيس أسرة كما هو الحال بالنسبة لأسرهم الآن. أي أن الطبيعي بالنسبة لهم هو الزواج وتكوين أسرة رغم الظروف التي يعيشون فيها والتي تعتبر ظروفًا صعبة، وهذا الارتباط بالأسرة من طرف الشباب أكدته نتائج التقرير الأول العالمي حول الشباب لسنة ٢٠١١ عن تمثيلات الشباب حول الأسرة، بحيث أن من بين النتائج المفاجئة تعلق الشباب الفرنسي بالأسرة واعتبارها من الأولويات الأساسية في المستقبل أي أن تأسيس أسرة والحصول على أطفال أمر مرغوب فيه¹.

موقف آخر إيجابي نلمسه من خلال النتائج المحصل عليها أن طاعة الوالدين وتجنب سخطهم مسألة لا جدال فيها بمعدل ٤,٩، بمعنى آخر أن احترام الوالدين وتجنب غضبهم أمر حاضر في تفكير الشباب وقد يرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى الوازع الديني، أي أن الله أوصى بالوالدين، ومن جهة ثانية، فثقافة المجتمع أيضاً تحث على نيل رضى الوالدين، والتعامل معهما أحسن معاملة، خصوصاً أن هؤلاء الشباب ترعرعوا وهم ينظرون إلى اعتناء الآباء بالأجداد حتى ولو غابت الأسرة الممتدة، فإن الاهتمام بالأجداد ورعايتهم يظل قائماً. وبالتالي يتشبع جيل الأبناء بهذه القيم وينشأ عليها. ويعتبر مبدأ رضا الوالدين قيمة أخلاقية يبحث عنها كل فرد عند والديه، يستدخلها لتكون شرط علاقته بهم، وهي مسألة مستمدة من الدين والمعتقدات والتمثيلات الاجتماعية، أكثر من هذا، فهي مبدأ يضمن استمرار تلاحم الأسرة عبر الزمن².

¹ جرموني، رشيد. (٢٠١٢). الشباب وتحولات منظومة القيم: شباب ضواحي المدن نموذجاً. عالم التربية، ٤١٨-٤٣٩.

• ²Bourqia, R. (2010). Valeurs et changement social au Maroc. Quaderns de la Mediterrania, 105-115.

ويتبين من خلال النتائج أن عدم الرغبة في الابتعاد عن الأسرة قبل الزواج مسألة لا يوافق عليها حوالي 22% من مجموع العينة، بمعنى آخر أنه بالرغم من الارتباط بالأسرة إلا أن هذه النسبة تطرح تساؤلات حول طبيعة هذا الارتباط، فقد لا يعني الموقف من البقاء مع الأسرة أمر مرغوب فيه، بل من المحتمل أن يكون ذلك راجع إلى الأوضاع المادية، وأن هؤلاء الشباب ربما يريدون الاستقلال بحياتهم إذا توفرت الإمكانيات لذلك. وكما أشار إلى ذلك البحث الوطني حول الشباب سنة 2011، والذي أصدرت نتائجه المندوبية السامية للتخطيط من خلال "الشباب في أرقام" أن الشباب من 18 إلى 24 سنة في الوسط الحضري يعيشون مع العائلة بنسبة 92% بالنسبة للذكور و68% بالنسبة للإناث¹.

بشكل عام فاتجاهات الشباب الهامشي نحو الأسرة كقيمة تقليدية هي مرتفعة بمتوسط حسابي يساوي 2,4، كما بينت ذلك نتائج البحث الوطني حول القيم سنة 2011، حيث أن أغلب الشباب يقر باعتزازهم بمغربييتهم بنسبة (98%)، وبارتباطهم بعائلاتهم بنسبة (54%).

حضور الدين: بينت النتائج المحصل عليها في الجدول رقم (9) أن الدين أساسي لحياة الفرد، وأن الابتعاد عنه يؤدي إلى اختلال التوازن في المجتمع بمعدل يقف عند 4,5، بالنسبة للشباب المبحوثين، وهي نتيجة توصلت إليها مجموعة من الدراسات حول الشباب عموما في علاقته بالدين، فنجد دراسة الدكتور رشيد جرموني حول "الشباب وتحولات منظومة القيم: شباب ضواحي المدن نموذجا" تناول من خلالها ما ينسب إلى شباب الضواحي ودور الصفيح من قيم سلبية وأحكام مسبقة واستخلص من البحث الذي أجراه بمنقطة "العيادة" بالوسط شبه حضري لمدينة سلا أن تدين شباب هذه المنطقة بالرغم من غياب وتمهيش التأطير الديني، يبقى معتدلا وحاضرا في مختلف مناحي حياتهم، ثم أنهم يرفضون العنف الديني جملة وتفصيلا².

يتبين أيضا أن اتجاهات الشباب إيجابية نحو الصلاة والصوم كأبرز الفرائض الدينية التي يتلزم بها المسلمون والتي عرفت تزايدا ملحوظا بين أوساط الشباب في العقود الأخيرة، خاصة الصلاة التي يظهر الإقبال عليها في المساجد وأثناء صلاة التراويح في شهر رمضان، وهذا التزايد يظهر أكثر بالوسط الحضري ويشمل الأحياء الهامشية أيضا. هذا المعدل المرتفع (4,5)، لا يعني بالضرورة المواظبة على الصلاة من طرف هؤلاء الشباب بقدر ما يعني موقفهم الإيجابي من هذه الفريضة وإيمانهم بأهميتها في حياة الفرد. وكانت نتائج دراسة أجراها الطوزي في بداية الثمانينات حول الطلبة قد أشارت إلى أن 8% منهم فقط يصلون، لترتفع النسبة إلى 54% في دراسة أخرى أجريت سنة 1999³.

وتعتبر حرية التدين أمر غير مقبول بالنسبة لـ 50% تقريبا من الشباب، مقابل أزيد من 25% يوافقون على ذلك فيحين ظلت 15% محايدة بالنسبة لهذا البند، وهذا التباين بين الارتباط بالدين كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وبين الرغبة في حرية التدين ولو بنسبة ضعيفة، قد يدل على أن الشباب في حيرة من أمرهم بين التدين بشكل مفروض وحرية التدين، بين ما يفرضه المجتمع والدين وبين قناعات الشباب الفردية.

عموما، فاتجاهات الشباب الهامشي نحو الدين هي مرتفعة بمتوسط حسابي يعادل 3,4، وهذا يدل على مواقفهم الإيجابية من الدين بشكل عام. وهو ما يتفق مع ما أعلنت عنه نتائج البحث الوطني حول الشباب كما أشرنا سابقا،

¹ أنظر بهذا الصدد الموقع الإلكتروني للمندوبية السامية للتخطيط www.hcp.ma

² جرموني، رشيد. (2012). الشباب وتحولات منظومة القيم: شباب ضواحي المدن نموذجا. عالم التربية، 418-439.

³ أنظر بهذا الصدد تقرير 50 سنة للتنمية البشرية

حيث يعتبر الشبابان الدين نسق مرجعي بنسبة (٢٤%) . وهذا يبين أن الوطن والعائلة والدين من أهم الأمور في حياة الشباب المغربي وتشكل إحدى أولوياته.

العمل: يعتبر المبحوثين أن العمل وسيلة لتحقيق الذات وضمان الاستقرار المادي للفرد بنسبة ١٠% وبمعدل وصل ٥,٩. بالإضافة إلى أن العمل يحقق الاندماج في المجتمع بمعدل ٤,٢، بالمقابل فهم يحملون مسؤولية ضمان الشغل للدولة ويجزمون بعدم تكافؤ الفرص في الشغل بمعدل يفوق ٤. هذه النتيجة قد لا تعني فقط الشباب الهامشي، فكما أظهرت نتائج البحث الوطني حول الشباب سنة ٢٠١٦ الذي قامت به الفدرالية السامية للتخطيط، أن أولويات الشباب عموماً تتمثل في التشغيل وتكافؤ الفرص للولوج إليه بنسبة ٩٦%، كما يشكل غلاء المعيشة والبطالة أهم الانشغالات المستقبلية للشباب.

ومقارنة بشباب الأحياء الهامشية، فإن حدة هذه الانشغالات من المؤكد أنها تزداد بالنظر إلى الظروف السوسيواقتصادية التي يعيشونها. صحيح أن مشكل البطالة يعاني منه معظم الشباب، ومعظم الدول بما فيها تلك المتقدمة، إلا أن الأمل لدى هذه الفئة يبقى ضعيفاً، والرؤية للمستقبل يغلب عليها طابع اليأس والضبابية، فهم يعانون من مجموعة من المشاكل تتداخل فيما بينها وتشمل أهم مجالات الحياة من تعليم وصحة وسكن، ليبقى خلاصهم الوحيد هو الحصول على عمل يضمن لهم الاستقرار المادي كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وبالتالي فالعمل هو الوسيلة لتغيير وضعيتهم والتي تتجلى في العيش بالأحياء الهامشية والانتقال إلى حياة جديدة، خاصة أن المجتمع يعطي قيمة أكثر للأشخاص الذين يعملون وهذا ما أكدته هؤلاء الشباب بمعدل ٤,٠، بمعنى آخر، أن اعتراف المجتمع بالفرد مرتبط بالنجاح في العمل ولكي يحقق الاندماج المطلوب ويحظى بمكانة اجتماعية بل أكثر من هذا بكرامة إنسانية كباقي فئات المجتمع.

من جهة ثانية يربط الشباب موقفهم من العمل بمرجعية دينية تنص على أن العمل عبادة بمعدل ٤,٠. أي أن الإنسان خلق ليعمل في الدنيا كشكل من أشكال العبادة، وفي هذه المسألة نلمس علاقة التدين لدى هؤلاء الشباب بمناحي الحياة الأخرى، فالنتائج تبين موافقة أكثر من ٨٠% على أن العلم عبادة بمعدل ٤,٠.

من خلال ما سبق يتبين أن المعطيات تتكامل فيما بينها فيما يتعلق بالأسرة والدين والعمل كقيم تقليدية يرتبط بها الشباب الهامشي ارتباطاً شديداً، وله مواقف وتصورات إيجابية نحوها حتى أن المتوسطات الحسابية لهذه القيم الثلاث متقاربة فيما بينها ومرتفعة، لتعطينا متوسط حسابي مرتفع بالنسبة لاتجاهات الشباب نحو القيم التقليدية المتمثلة في هذه القيم بمعدل ٤,٣، أي أن الاتجاهات إيجابية ويمكن بالتالي تأكيد صحة الفرضية الأولى.

٢ عرض النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:

الجدول رقم (٩): اتجاهات الشباب نحو الحرية

المتوسط الحسابي	التكرارات					البنود	الرقم
	غير موافق إطلاقاً	لا أوافق	محايد	أوافق	موافق جداً		
٤,٤٤				١١١	٨٩	الحرية لها حدود لا ينبغي تجاوزها	١
٢,٧٩		٨٨	٦٥	٤٧		يمكنني أن أعبر عن رأيي بكل حرية	٢
٢,٠٢	٦٥	٩٥	١٠	٣٠		أستطيع أن أشتغل في المجال الذي أحبه	٣
٢,١١		٣٠	١٦	١٠٠	٥٤	لا أملك الحرية في اختيار المسار الدراسي	٤
١,٨٧	٨٠	٧٥	٣٥	١٠		أريد اختيار الدين الذي أرغب في اعتناقه	٥
٤,١			٣٠	١٢٠	٥٠	الحرية لا تعني أن تلغي وجود الآخر	٦
٣,١٧	٢٥	٤٠	٣٥	٧٦	٢٤	أرغب في ممارسة حريتي الجنسية	٧
١,٨٧		٢٥	١٠	٨٠	٨٥	لا يحترم رأيي في المدرسة كلما عبرت عنه بكل صراحة	٨
٣,٦		٣٥	٢٠	١٣٥	١٠	التعبير عن الرأي بكل حرية يخلق متاعب كثيرة	٩
						المتوسط الحسابي للاتجاه نحو الحرية	
					٢,٨٨		

تظهر بيانات الجدول رقم (٩) المتعلقة باتجاهات الشباب نحو الحرية أنها تتراوح بين ٤,٤٤ كمتوسط حسابي ويظهر ذلك في البند المتعلق بأن الحرية لها حدود لا ينبغي تجاوزها، ١,٨٧ كمتوسط حسابي للبند المتعلق بعدم احترام الرأي في المدرسة. ويتبين أن الرغبة في ممارسة الحرية الجنسية تعرف أكبر نسبة من الموافقة عند الشباب مقابل عدم الموافقة بمعدل ٣,١. أما الاتجاه نحو الحرية ككل فهو ٢,٨٧ وهو معدل منخفض ويدل على الموقف السلبي للشباب اتجاه الحرية.

الجدول رقم (٩): اتجاهات الشباب نحو المساواة

المتوسط الحسابي	التكرارات					المساواة	الرقم
	غير موافق إطلاقاً	لا أوافق	محايد	أوافق	موافق جداً		
٣,٥٠		٤٥	٣٤	٩١	٣٠	المساواة الوحيدة التي أومن بها هي المساواة بين الغني والفقير في كافة الحقوق	١
٤,٥٠			٢٥	٥٠	١٢٥	مشاكلنا لا تأتي في مقدمة اهتمامات المسؤولين	٢
٣,٩٠			٢٥	١٦٥	١٠	مبدأ المساواة منعدم في مجتمعنا	٣
١,٨٠		٢٠	١٦	١٠٥	٥٥	لا يمكن أن تتساوى المرأة في كل شيء مع الرجل في مجتمعنا	٤
٢,٢٠	٤٩	٩٥	٢١	٣٥		أو من بالمساواة بين الجنسين	٥
١,١٠				٢٥	١٧٥	ليست هناك مساواة في الصحة	٦
١,١٠				٣٠	١٧٠	ليست هناك مساواة في التعليم	٧
١,٠٠				١٨	١٨٢	ليست هناك مساواة في السكن	٨
٤,٣٠				١٢٥	٧٥	في مجتمعنا الفقير يزداد فقرا والغني يزداد غنى	٩
				٢,٦		المتوسط الحسابي للاتجاه نحو المساواة	

يتبين من خلال الجدول رقم (٨) أن المتوسطات الحسابية لاتجاهات الشباب نحو المساواة تتراوح بين ٤,٥٠ المقابلة للبند المتعلق بأن مشاكلهم لا تأتي في مقدمة اهتمامات المسؤولين، و بدرجات تتراوح بين ١,٨٠, ١,١٠ كمعدلات متعلقة بالمساواة في الصحة والتعليم والسكن ومساواة المرأة مع الرجل. أما المتوسط الحسابي للاتجاه نحو المساواة هو ٢,٦٠، وهو متوسط منخفض أي أن مواقف الشباب سلبية نحو هذه القيمة.

الجدول رقم (٦): اتجاهات الشباب نحو المشاركة

المتوسط الحسابي	التكرارات					المشاركة	الرقم
	غير موافق إطلاقاً	لا أوافق	محايد	أوافق	موافق جداً		
٣,٦٥		٣٥	٣٥	٩٥	٣٥	فرصة الانخراط في العمل الجماعي ضعيفة	١
٢,٣٦	٤٦	٩٥		٥٩		المشاركة السياسية ضرورية في الحياة العامة بالنسبة للشباب	٢
٣,٧		٤٥	١٥	٩٥	٤٥	هناك غياب مؤسسات لممارسة الأنشطة الجماعية والحزبية	٣
٢,٥٥	٣٥	٩٥	١٥	٣٥	٢٠	العمل الجماعي يساعد في تكوين الفرد لمواجهة الحياة العامة	٤
٤,١٤		٥٥	١١	٨٩	٤٥	مشاركة الشباب في السياسة ليست ضرورية	٥
١,٧١	٧			١١٥	٧٨	لا أشترك في الانتخابات لأنني أعتبرها غير ذات مصداقية	٦
١,٤٨		٨		٧٢	١٢٠	لا أرغب في الانتماء إلى أي حزب سياسي	٧
١,٦٤	٨٧	٩٨	١٥			الانخراط في العمل الجماعي يساهم في التنمية المستدامة لبلدنا	٨
١,٥١				١٠٣	٩٧	لا أثق بأي حزب سياسي	٩
٢,٠٨		٢٦	٢٥	٨٩	٦٠	لا أشترك في الأحزاب السياسية لأنها لا تعطي فرصة للمشاركة للشباب	١٠
٢,٣	٥٥	٧٥	٢٥	٤٥		المشاركة في الانتخابات واجب وطني	١١
٢,١٢	٥٣	٩٧	٣٣	٢٧		مشاركة المرأة في السياسة أمر إيجابي	١٢
		٢,٤٣				المتوسط الحسابي للاتجاه نحو المشاركة	

يتضح من خلال الجدول رقم (٩) أن مشاركة الشباب في السياسة ليست ضرورية في تقدير هؤلاء الشباب بمعدل ٤,٤، كما أنهم لا يثقون بالأحزاب السياسية بنسبة ١٠% وبمعدل ١,٥ كمتوسط حسابي. وبالنسبة لمشاركة المرأة في السياسة كأمر إيجابي فأن أغلب المبحوثين لا يوافقون على ذلك بمعدل ٢,١. فيما معدل الاتجاهات نحو المشاركة فهو ٤٣,٢، وهو معدل منخفض ويعني أن مواقف الشباب سلبية اتجاه هذه القيمة.

تفسير ومناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:

ماذا عن الحرية؟ من خلال البيانات المحصل عليها بخصوص الاتجاه نحو الحرية، يجمع الشباب أن هذه القيمة لها حدود لا ينبغي تجاوزها بمعدل ٤,٤، كما أن حرية الفرد لا تعني إلغاء وجود الآخر. هذا الإجماع على احترام الحدود العامة للحرية إذا اعتبرناها كذلك، يعني وعي هؤلاء الشباب بمفهوم الحرية ومبادئها كأعلى شيء يملكه الإنسان وحق من حقوقه الطبيعية التي تتنافى مع كل أشكال الاستغلال والاستعباد، والتي يتمتع بها الإنسان على اختلاف انتماءاته العرقية والإيديولوجية وعلى اختلاف طبقاته الاجتماعية. لكن الملاحظ من خلال باقي المعطيات أن ممارسة الحرية في موضوعات مرتبطة بالحياة العامة للشباب كحرية التعبير، وحرية الدين، وحرية العلاقات الجنسية، تعرف مواقف سلبية من طرف الشباب. ففيما يتعلق بالتعبير عن الرأي بكل حرية فقد عبر أكثر من ٣٠% عن الحياد نحو هذا البند، فيما ٤% غير موافقون على هذا الأمر، الشيء الذي يعني أنهم من جهة يخشون حتى التعبير عن رأيهم بصراحة بخصوص هذا الموضوع، وهذا قد يحيلنا إلى شعورهم بالخوف وعدم الأمان إزاء التعبير عن الرأي بكل حرية. ثم بالنسبة للفتنة التي لا توافق على هذا البند. فالواضح أن حرية التعبير بالنسبة لهم مجرد شعارات ليسوا معنيين بها أو أنهم يواجهون بالقمع، بالتالي فهذا الأمر غير وارد بالنسبة لهم. وقد تكون ممارسات القمع هذه ممتدة إلى مرحلة الطفولة من طرف الآباء أحيانا، أو من طرف المدرسة.

ويتبين هذا من خلال طرح مسألة احترام الآراء في المدرسة حيث تبين أنها لا تحترم بمعدل ١,٨، بالإضافة إلى عدم امتلاك الحرية في اختيار المسار الدراسي، فهو أمر متفق عليه من طرف المبحوثين بنسبة تفوق ٧٥%، والاتجاه نحو هذا البند سلبي بمعدل ٢,١. أما فيما يتعلق بالحرية في اختيار الدين فرغم أن أعلى نسبة من الشباب لا توافق على ذلك، نجد في المقابل حيادا بالنسبة لهذا البند بلغ ١٧% ثم موافقة بنسبة ٥%. هذه النسب تبين أن اعتناق الدين الإسلامي ليس مسألة عامة ومتفق عليها بالإجماع من طرف الشباب، وإنما هناك من يرغب في اعتناق ديانات أخرى. عبر البعض عن ذلك صراحة، وفضل البعض الآخر التزام الحياد، وهذا يحيلنا أيضا إلى مسألة حرية التعبير كما أشرنا إلى ذلك سابقا، إضافة إلى أن المغرب من ضمن مجموعة من الدول التي تفرض قيودا شديدة على حرية الأديان، والدستور ينص على أن الدين الرسمي للملكة هو الإسلام، ولم يترك مجالاً لحرية الاختيار.

ينعكس هذا الأمر أيضا على الحرية الجنسية في ارتباطها لدى الشباب بنصوص تحريمية وبالعباقب، لكن رغم ذلك فإن هذا البند عبر من خلاله تقريبا ٥% من الشباب ذكور وإناث موافقهم في أن تكون لديهم حرية في العلاقات الجنسية، فيما النصف الآخر يشمل المحايدون والرافضين لهذه الحرية. قد تكون هذه النسب تعبيرا عن الرغبة في ممارسة الحياة الطبيعية للإنسان في ظل الإكراهات المادية التي تؤخر سن الزواج خصوصا بالنسبة للشباب الهامشي حيث الظروف الخاصة بالعمل والسكن هي ظروف صعبة سواء بالنسبة للذكور أو الإناث، وقد يرجع ذلك إلى الانفتاح على المواقع الإباحية والتواصل عبر العالم الافتراضي الذي يؤثر إما سلبا أو إيجابا على الشباب. ثم أن هذا الموضوع نادى به أصوات

حقوقية تدعو إلى عدم انتهاك حقوق المغاربة كحق المعتقد وحق الممارسة الجنسية وغيرها من الحقوق التي يجب صيانتها كحقوق أساسية، ربما ذلك من شأنه أن يشجع الشباب على المطالبة بهذه الحرية.

نستخلص مما سبق ذكره أن الشباب لا يعتبر أن له الحق في حريات عديدة ربما يتمتع بها شباب آخرون، بالتالي له اتجاهات سلبية نحو الحرية، ويتبين ذلك من خلال المتوسط الحسابي المنخفض الذي يساوي^{٨, ٢}.

تجليات المساواة: يتضح من خلال نتائج هذا المحور أن الشباب يعتبرون أن مشاكلهم لا تأتي في مقدمة اهتمامات المسؤولين مقارنة مع باقي أفراد المجتمع وباقي الطبقات الاجتماعية باعتبار ما يعيشونه من أوضاع متردية في كافة مجالات الحياة، فهم يجمعون بنسبة ١٠% على أنه ليست هناك مساواة لا في الصحة ولا في التعليم ولا في السكن، فشاب نزالة الرداية مثلا، لا يتوفرون إلا على مدرسة ابتدائية وحيدة، مع غياب جميع المؤسسات العمومية الأخرى الخاصة بالصحة والترفيه والخدمات العمومية كالبريد... بالإضافة إلى السكن غير اللائق الذي يفقد لأبسط شروط العيش. فالطفل في هذه الأحياء يوضع منذ البداية على طريق التهميش^١، بالتالي يجد نفسه مهمشا عندما يصبح شابا، هدرت جميع طاقاته في فترة تعتبر مرحلة أوج العطاء والطاقة، وفي مسيرة لم يذق فيها طعم المساواة.

هذه الوضعية تجعل الشباب في هذه الأحياء يميزون دائما بينهم وبين الشباب الميسورين الذين يعتبرون مرفهين بالنسبة لهم هم الفقراء، وهذا ما عبروا عنه من خلال موافقتهم التامة على أن في مجتمعنا الفقير يزداد فقرا والغني يزداد غني بمعدل^{٣, ٤}. وأن المساواة الوحيدة التي يؤمنون بها هي المساواة بين الفقير والغني في كافة الحقوق والامتيازات، وذلك بمعدل^{٣, ٥}.

أما بخصوص موضوع المساواة بين الجنسين، فهو أمر لا يحظى بموقف إيجابي من طرف الشباب المبحوثين فالمرأة بنظرهم لا يمكن أن تتساوى مع الرجل في مجتمعنا بمعدل^{١, ٨}، وهذا يعني أن التفكير الذكوري والهيمنة الهمينة الذكورية، كما أشار إلى ذلك "بورديو"، لازال طاغيا على تفكير الشباب بما في ذلك الأناث التي تستدخلن فكرة الهيمنة الذكورية وتؤمن بأن المساواة غير ممكنة بين الجنسين، لتبقى سيطرة الذكور قائمة في المجتمعات الذكورية.

واقع المشاركة: يظهر الشباب عموما قلة وضعف الاهتمام بالسياسة أكثر من باقي الفئات العمرية ويسجلون النسب الأضعف في التسجيل باللوائح الانتخابية، وفي المشاركة بالانتخابات كما أشار إلى ذلك البحث الوطني حول القيم لسنة ٢٠١١، فهم يمثلون^١، % بالنسبة للأنخراط في الأحزاب السياسية بالنسبة للفئة العمرية ما بين ٢٥ و ٣٤ سنة، أما فئة^{١٨} إلى ٢٤ سنة، فتمثل فقط^{٢٦} %.

ومن خلال البيانات المحصل عليها في هذا المحور يتضح أن المبحوثين لا يعتبرون أن المشاركة السياسية ضرورية في الحياة العامة بالنسبة للشباب بمعدل^{٣, ٢}، بل أنهم لا يتقنون بأي حزب سياسي بنسبة^{١٠} %، وبمعدل^{٥, ١}، هذا وفقدان الثقة والموقف السلبي من الأحزاب والبرلمان والمجالس المحلية، لا يختلف عن موقف المغاربة ككل، فقد صرح المندوب السامي في التخطيط حسب نتائج الدراسة التي أجرتها المندوبية حول العيش الكريم سنة ٢٠١١، أن^{٦٨} من المغاربة لا يتقنون في الأحزاب، و^{٦٤} % لا يتقنون في المجالس البلدية، و^{٥٧} % لا يتقنون في البرلمان^٢.

^١ حجازي، مصطفى. (٢٠٠٥). الانسان المهطور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص ٢١٠.

^٢ أنظر بهذا الصدد جريدة أخبار اليوم، عدد ١٦٥٩ : ٢٤-٢٠١٥. وهي معطيات لم تنشر بعد بالموقع الالكتروني للمندوبية السامية للتخطيط

وما يزيد من ضعف الثقة في الأحزاب ورفض المشاركة في العمل السياسي لدى الشباب الهامشي هو التهميش في حد ذاته وهدر المشاركة حسب تعبير الدكتور مصطفى حجازي، والذي يؤكد على أن الشباب في بلاد الهدر مستبعد من دائرة صنع القرار الذي لازال حكرا على جيل الكبار، في الوقت الذي كانت مشاركة الشباب في الحركات الوطنية بدون حدود، وكأن الشباب يجد من خلالها هويته واعتزازه الوطني^١. وقد تبين من خلال النتائج أن الشباب لا ينخرطون في الأحزاب السياسية لأنها لا تعطي فرصة المشاركة للشباب بمعدل ٠,٢، فاليوم تهدر هذه الطاقات باستبعاد الشباب عن الحياة السياسية، واحتكارها من طرف الكبار ومن طرف نفس العائلات التي تتوارثها جيلا بعد جيل، فلا يعرف الشباب الهامشي منها إلا الوعود الكاذبة، والاستياء من الإهمال على صعيد كل مجالات الحياة، والدليل على أن الحالة المتردية للأحياء الهامشية تظل على حالها مع توالي المجالس والمنتخبين عليها، وهذا ما يجعل الشباب لا يشاركون في الانتخابات لأنهم يعتبرونها غير ذات مصداقية بمعدل ١,٧، بل أن موقفهم من كون المشاركة في الانتخابات هي واجب وطني هو موقف سلبي عند أغلب المبحوثين بدرجة ٢.

وبالرغم من العدد الضخم لجمعيات المجتمع المدني إلا أن نسبة ثقة المغاربة بهم مازالت متواضعة حسب نفس الدراسة حول "العيش الكريم" الذي نشرت بجريدة أخبار اليوم. وبالنسبة لأفراد عينيتنا فهم يؤكدون هذا الموقف رغم اعتبار البعض منهم أن العمل الجمعي يساعد في تكوين الفرد لمواجهة الحياة العامة. إلا أن أغلبهم يعتبرون أن الانخراط في العمل الجمعي لا يساهم في التنمية المستدامة للبلد بمعدل ١,٦، بالإضافة إلى قلة أو غياب مؤسسات لممارسة الأنشطة الجمعوية والحزبية بمعدل ٣,٧. وهذا مؤشر على أن مواقف الشباب من المشاركة سواء بالمجتمع المدني أو بالسياسة رهين أيضا بمسألة التأطير الذي يفتقده هؤلاء الشباب بسبب غياب المؤسسات التي يجب عليها القيام بهذا الدور، وذلك قبل أن تطالب الأحزاب وكذا المجتمع المدني بمشاركة هؤلاء الشباب في نشاطاتهم، وقبل أن يتساءل المجتمع عن سبب عزوف هذه الفئة عن الحياة السياسية.

فالشباب الهامشي له مطالب وله أولويات يجب العمل على تليبيتها من خلال جسر المنتخبين والأحزاب والجمعيات لكن الموقف السلبي لهذه الفئة كما توضح من خلال البيانات يبين غياب التواصل أو انعدامه مع هذه الأطراف، بالتالي فالهوة تتسع بينهم وطبيعي أن تنعدم الثقة بهم.

بالنظر إلى ما ورد من معطيات، يتبين أن الشباب ليست لهم مواقف إيجابية نحو قيم الحرية والمساواة والمشاركة، ويتضح ذلك من خلال المتوسطات الحسابية المنخفضة لكل القيم لنحصل في الأخير على معدل ٢,٦ وهو معدل يعني أن اتجاهات الشباب الهامشي سلبية نحو القيم الحديثة وهذا يؤكد صحة الفرضية الثانية.

يتضح من خلال النتائج المتعلقة بالفرضيتين الأولى والثانية أن الفرق بين اتجاهات الشباب الهامشي نحو القيم التقليدية واتجاهاتهم نحو القيم الحديثة، هو فرق واضح وكبير وتؤكد ذلك من خلال مقارنة المعدلات إحصائيا من خلال اختبار Test T:

^١ حجازي، مصطفى. (٢٠٠٥). الانسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص ٢١٢.

Test échantillons appariés

	Différences appariées					T	ddl	Sig. (bilatérale)
	Moyenne	Ecart-type	Erreur standard moyenne	Intervalle de confiance 95% de la différence				
				Inférieure	Supérieure			
Paire 1 القيم التقليدية -القيم الحديثة	1,66333	,31262	,18049	,88673	2,43993	9,215	2	,012

من خلال الجدول يتبين أن هناك فرق ذو دلالة إحصائية عدداً ٠,٠ بين الاتجاهات الإيجابية والاتجاهات السلبية نحو القيم لصالح القيم التقليدية وهو ما ناقشناه في الفرضيتين.

٣. عرض النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة :

انصبت الأسئلة التي صغناها في دليل مقابلة المجموعات البؤرية حول قيم الأسرة والدين والحرية والاستقلالية، وذلك من خلال بعض المظاهر والمؤشرات التي ترتبط بهذه القيم والتي يعيشها الشباب في الحياة اليومية. ونعرض فيما يلي لخلاصات إجاباتهم قبل تفسير ومناقشة النتائج.

✓ المجموعة البؤرية الأولى (ذكور غير متمردين)

-الارتباط بالأسرة حاضر عند الشباب وهي تعتبر أهم شيء في حياتهم ويعترفون بدور الوالدين في استقرارهم وفي تربيتهم، في المقابل يبقى الاستقرار بعيداً عن الأسرة وارداً في تفكير هؤلاء الشباب في حالة توفرت الإمكانيات لذلك، والسبب في ذلك هو الرغبة في ممارسة بعض الحريات التي يرون أنهم محرومون منها مع أسرهم.

-يعترف الشباب أن ربط علاقات خارج إطار الزواج هو فقط من أجل التسلية والمتعة، وبالنسبة للبعض فإن الفتاة ترغب الشاب في أحيان كثيرة على ربط علاقة قبل الزواج بدعوى أنه يجب التعرف على زوج المستقبل.

-يقر الشباب أن الدين الإسلامي دين متوازن ويجب فهمه الفهم الصحيح، ويقوم الشباب بأداء مجموعة من الفرائض والعبادات والمعاملات التي ينص عليها، لأنها في مصلحة الفرد كأداء الصلاة والصوم والبر بالوالدين وهم على قناعة بذلك. إلا أنهم ينجذبون نحو بعض الأفعال المخالفة للدين كشراب الخمر وربط علاقات جنسية خارج مؤسسة الزواج..

ويعتبر البعض ذلك "طيش" الشباب أو الرغبة في تجريب كل شيء.

-يتبع بعض الشباب الموضة لأنهم أحراراً في ذلك طالما لا يؤذون أحد، وبالنسبة للبعض الآخر فذلك تعبير عن الانتماء للعصر الحديث أي حسب تعبير الشباب تقليد للغرب وللبورجوازيين.

✓ المجموعة البؤرية الثانية (ذكور متمدرسين)

-يعتبر الشباب أن الأسرة لا يمكن الاستغناء عنها في تحقيق الاستقرار للفرد، لكنهم يفضلون مع ذلك الاستقلال عن الأسرة لأن في ذلك تجنب لمجموعة من المشاكل التي تنتج عن العيش في سكن ضيق والاحتكاك الدائم مع الإخوة والوالدين، مع القيام بالواجب نحوهم والاعتناء بهم.

-يعتبر بعض الشباب أن ربط علاقات قبل الزواج أمر غير ضروري، والمفروض أن تتم الخطبة مباشرة بزوجة المستقبل، ويفسرون ذلك بأن هذه العلاقات تتطور أحيانا كثيرة إلى علاقات جنسية قد يحدث عنها حمل وما يترتب عن ذلك من مشاكل للجميع. خاصة أن الالتزام والصدق والجدية في العلاقة أمور افتقدها هذا الجيل حسب تعبيرهم ومن طرف الذكور والإناث على حد سواء.

-الدين حاضر بقوة في خطاب الشباب وهم مقتنعون بأهميته في حياة الفرد، وفي نفس الوقت يعترفون بأن الشباب يصلي وفي نفس الوقت يقوم بأفعال وهو غير راض عن ذلك. فالابتعاد عن الله بالنسبة لهم يسبب الكثير من المشاكل ويجعل الشباب تائهين في اختياراتهم وقيمهم ومواقفهم. فالصلاة مثلا من المفروض أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر لكن يبدو أنها لم تعط مفعولها بعد. فيما عبر البعض عن ضرورة استشارة مختص نفساني لأنهم لا يستطيعون تفسير تناقضاتهم في الحياة.

-من جهة أخرى عبر البعض عن اتباع الموضة ولو بشكل أعمى لأن المجتمع تغلب عليه المظاهر أكثر من أي شيء آخر. وهم بحكم ظروفهم المادية الصعبة، حتى وإن حصلوا على عمل فلا يكفي ذلك لتغيير السكن أو الحي، وأنما فقط يحاولون توفير الأكل والشرب ثم اللباس للظهور بمظهر لائق حتى لا يشعروا بالتهميش والنظرة الدونية من طرف المجتمع، فبالنسبة لهم عزة النفس والكرامة قبل كل شيء.

-أما البعض الآخر الذين يلبسون لباس الهيب هوب فيعتبرون ذلك تعبير عن موقف معين. وشرح أحد الشباب قصة الهيب هوب مع الفقراء السود في أمريكا بداية الستينات وكيف أنهم لثنا يرتدون سراويل الطبقة الأرستقراطية من القمامة، وتكون من الحجم الكبير لأنهم كانوا يتميزون بالبطن الكبير، مع ذلك يرتدي السود هذه السراويل ويتركونها متدللية ليعبروا للأرستقراطيين أنهم يلبسون نفس الملابس. بالتالي فالشباب اليوم يلبسون بنفس الطريقة تضامنا مع الفكرة ولأن الهيب هوب يعبر عن الفقر والظلم والاسبداد دون بقية الألوان الغنائية.

-أما الفتيات، في نظر الذكور، فأنهن يبالغن كثيرا في اللبس الفاضح الذي يخجلك إذا كنت مع أسرتك، ولا يعبرن من خلاله عن أية رسالة أو موقف.

-أوضح الشباب أنهم في المسجد يحترمون طقوس المسجد، وفي الدراسة أو العمل الجمعي مثلا يحترمون ما هو تربوي، أما في حياتهم الشخصية فهم أحرار في أن يرتدون ما يريدون ويفعلون ما يرغبون فيه سواء أكان ذلك تربويا أم لا، فهم يلعبون بشخصيتهم كما يشاؤون لأن العصر يتطلب ذلك.

-الحرية في المعتقد والدين وبعض الممارسات الشاذة ممكنة لكن التشهير بها كالإفطار في رمضان وزواج المثليين الذي يطالب به بعض الشباب في السنوات الأخيرة أمر غير مقبول، فالحرية قد تجعل الأمر مباحا في يوم من الأيام في مجتمعنا، وعندها يجب الهجرة للبحث عن الإسلام في بلاد أخرى.

في الأخير أقر الشباب أنهم يعرفون الخطأ ومع ذلك يقدمون عليه، ويبحثون عن فعل السوء بأنفسهم رغم أن كل العواقب واضحة ولم يعطوا تفسيراً لذلك. ثم أن أهم القيم التي يتشبثون بها اليوم هي قيم الأنانية والمصلحة الشخصية والحرية. بالإضافة إلى التعبير عن كل الأوضاع عن طريق اللباس والرموز والفن وخاصة الهيب هوب.

✓ المجموعة البؤرية الثالثة (إناث):

-مكانة الأسرة حاضرة بشكل كبير بالنسبة للإناث، وتمثل السند والحماية على جميع المستويات. أما الاستقلال والرغبة في العيش بمعزل عن الأسرة فهو أيضاً أمر حاضر في مطالب الفتيات، لأن هناك قيود على حريتهن يفرضها الآباء وكذا الإخوة الذكور، وأبسط مثال على ذلك هو سماع الموسيقى بكل حرية واستقبال الصديقات واتخاذ بعض القرارات بشكل فردي دون تدخل الأسرة. غير أن ما يحول دون ذلك هو أن المجتمع لا يرحم الفتاة التي تسكن بعيداً عن الأسرة وينعتها بأبشع النعوت ولا يتركها تعيش بحرية ودون مضايقات وتحرشات من قبل الذكور، هذا وتفكر بعضهن في الهجرة إلى الخارج فقط للاستقرار بشكل فردي بعيداً عن هذا المجتمع.

-بالنسبة للعلاقات خارج إطار الزواج فهي خطوة أساسية لها حدود طبعاً، حسب تعبيرهن، وذلك للتعرف أكثر على شريك الحياة، رغم أن ذلك مخالف للدين إلى حد ما، إلا أن الثقة اليوم يصعب وضعها بكل سهولة في الطرف الآخر، بالتالي تعتبر مغامرة خاسرة إذا تم الارتباط بشكل تقليدي كما في السابق.

-كما أكدت الفتيات على حرصهن على المواظبة في أداء الصلاة والصوم، بالرغم من أن المظاهر تبين أن هناك اتباع للموضة، وسواء كانت الفتاة ترتدي الحجاب أم لا، إلا أنهن يصلين عن اقتناع وتخشين غضب الله والحساب والعقاب. وتستغرب بعضهن أن فتيات مثقفات ولهن مستوى جامعي لكنهن يلجأن إلى الدجالين والسحر والشعوذة من أجل الزواج أو الحصول على عمل.. وهذا شرك بالله وصاحبه يدخل النار. فهن يستغربن هذا السلوك المتناقض لدى هؤلاء الفتيات.

-أما اللباس هو مظهر أساسي لكي يفرضن وجودهن في المجتمع، خصوصاً أن المظاهر تؤثر كثيراً في التعامل مع الأشخاص في كل المجالات ولهذا فهن يتشبثن بالمظهر الخارجي رغم الظروف المادية الصعبة.

-تتفق المجموعة ككل على أن الحرية على مصراعها غير صالحة في مجتمعنا رغم الدفاع عنها من طرف جميع الشباب، فالحرية يجب أن تكون لها حدود، كالإفطار في رمضان وزواج المثليين الذي يطالب به بعض الشباب في السنوات الأخيرة، فينظرهن هذه الحرية قد تجعل الأمر مباحاً في يوم من الأيام في مجتمعنا، وعندها يجب الهجرة للبحث عن الإسلام في بلاد أخرى.

-عبر الفتيات عن الرغبة في العودة إلى جيل الآباء، لكن مع الحفاظ على قيم الحرية والاستقلالية، ولم يستطعن تفسير هذه الثنائية بشكل واضح. وتضيف أن حب الذات والأنانية أكثر القيم التي تطغى على الشباب حالياً، بالإضافة إلى كثرة الاستهلاك. وأن الفراغ هو ما يدفع الشباب اليوم إلى التشبث بأي شيء سواء سلبي أم إيجابي، بما في ذلك الحيرة في المواقف والقيم والمبادئ أيضاً في بعض الأحيان.

تفسير ومناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة:

من خلال النتائج المحصل عليها في المجموعات البؤرية تؤكد أن اتجاهات الشباب إيجابية نحو الأسرة والدين كقيم تقليدية كما بينت ذلك الفرضية الأولى. وقد تبين ذلك من خلال تعبير الشباب بمختلف أعمارهم ومستوياتهم الدراسية

وكذا جنسهم، عن دور الأسرة في تحقيق الاستقرار للأفراد وكذا أهمية الدين في خلق التوازن في الحياة الفردية والجماعية.

في المقابل يجمعون على الرغبة في تبني بعض القيم الحديثة التي تتناقض أحيانا كثيرة - حسب تعبيرهم - مع القيم التقليدية. ونجد أن أولى هذه القيم الحديثة هي الاستقلالية، والحرية بمختلف صورها بالنسبة للشباب والتي عبروا عنها بحرية اللباس واتباع الموضة، والحرية الجنسية خارج العلاقات الزوجية...

فبالرغم من ارتباط الشباب بالأسرة كقيمة مركزية تقليدية، نجد في المقابل رغبتهم في الاستقلالية كقيمة حديثة (عن هذه الأسرة). فقد عبرت الفتيات بشكل صريح على الرغبة في العودة إلى جيل الآباء، مع الحفاظ على قيم الحرية والاستقلالية، كما قالت إحداهن " مَا كَرِهْنَا شَ نُرْجِعُو لِعَهْدِ وَالِدِينَا... وَلَكِنْ تَبْقَى لِنَا لِحُرِّيَّةِ الِّي بُغِينَا وَالِاسْتِقْلَالِيَّةِ حَتَّى هِيَ". وصرح الذكور أنهم يرغبون في الاستقلالية إذا توفرت الإمكانيات رغم تعلقهم الشديد بالأسرة. وربط الشباب هذه الرغبة في الاستقلالية بالضغط الذي تفرضه ظروف العيش بالأحياء الهامشية خصوصا ضيق السكن الذي يقيد حريتهم بشكل كبير، وربما إذا اختلفت هذه الظروف وكان بإمكان الشاب أو الشابة أن ينفرد بغرفة خاصة به، لاختلف هذا الموقف من الاستقلالية.

من جهة أخرى بينت النتائج أن الدين عند الشباب كقيمة مركزية وتقليدية أيضا، يواجه الحرية بمفهومها الحديث لدى الشباب. وقد أوضحوا ذلك باعتراف أحدهم قائلا: "الأصلاة المفروض تنهى عن الفحشاء والمنكر ولكن رَاهُ مَزَالُ مَا دَارَتْ لِمُعْجُولِ دِيَالِهَا، رَاهُ كُنْصَلِيُو وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ. كَأَنْدِيرُو شَي حَوَائِجِ خَ إِيْبِينِ وَآخَا حَنَا مَارَاضِيْبِيْنَشْ عَلِيمَا"، حتى أنهم لا يستطيعون تفسير ذلك بل بنظرهم أن الوضع يتطلب ضرورة استشارة أخصائي نفسي لأن الشباب أنفسهم لا يستطيعون تفسير تناقضاتهم في بعض الممارسات. فالحرية عند الشباب مقسمة إلى حريات، إحداها مقبولة وأخرى مرفوضة، فبالنسبة لحرية اللباس والموسيقى والرموز¹، فقد تبين أن الشباب يقبلون عليها بهدف مساهمة المجتمع الحديث العصري الذي يهتم أكثر بالمظاهر، ولهذا فالذكور كما الإناث يظهرون ب"لوك" يحفظ كرامتهم وعزة أنفسهم ويجعلهم مقبولون اجتماعيا، وهم بذلك مظطرون إلى تبني هذه القيم الحديثة، ويرغبون بدورهم في ممارسة حرياتهم بالشكل الذي يرونه مناسباً.

أما بالنسبة لقيام الشباب ببعض السلوكات والاختيارات التي تكون مخالفة للدين الإسلامي، فمعظم أفراد العينة نجدهم يعارضون ذلك بشدة، فهم يرفضون مطالبة بعض الشباب بالإفطار العلني في رمضان، بمعنى آخر أن الحرية في ذلك شخصية يمكن للفرد أن يفطر لكن ليس حرا في أن يعلن إفطاره لأن في ذلك مساس بما هو مقدس لدى مجتمع إسلامي. كما أنهم يرفضون الاعتراف بالمثلين الجنسيين وبحريتهم في الارتباط وممارسة حياة طبيعية داخل المجتمع. فبالنسبة للشباب، الحرية بهذا المعنى سوف تؤدي يوما ما إلى انتشار هذه الممارسات وحينها يجب مغادرة هذا البلد للبحث عن الإسلام في بلاد أخرى.

من خلال ما سبق يتبين أن الرغبة في تبني القيم الحديثة من طرف الشباب الهامشي ترجع أساسا إلى الوضعية الهامشية والهشاشة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يعيشونها، والتي تدفعهم إلى الرغبة في الظهور بالشكل الذي يناسب المجتمع العصري المنفتح على ثقافة الغرب، والتغلب على الفرق الذي يميزهم عن الفئات المترفة على حد تعبير مصطفى

¹ نقصد بالرموز تلك المنحوتات لرؤوس حيوانات مثبتة في الأحزمة أو القبعات، وبعض الشعارات المكتوبة على القمصان، وبعض الخلي...

حجازي¹. وإن كان اختيارهم للباس "الهييب هوب" مثلا، كما قال أحد الشباب، أنه تعبير وبضامن مع فئات كانت تعاني نفس أوضاعهم في حقبة معينة وهم السود الأمريكيون، في الوقت الذي يبدو للمجتمع على أنه مجرد تقليد للغرب واتباع للموضة الراهنة.

وهنا تختلف نتائجنا مع ما قدمه الدكتور إدريس بنسعيد في إحدى حواراته² حول قيم الملجأ « les valeurs refuges » التي يبحث عنها الجيل الحالي، حيث اعتبر أن الفئات الهشة اقتصاديا وثقافيا تجد هذه القيم الملجأ في الرجوع إلى الدين، في حين الفئات الغنية تبحث عنها في الارتباط برموز الحداثة كاللباس. فقد تبين أن الفئات الهشة بدورها أصبحت تبحث عن القيم الملجأ في الارتباط برموز الحداثة خاصة اللباس ولها دوافعها في ذلك والتي تختلف حتما عن دوافع الشباب المترف الذي يبحث عن تلبية حاجيات ورغبات بمنطق الرفاه المادي. ولم تعد تبحث عن هذه القيم فقط في الدين.

فالشباب الهامشي إذا كان يعاني تهميشا على مستويات اجتماعية واقتصادية وثقافية، فإنه لا يعاني من هامشية على مستوى المعلومة والصورة وكل ما يدور في العالم، وذلك عن طريق الفضائيات وعالم الأنترنت اللذين دخلا كل البيوت بما فيها "القصديرية"، بالتالي لا يمكن لهؤلاء الشباب أن يعيشوا في هذا المجتمع دون أن تكون هناك انعكاسات على نمط عيشهم، ودون أن يدخلوا في دينامية اجتماعية جديدة تغلب عليها قيم الاستقلال والحرية النسبية للفرد³.

وعند سؤالنا الأخير حول أبرز القيم السائدة اليوم بين الشباب، فقد كانت الإجابات كلها تؤكد على طغيان الأنانية والمصلحة الفردية.

خلاصة عامة:

من خلال تفسير ومناقشة نتائج العمل الميداني حاولنا أن نجيب على السؤال الإشكالي للبحث: "ماهي اتجاهات الشباب الهامشي نحو القيم السائدة في المجتمع؟" من خلال التحقق من الفرضيات التي أنطلقنا منها.

فقد بين البحث أن الشباب الهامشي مرتبط بالقيم التقليدية رغم كل التحولات التي يعرفها المجتمع في ظل الانفتاح على العالم من مختلف النواحي، ورغم ما يقال من أن الشباب اليوم يعرف "أزمة قيم" خصوصا فيما يتعلق بالقيم التقليدية. بالمقابل نجد أن اتجاهاتهم ومواقفهم سلبية نحو القيم الحديثة، حيث أنهم لا يؤمنون بعد بفكرة تبني هذه القيم في ظل الإكراهات والظروف الهشة التي يعيشونها والتي لم تتغير رغم كل ما يلوح في الأفق من شعارات مرتبطة بهذه القيم الحديثة، فهي بنظرهم لا تتناسب مع وضعيتهم.

غير أن النتائج بينت أيضا كيف أن الشباب الهامشي وبالرغم من موقفه السلبي من بعض القيم الحديثة فإنه يقبل على بعضها كالاستقلالية والحرية، فهو يعيش تجاذبا واضحا بين القيم التقليدية والقيم الحديثة، بحيث لا يمكنه الاستغناء عن الأولى نظرا للقيمة التي تشكلها بالنسبة لحياتهم، وليس بإمكانهم عدم تبني الثانية من أجل مسيرة المجتمع الحديث.

هذه النتائج التي تعبر عن اتجاهات مجتمع البحث نحو القيم، تثير بنظرنا عدة قضايا وتساؤلات تهم هذه الفئة العريضة من المجتمع، فمن جهة لا يمكن الحديث عن أزمة قيم بشكل عام لدى جميع الشباب، بل يجب دراسة هذه القيم عند

¹ حجازي، مصطفى. (٢٠٠٥). الانسان المهودور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص ٢١٠.

² أنظر بهذا الصدد L'observateur du Maroc الصادر بتاريخ ١٩-٠٧-٢٠١١

³ سبيلا، محمد و بنعبد العالي، عبد السلام. (٢٠٠٦). الإيديولوجيا. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ص ٣٦٨.

كل فئة حسب الظروف التي تعيشها وحسب مختلف التصورات والمواقف التي لديها عن كل الجزئيات المرتبطة بكل قيمة. فهناك واقع مختلف متناقض يحمل إكراهات صعبة، ويفرض على الشباب الهامشي أن يعيش بدوره هذا التناقض وهذا الاختلاف، وأن يحاول التغلب على الإكراهات بطرقه الخاصة. بالتالي هناك واقع جديد يخلقه هؤلاء الشباب ويتطلب فهمه من أجل التعامل معهم والاستجابة لمطالباتهم، بدل الحكم الجاهز على أن جميع الشباب يعاني من أزمة قيم.

من جهة أخرى، فالشباب الهامشي يعاني من مشاكل وصعوبات على مستويات متعددة تتعلق بالسكن والصحة والتعليم.. وإذا أضفنا إليها "حالة" التجاذب بين القيم التقليدية والقيم العصرية، فإن ذلك من شأنه أن يشكل ضغطا إضافيا، ويخلق مشاكل أكبر إما ظاهرية وإما خفية.

فالمشاكل الظاهرية على سبيل المثال تكمن في بعض السلوكيات التي يقوم بها بعض الشباب الذكور خاصة نحو أفراد الأسرة الإناث بدافع الغيرة والشرف والعفة وتكون من منطلق التشبث القائم والدائم بالقيم التقليدية وما تحمله من أعراف وقواعد ومبادئ. هذه السلوكيات قد تصل إلى العنف أحيانا أو إلى الجريمة، وهي أفعال تفسر إلى حد الآن في أغلب الدراسات بأسباب مادية أو نفسية، فيحين قد ترتبط بمسألة القيم ومدى تفسيرها والتصور الذي يحمله هؤلاء الشباب اتجاهها.

أما المشاكل الخفية فتتجلى في بعض الأمراض النفسية التي قد تنتج عن هذا الصراع الداخلي بين التقليدي والحديث، وكأن هؤلاء الشباب بهذا التجاذب يعيش بشخصيات متعددة أو يعاني من انقسام في الشخصية.

من هذا المنطلق قد نتساءل عن علاقة اتجاهات الشباب الهامشي نحو القيم بالسلوكيات العنيفة، بالجريمة، بالانتحار... الأمر الذي يتطلب المزيد من الأبحاث في موضوع القيم لدى الشباب الهامشي بشكل خاص، وأيضا البحث في قيم أخرى لم نتناولها في بحثنا هذا.

● قائمة المراجع: There are no sources in the current document. باللغة الفرنسية

- Bréchon, P. (1980). les valeurs des français, évolution de 1980 à 2000. Paris.
- GALLAND, O. (2009). Sociologie de la jeunesse. Paris: Armand Colin.
- Rocher, G. (1980). les valeurs des jeunes (éd. 2003). paris: Armand Colin.
- Royer, G. P. (2004). les valeurs des jeunes. Quebec: Presses de l'université.
- Bordieu, P. (1992). la jeunesse n'est qu'un mot. Question de sociologie, 143-154.
- Bourqia, R. (2010). Valeurs et changement social au Maroc. Quaderns de la Mediterrania, 105-115.
- H, Schwartz Shalom. (2006). Les valeurs de base de la personne: théorie, mesures et applications. Revue française de sociologie, 929-968.



- S.Bailly, A. (1995). La marginalité, une approche historique et épistémologique. Anales de Geografia de la Universidad, N°15, 109-117.

دور العوامل المدرسية في تنامي العنف المدرسي

أ.زيتوني محرز/جامعة محمد خيضر بسكرة

ملخص:

أضحت المدرسة عرضة لتيارات عديدة ، منها الايجابي الذي يزيد في قدراتها وكفاءة مخرجاتها من الإطارات التي تبني على كواهلها أعمدة التنمية المستدامة ومنها السلبي كالتغريب والانسلاخ من القيم الاجتماعية المتوارثة ولعل أخطرها العنف الذي تحول من كونه ظاهرة اجتماعية بسيطة تفيد فيها بعض المسكنات للحد من خطرها إلى مشكلة اجتماعية قائمة بذاتها .

وأصبح العنف من الظواهر المدرسية المخيفة التي بدأت تنتقل عدواها إلى المدرسة الجزائرية والتي أصبحت يتطور ليس فقط في حجم أعمال العنف وإنما في الأساليب التي يستخدمها التلاميذ في تنفيذ سلوكهم التي لم يسلم منها حتى أعضاء الفريق التربوي والفريق الإداري للمؤسسة ، وترتبط هذه الظاهرة في نظر العديد من الباحثين بعدة عوامل ذات صلة بالظروف الاجتماعية، النفسية والتربوية ، و غيرها ونركز في هذا المقال على دور العوامل المدرسية في تنامي العنف في الوسط المدرسي .

الكلمات المفتاحية : العوامل المدرسية / العنف المدرسي .

الإشكالية :تعد المدرسة كمؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية فضاء تربويا صالحا للممارسة التربوية السوية والسليمة فهي المحضن الثاني للفرد بعد الأسرة،فهي تكسب الشخص قيما دينية وتربوية وأخلاقية ، وتنمي في الطفل الروح الاجتماعية وتكسبه سلوكيات جديدة كالتعاون والتنافس الشريف والتنازل عن الرأي إذا ثبت خطأه ،ويرى البعض المدرسة عبارة عن:(مؤسسة اجتماعية ينشئها المجتمع بهدف تأهيل النشء للحياة الاجتماعية من خلال التربية¹).

إن المدرسة وهي تقوم بدورها وفق فلسفة المجتمع ونظامه وأهدافه تسعى إلى تأهيل الأفراد لأداء دورهم الحضاري في تنمية واستقرار المجتمع،وقد أشار إلى ذلك الباحث صلاح الدين شروخ بقوله : (المدرسة هي مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع لتشارك الأسرة مسؤوليتها في التنشئة الاجتماعية،وتبعا لفلسفته ونظمه وأهدافه ، وهي متأثرة بكل ما يجري في مجتمعها ومؤثرة فيها أيضا)².

¹ - مراد زعيمي :مؤسسات التنشئة الاجتماعية ،جامعة باجي مختار ، عنابة ،الجزائر ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤٠ .

² - صلاح الدين شروخ:علم الاجتماع التربوي ،دار العلوم للنشر والتوزيع ،عنابة ،الجزائر ، ٢٠٠٤ ، ص ٧٢ .

أضحت المدرسة عرضة لتيارات عديدة، منها الايجابي الذي يزيد في قدراتها وكفاءه مخرجاتها من الإطارات التي تبني على كواهلها أعمدة التنمية المستدامة، منها السلبي كالتغريب والانسلاخ من القيم الاجتماعية المتوارثة ولعل أخطرها العنف الذي تحول من كونه ظاهرة اجتماعية بسيطة تفيد فيها بعض المسكنات للحد من خطرها إلى مشكلة اجتماعية متكاملة، فالظرف الموضوعي متوفر بمقدار تعدى الملاحظة والقياس إلى آثار مترتبة عنه وصلت إلى إزهاق الأرواح، وأضحى العنف بصورة عامة يمثل تهديدا مباشرا لمنظومة القيم الاجتماعية السائدة ، ومن الظواهر المدرسية المخيفة التي بدأت تنقل عدواها إلى المدرسة الجزائرية والتيا أصبح يتطور ليس فقط في حجم أعمال العنف وإنما في الأساليب التي يستخدمها التلاميذ في تنفيذ سلوكهم التي لم يسلم منها حتى أعضاء الفريق التربوي وإدارة المؤسسات، و ترتبط هذه الظاهرة في نظر العديد من الباحثين بعدة عوامل ذات صلة بالظروف الاجتماعية، النفسية والتربوية، ويتبين حسب الدراسات والبحوث أن التلميذ في بيئته خارج المدرسة يتأثر بثلاث مركبات وهي العائلة، المجتمع والإعلام وبالتالي يكون العنف المدرسي هو نتاج لثقافة المجتمعية العنيفة .

إن العنف صفة ملازمة للإنسان سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، فمنذ أول الخلق كان الصراع الذي وصل حد القتل بين ابني آدم (هابيل و قابيل) وهنا يبرز: (العنف المصاحب للإنسان ككائن طبيعي يتحدد إذن كوسيلة للبقاء وتأمينه، وبذلك تظهر المماثلة بين الاقتصاد البدائي واقتصاد الصيد)¹ ومرورا بظهور الحروب و الصراع الدامي على السلطة والحكم سواء في الحضارة الأوروبية أو الحضارة الإسلامية إلى الظاهرة الاستعمارية التي استعبدت الشعوب واستدمرت الإنسان وهدرت كرامته، ثم تطور وأخذ أساليب متنوعة وأشكال مختلفة وذلك باختلاف التقدم التكنولوجي والفكري الذي وصل إليه الإنسان فمن التهديد والإيذاء والاستهزاء والحط من قيمة الآخرين والاستعلاء والسيطرة والحرب النفسية و منها أيضا (عوامل التخلف والفحط الثقافي والشلل الفكري التي أحدثها الإرهاب الاستعماري ليست واضحة للعيان وضوح آثار الاستغلال الاقتصادي، إلا أنها قد تكون أكثر تدميرا على المدى البعيد وربما يتوجب على أية محاولة ترمي إلى فهم الأزمة الشاملة التي ولدها عملية التحديث في علم الاستعمار أن تستوعب ظاهرة الإرهاب والاستغلال الاستعماريين وأثارهما الاجتماعية والنفسانية)² وغيرها من الأساليب .

إن التركيز على العنف المدرسي يعود إلى الشريحة التي يستهدفها وهي شريحة الأطفال والمراهقين المعرضين أكثر من غيرهم إلى تأثيراته وانعكاساته السلبية عليهم كأفراد أو على مستوى الأسر التي تحضنهم أو على المستوى المحلي أو المستوى الدولي.

وجد العنف في المدرسة المرتع الخصب للنمو والتطور فتنوعت أشكاله وأساليبه من مجرد الكلمة العنيفة والتهديد والكتابات على الجدران والشتيم... إلى القتل وإزهاق الأرواح وتدمير وتخريب المنشآت والمرافق التربوية نفسها، ولم يعد أي شخص داخل المؤسسات التربوية في منأى عن تداعيات العنف، فأصبح العنف من تلاميذ ضد بعضهم البعض، ومن الأساتذة ضد التلاميذ، ومن الإداريين والمساعدين التربويين ضد التلاميذ، ومن الإدارة ضد الأساتذة، ومن الأهالي ضد الإدارة والأساتذة، ومن التهديد اللفظي إلى استعمال الأسلحة البيضاء والكراسي والتحرش الجنسي والأفعال المخلة بالحياة... ومع تنامي الظاهرة وامتداداتها وانتشارها عبر مختلف بقاع العالم وفي مختلف القارات وصل خطرها إلى الجزائر، فالدراسات العديدة التي أجريت في العديد من الثانويات والمتوسطات عبر مختلف جهات الوطن أبرزت

¹ - هشام شرابي: النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي تر: محمود شريح، ط 4، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2002، ص 132 .

² - علي سموك: إشكالية العنف في المجتمع الجزائري من أجل مقارنة سوسولوجية، ط 1، جامعة عنابة الجزائر، 2006، ص 41 .

استفحال ظاهرة العنف المدرسي والتي أخذت منعرجا خطيرا خلال العشريّة الحمراء (١٩٩٠-٢٠٠٩)، بتصاعد وتيرة الاعتداءات في عمليات إجرامية راح ضحيتها للأسف مئات التلاميذ والأساتذة في حواجز مزيفة واعتداءات يومية في تراجيديا قاتمة دامية لم تفرق بين كبير وصغير.

إن تطور الوعي في مطلع القرن العشرين خاصة ما تعلق بالطفولة وظهور نظريات علم النفس المختلفة وبروز اتفاقيات حقوق الإنسان منذ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (١ ديسمبر ١٩٤٨) أدى إلى زيادة الاهتمام بالطفولة ومقاومة كل المشاكل التي تهدد مستقبل الأطفال لتعليمي والأخلاقي الذي يهدد بناء شخصياتهم السوية البناءة التي تمتد جذورها في عمق أصالة المجتمع وتنتفح على الآخر دون ذوبان أو تفسخ، وكذلك ظهور الاتجاهات الفكرية الجديدة سواء في ميدان علم الاجتماع أو علم النفس أو التربية وظهور العولمة وما بعد الحداثة وما يعرف بتكوين شخصية المعلم المتدبر الذي يكون: (القادر على إعادة قراءة الواقع من حوله وتقديم رؤية نقدية جديدة لمشكلاته وقضاياها المتغيرة).¹

إن الارتقاء بعملية التربية والتعليم يتطلب الحد من انتشار هذه الظاهرة الخطيرة بتحديد مفاهيمها وإبراز مسبباتها بكل أنواعها من مشاكل أسرية أضحت عديدة ومتنوعة بعد الانتقال من نموذج الأسرة النووية إلى نموذج الأسرة الممتدة وتعميدات الحياة الاجتماعية التي طغى عليه الطابع المادي الاستهلاكي النفعي وعوامل مدرسية متداخلة منها ما تعلق بمحيط المؤسسة التربوية نفسها ومنها ما هو دخيل فرضته رياح العولمة، وتأثير وسائل الإعلام والاتصال المختلفة (مسموعة ومرئية ومكتوبة..)، ثم عدم الاكتفاء بالتشخيص والبكاء على الأطلال بل البحث عن حلول وميكانيزمات وقائية، إن كل هذه العناصر تستوجب الاهتمام بدراسة موضوع العنف المدرسي كظاهرة اجتماعية وذلك بإجراء البحوث والدراسات من أجل استخلاص النتائج واقتراح الحلول والبدائل.

إن ظاهرة العنف المدرسي معقدة تتداخل فيها عدة عوامل وأسباب منها الأسرية والمدرسية والسياسية والاجتماعية وأسباب عائدة إلى نظام التعليم نفسه وإلى أنظمة التحفيز (الترهيب والترغيب) وإلى أنظمة التقويم والبيئة المدرسية... الخ. ولكن سنركز في هذا المقال على إبراز دور العوامل المدرسية في تنامي ظاهرة العنف المدرسي لاعتقادنا أن مسؤولية هذه الأفعال تقع بالدرجة الأولى على العائلة ثم المدرسة (كما يعتقد - وليام كلاسر- في كتابه المدرسة النوعية بأن الطلاب ذوي السلوك السيئ يجب أن يعالجوا بشكل جذري في المدرسة قبل خروجهم للمجتمع وارتكابهم للجرائم ولكن ليس عن طريق القسر وبشكل سريع بل بشكل تدريجي في فترات السلوك العادي لهؤلاء الطلاب).²

ولعل السؤال المطروح :

ما هو تأثير العوامل المدرسية في تنامي ظاهرة العنف المدرسي ؟

١- سامي محمد نصار : قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة مصر، ٢٠٠٢، ص ١٣٦.

٢- يحي محمد نبهان : الأساليب التربوية الخاطئة وأثرها في تنشئة الطفل ، دار اليازوري ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٤.

تحديد المفاهيم :

١ - العنف:

المعنى اللغوي للعنف :

اشتقت كلمة العنف من الفعل:عنف، عفا و عناقفةوهو الشدة والقسوة ضد الرفق^١، ونقول:أعنف فلانا :أخذه بشدة و لم يرفق به،أعتنف الرجل الأمر:أخذه بعنف وبشدة^٢

فكلمة العنف violence مشتقة من الكلمة اللاتينية vis أي القوة و هي ماضي كلمة Fero والتي تعني " يحمل " و عليه فإن كلمة عنف تعني "حمل القوة " أو تعمد ممارستها تجاه شخص أو شيء ما .

وبالرجوع إلى القاموس الفرنسي - لاروس- فإن العنف:(صفة عنيفة تستعمل فيها القوة بطريقة تعسفية هدفها الإرغام والقهر).^٣

المعنى الاصطلاحي للعنف:

يرى كترزي محمد فوزي أن العنف هو:(استخدام القوة المادية لإلحاق الأذى والضرر بأشخاص أو ممتلكات)^٤،بينما يرى هشام طلحة أن العنف (يشمل المجالات العائلية والمدرسية و مؤسسات العمل والقطاعات الرياضية،فالعنف هو كل سلوك غير طبيعي من شأنه التأثير على الوحدات و يترك أزمة لا يمكن التخلص منها)^٥.ويرى الباحث صلاح الدين شروخ أن العنف هو:(مجموع الأسباب المساهمة في خلق بعض من السلوكيات غير الطبيعية وغير مناسبة نفسيا واجتماعيا والتي من شأنها أن تخلف آثار صعبة)^٦، أما الباحث علي سموك فيرى أن العنف ظاهرة ذات طبيعة مزدوجة:(عنف يمارسه المجتمع و يتمثل في الإكراه و الإلزام الممارس على الأفراد،و عنف من خلال رفض الأفراد الانصياع لذلك الإكراه و تجسيد ذلك بالخروج من دائرة القواعد و الإخلال بالمعايير)^٧.

٢- العنف المدرسي :

يرى هشام طلحة أن:(العنف المدرسي هو تلك السلوكيات الشاذة التي تخص الوسط المدرسي و التي تشمل الوحدات اللفظية).^٨

^١ - علي بن هدفة وآخرون :القاموس الجديد للطلاب ، ط ١ ، تونس ، ١٩٧٩ ، ص ٧٠٣ .

^٢ - المعتمد : " قاموس عربي .عربي " دار صادر ، طبعة ٢٠٠٠ ، بيروت ، لبنان.

^٣ -- Larousse, Dictionnaire de poche ,librairie Larousse ,paris ,1979.,p445

^٤ - كترزي محمد فوزي ، مورفولوجيا العنف المدرسي : العوامل والتجليات / من سلسلة دراسات اجتماعية :مشكلات وقضايا المجتمع في عالم متغير ، ٢٠٠٧ ، الجزائر ، ص ٢١٥

^٥ - هشام طلحة :العنف في الوسط المدرسي - الدلائل والحلول المتوخاة ، من موقع www. Seha. Com ، ص٢.

^٦ - صلاح الدين شروخ : مرجع سابق ، ص٧٢.

^٧ - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي :المجتمع والعنف ، تر : إلياس الزحلاوي ، دمشق ، ١٩٧٥ ، ص ١٥٩ .

^٨ - هشام طلحة : مرجع سابق ، ص ٢ .

٣- مفهوم المدرسة :

- يرى صلاح الدين شروخ أن: (المدرسة مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع لتشارك الأسرة مسؤوليتها في التنشئة الاجتماعية وتبعاً لفسفته ونظمه وأهدافه)^١، بينما يرى إبراهيم نصار أن: (المدرسة هي المؤسسة التي أنشأها المجتمع لتربية وتعليم الصغار نيابة عن الكبار الذين شغلهم الحياة، إضافة إلى تعقد وتراكم التراث الثقافي)^٢، ويرى مراد زعيمي أن: (المدرسة مؤسسة اجتماعية ينشئها المجتمع بهدف تأهيل النشء للحياة الاجتماعية من خلال التربية)^٣.

٤- المفهوم الإجرائي للعنف المدرسي :

العنف المدرسي هو مجموع السلوكيات العدائية في الساحة المدرسية سواء داخل الوحدات الصفية أو خارجها، والتي تشمل السب والشتم والإيذاء الجسدي واللفظي والتخريب داخل الحجرات و خارجها، وقد يكون العدوان من طرف التلاميذ أو الطاقم التربوي والإداري للمؤسسة التربوية، وقد يمس كل هذه الأطراف أو بعضهم، وقد يمس السلوك العدائي تجهيزات المؤسسة ومرافقها المادية أو العنف المدرسي كل ما من شأنه أن يخلف بصماته على الجسد من ضرب أو جرح أو اغتصاب أو مس من قبيل القذف والسب والتهديد والابتزاز والتخريب وهو بذلك إيذاء و ضرر قد يصيب المتعلم أو المعلم بطريقة أو أخرى مادياً.

أشكال العنف:

إن اختلاف الجهة المسؤولة عن العنف أدى إلى تعدد أشكاله، فقد يكون من الأستاذ ضد التلميذ أو العكس أو من التلميذ ضد الجهاز الإداري للمؤسسة التربوية (المدير، مستشار التربية، المساعدون التربويون، العمال، الإداريون) أو من طرف أحد هؤلاء ضد التلميذ أو من التلميذ ضد هياكل المؤسسة كبناء، ومن هنا سنتطرق في هذا المبحث إلى أشكال العنف المسلط على التلميذ من طرف الأستاذ، وأشكال العنف المسلط على الأستاذ من طرف التلميذ.

يقسم عدد من الباحثين أشكال العنف إلى نوعين:

١- عنف من خارج المدرسة: من الغرباء عن الوسط المدرسي ومن الأهالي.

٢- عنف من داخل المدرسة: بين أفراد الأسرة التربوية وعنف ضد ممتلكات وهياكل المؤسسة، وما يهمننا هو العنف الواقع داخل حرم المؤسسة التربوية وهو كما يلي:

أشكال العنف ضد التلميذ:

* **العنف الجسدي:** وهو الذي يعرفه جل الباحثين باستخدام القوة الجسدية بشكل متعمد اتجاه الآخرين من أجل إيذائهم وإلحاق أضرار جسمية لهم، وذلك كوسيلة عقاب غير شرعية مما يؤدي إلى الآلام والأوجاع والمعاناة النفسية جراء تلك الأضرار، ويعرض صحة الطفل للخطر.

^١ - صلاح الدين شروخ : مرجع سابق ، ص ٧٢ .

^٢ - إبراهيم نصار : علم الاجتماع التربوي ، دار الجليل بيروت ومكتبة زائد العلمية ، عمان ، لم يذكر تاريخ النشر ، الأردن ، ص ٧١ .

^٣ - مراد زعيمي : مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

يعتبر العنف الجسدي الأسلوب الأكثر استعمالاً في التربية المدرسية التقليدية عموماً فهو يقوم على علاقة لا مساواة أساسية تجعل التلميذ خاضعاً للمعلم في كل الظروف وممثلاً لسلطته المستمدة من عمله ووظيفته وتقدمه في العمر. وهو أسلوب تخويف للحصول على الطاعة والاستجابة للأوامر الصادرة من سلطة عليا هي المعلم، وذلك في كل الظروف مع وجوب احترام قراراته الأحادية، ولعل وضوح مفهومه لا يدعو إلى وجود تباين واختلافات واضحة، وقد يبرز العنف المدرسي في صورتين أساسيتين إما أن يكون عنفاً فردياً أو عنفاً جماعياً. ومن مظاهره أنه: (عنف حركي يشارك فيه الجسد، ويكون في شكل مظاهر حركية كالضرب والاعتداء والهجوم).¹

ويضيف إليه – جواد دويك -: (الحرق والكي بالنار، الرفس بالأرجل، الخنق، لي أعضاء الجسم، لطمات، ركلات، الدفع العنيف..)²

***العنف النفسي:** إذا العنف الجسدي ظاهراً يمكن اكتشافه بسهولة ويسر، فإن العنف النفسي خطره أعظم أثراً على الوظائف السلوكية والوجدانية والجسدية والذهنية للمتضرر الضعيف أمام من يملك القوة والسيطرة.

ويعرفه الباحثون بأنه يتم من خلال عمل أو الامتناع عن القيام بعمل وهذا وفق مقاييس مجتمعية ومعرفة علمية للضرر النفسي وقد تحدث تلك الأفعال على يد شخص أو مجموعة من الأشخاص الذين يمتلكون القوة والسيطرة لجعل طرف متضرر، ومن أهم مظاهره:

- الازدراء وهو تصرف يجمع بين الرفض والذل، مثل أن المدرس مساعدة الطفل ويرفض الطفل نفسه، أو أن ينادى باسم يحط من قدره.

- التهديد والإيذاء الجسدي للطفل أو التخلي عنه إذا لم يسلك سلوكاً معيناً.

- العزلة كعزل الطفل عن من يحب أو أن يترك مدة طويلة بمفرده أو يمنع من التفاعلات الاجتماعية مع رفاقه.

- الاستغلال والفساد كتشجيع الطفل على العنف والانحراف مثل تعليمه سلوكاً إجرامياً أو تركه مع من يشجعه على التسرب من المدرسة.

- ومن المظاهر الأخرى: البرود العاطفي، الصراخ، الاتهام، عدم الاكتراث، اللامبالاة، رفض وعدم قبول الفرد، فرض الآراء بالقوة وهي كما يظهر: (أفعال لا يشارك فيها الجسد إلا من خلال لأفعال أو حدوث مشاعر الغضب التي تشكل موقفاً عنيفاً وقاسياً، ويكون عادة على شكل شتائم وقذف وتهديد).³

***العنف التواصلي:** و الذي يطلق عليه بعض الباحثين – العنف التربوي-، وهي تلك التأثيرات السلبية لغياب الحوار بين المتعلم (التلميذ) والمعلم، فيصبح الحوار عنف تواصلي، وهو الغالب في المدارس التقليدية التي تتبع أسلوب التلقين والحشو أثناء الفعل التعليمي أو التواصل داخل الوحدة الصفية، إن عدم التعبير عن الأفكار والتي تبقى حبيسة

¹ – كنزاي محمد فوزي: مرجع سابق، ص ٢١٧.

² – جواد دويك: العنف المدرسي، المعهد مرة للعلوم والتكنولوجيا والاستثمار على الانترنت. www.morah.com

³ – كنزاي محمد فوزي: مرجع سابق، ص ٢١٦.

اللاشعور والعقل الباطن، وغياب فرص طرح التصورات والأفكار يعرض المتعلم للكبت ، ولعل مبررات ذلك ضيق الوقت المخصص للمادة الدراسية والكم الهائل من المناهج والمقررات وعدم إلمام الأستاذ بالمحتوى التعليمي للمادة.

* التحرش الجنسي: وهو ما يعرف بالاتصال الجنسي بين طفل وبالغ من أجل إرضاء رغبات جنسية عند الأخير مستخدماً القوة أو عدم نضج الطفل وقلة وعيه لطبيعة العلاقة الجنسية، ويهدف إلى التغيرير بالتلميذ وخدش حياته، ومن أمثلته: كشف الأعضاء التناسلية نزع الملابس، الملاطفة والملامسة الجنسية، التلفظ بألفاظ جنسية سوقية، الاغتصاب.

* الإهمال: عدم تلبية رغبات الطفل الأساسية لفترة زمنية طويلة نسبياً، وقد يكون إهمال مقصود وإهمال غير مقصود .

* التخريب المتعمد للممتلكات: و هو من أشكال العنف الفردي، وينبع غالباً من فشل الطالب وصعوبة مواجهة النظام المدرسي والتأقلم معه.

أشكال العنف ضد الأساتذة: وهنا يكون المتضرر هو الأستاذ أو المعلم، وتبرز من أهم أشكال العنف: اللفظي (الكلام البذيء، الشتم، التهديد، التخويف، النبز بالألقاب...)، والعنف الجسدي (الضرب، التعنيف ، الاعتداء على أطفاله...) والعنف المادي (تحطيم الممتلكات الشخصية للمعلم كالسيارة....). ومن أشكال العنف المسلط على الأساتذة أيضاً ما يتعرضون له من تعنيف من خارج المدرسة على أيدي مجموعة من البالغين سواء كانوا تلاميذ قدامى انقطعوا أو طردوا من الوحدات الصفية ، حيث يأتوا نفي ساعات الدوام أو أثناء الخروج من حرم المؤسسة التعليمية من أجل الإزعاج أو التخريب أو إبراز العضلات ، وإن كان هذا العنف الأخير فردياً، ولكنه قد يصبح جماعياً عندما يجئ الأولياء للمدرسة فيعتدون على الأساتذة ونظم المؤسسة مستخدمين كل أشكال العنف من الجسدي إلى اللفظي.

تأثير العوامل المدرسية:

إن الإبداع هو ابن المهبة والعلم، وحظوظ الأمم من المواهب قليلة ولكن باب العلوم مفتوح يحتاج إلى بيئة تتحقق في خضمها الوثبة الحضارية والإبداعية للأمة. ولعل أهم هذه البيئات هي المدرسة بعد بيئة الأسرة مباشرة .

إن المدرسة في دورها التعليمي والتربوي يمكنها أن تلعب دورها الفعال والمتكامل مع المؤسسات الأخرى في تحقيق الانسجام الاجتماعي وبالتالي تحقيق قوة الدولة¹ ، وحتى تلعب المدرسة هذا الدور الهام والخطير من الضروري تحسين الذات بالقيم الأصيلة وأن تتوفر الحقوق المعنوية والمادية والثقافية للمعلم والمتعلم وحتى للمدرسة كبناء فيزيقي، إن للمدرسة قوة تأثير بالنسبة للفرد وللمجتمع ، فهي المحدد الرئيسي لمستقبل الأمة من خلال: (عملية تفاعل معرفي ووجداني يربط بين الماضي والحاضر وبين الواقع والتطلع وبين الموجود والمنشود أنها أداة المحافظة على كيان الدولة واستمرارها بكل مقوماتها وقيمتها ومثلها ومعتقداتها وتراثها)² إن مفهوم المدرسة يتعدى الحجرة والمنضدة والسبورة وغيرها من أدوات التعليم إلى (حقيقة المدرسة الرسالة التي تحوصل وجودها في بناء شخصية الفرد وتعبيق انتمائه وتزويده بالعلوم والمعارف)³ ، ففي المدرسة نعلم الفرد كيف يتأقلم مع مجتمعه بمعنى أن نعوده النظام وضبط النفس

¹ - محمد الجلاي: مجلة العصر (من أجل منظومة ناجحة) ، العدد ٧ ، السلسلة الرابعة ، ١ ماي ٩٩٧ ، ص ١٧ .

² - حاتم غندير: مجلة العصر (المدرسة والمجتمع جدلية التأثير والتأثير) ، العدد ٧ . السلسلة الرابعة ، ١ ماي ١٩٩٧ ص ٢٠ .

³ - المرجع السابق ، ص ٢٠ .

ومعرفة حدود الحرية الشخصية وحقوق الآخرين¹ إذا كانت التربية عند أرسطو² (٣٨٤-٣٢٢) تهدف إلى إعداد الفرد كما تعد البذرة للغرس ، فهي عملية تنشئة وتطبع فإن الغزالي³ (١٠٩٠-١١١١) يرى أن صناعة التعليم هي أشرف الصناعات وغرضها الفضيلة والتقرب إلى الله، أما إيمانويل كانت⁴ (١٧٢٤-١٨٠٤) فالتربية هي التي تنمي وترقي جميع أوجه الكمال في الفرد، بينما جون جاك روسو⁵ (١٧١٨-١٧٧٨) فيرى أنه ليس على التلميذ أن يتعلم ولكن عليه أن يكتشف الحقائق بنفسه².

فالمدرسة تمارس العديد من الأساليب النفسية والاجتماعية في عملية التنشئة الاجتماعية ومنها خاصة³:

- دعم القيم السائدة في المجتمع بشكل مباشر وصريح في مناهج الدراسة.
 - توجيه النشاط بحيث يؤدي إلى تعليم الأساليب السلوكية الاجتماعية المرغوب فيها وتعلم المعايير الاجتماعية وأدوارها.
 - العمل على فطام الطفل انفعاليا عن الأسرة.
 - تقديم نماذج عن السلوك الاجتماعي السوي.
 - الثواب والعقاب تمارسهما السلطة المدرسية في تعليم القيم والاتجاهات والمعايير والأدوار الاجتماعية.
 - قيام المدرس بدور اجتماعي دائم التأثير في التلميذ.
- ويرى العديد من العلماء أن التربية عملية تكيف لأن أساس البقاء هو التكيف أي القدرة على الملائمة بين الظروف الجسدية والنفسية وبين الظروف الخارجية، فالحياة تقوم ما دام التكيف قائما⁴.
- فالتربية بهذا المعنى عملية تكيف وتفاعل بين الإنسان ومحيطه بحيث يكون الفرد فاعلا ومنفعلا، محاولا أن يقدم للتراث الإنساني شيئا جديدا، فالتربية تهدف إلى تطوير طاقات الفرد الجسدية والعقلية والنفسية ضمن الظروف الملائمة⁵، وهي تتم داخل الأسرة وفي المدرسة وفي المجتمع الواسع.

الممارسات التربوية الخاطئة :

تمارس المدرسة - عن قصد أو عن غير قصد- ممارسات خاطئة في تعليم وتربية النشء (وإن هذا التوجه يحمل المسؤولية للمدرسة من ناحية خلق المشكلة وطبعا من ناحية ضرورة التصدي لها ووضع الخطط لمواجهتها والحد منها، فيشار إلى أن آثار نظام المدرسة بكامله من طاقم المعلمين والمختصين والإدارة في علاقات متوترة طوال الوقت وما يؤكد ذلك أن - هوربتس - استنتج من بحثه أن السلوكيات العنيفة هي نتاج المدرسة⁶ و يمكن ذكر بعض الأساليب التربوية الخاطئة التي تمارس في المؤسسات التربوية :

¹ - يحي محمد نبهان : مرجع سابق ، ص ١٧٦ .

² - عبد الله الرشدان ونعيم جعيني: المدخل إلى التربية والتعليم، دار الشروق للنشر والتوزيع ، لم يذكر تاريخ النشر، عمان، الأردن، ص ١٢ .

³ - عبد الحافظ سلامة : علم النفس الاجتماعي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، ٢٠٠٧، ص ٥٠-٥١ .

⁴ - إيلين دمعة صعب : التربية والتعليم والعنف المدرسي، مركز الدراسات أمان، عمان، الأردن، ٢٠٠٤ ، ص ٢ .

⁵ - إيلين دمعة صعب : مرجع سابق ، ص ٣ .

⁶ - يحي محمد نبهان : مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

- الانعزالية: وهذا حال المدرسة التقليدية حيث نفسها عن المحيط الاجتماعي فتتوقع عن ذاتها.
- الرجعية: وهي التمسك بما هو عليه القديم ورفض الجديد خاصة عند بعض المعلمين والمديرين، فكل قديم مفيد نافع وكل جديد غازي ضار.
- التركيز على مستقبل التلميذ دون النظر إلى حاضره ومستقبله متناسين أن الحاضر غرس الماضي والمستقبل جني الحاضر أي عدم الانطلاق من حاجات وميولات الطفل.
- عدم إدراك أن للطفل غرائز وحاجات نفسية لا بد أن تنشط وتشجع بدل أن تثبط وتزهده، وله دوافع فطرية لا بد أن تشبع.
- عدم إدراك الخصوصية والفروق الفردية لدى المراهقين خاصة من النواحي العقلية والجسدية والمزاجية حتى ضمن العائلة الواحدة. وهذه الفروق تتجلى في الاستعدادات والقدرات والسمات والذكاء والانتباه والإدراك والتذكر والنسيان. ويمكن أن نذكر أيضا:

١- البناء الفيزيقي للمؤسسة التربوية: حيث أن عدم وجود مساحات خضراء وقاعات واسعة رحبة ، وبناء هندسي غير ملائم يؤدي إلى تنامي العنف.

٢- الفشل الدراسي : يرى معظم رجال التربية أن من أهم أسباب العنف المدرسي الإخفاق الدراسي (الرسوب)، يرى العديد من الباحثين منهم- هوير- الذي وجد في بحثه أن نسبة ٦٥% من مجرمي الأحداث لم يوفقوا في دراستهم ونفس النتيجة تقريبا يؤكدها بحث قام به - بينا طيل-، ومن أسباب الفشل يذكر العلماء ضعف المستوى الذهني والكسل، ويفسر العالم - كلوك- سبب الإخفاق الدراسي بالعقوبات التي كان يتعرض لها التلاميذ من معلمهم بسبب التأخر عن المواعيد والعناد وسوء الانضباط!

٣- رئيس المؤسسة: حيث ترى - ايلين دمعة صعب- أن ضعف شخصية رئيس المؤسسة التربوية، وعدم قدرته على التسيير الحسن وعدم الانسجام في الأداء التربوي والإداري تجعل العلاقة بين الفاعلين التربويين غير منسجمة وغير متوازنة مما يخل بالعملية التعليمية² ، كما أن التسيير الاستبدادي للمؤسسة التربوية يولد ممارسات نفاقية مبنية على التكلف والمراوغة وفي كثير من الحالات متسمة بالعنف. وقد أكدت دراسة³ - كيرت ليفن - سنة ١٩٣ حول تأثير الأنماط المختلفة من القيادة على جو الفصل الدراسي، حيث وجد أنها ذات أهمية كبيرة في مجال التنشئة الاجتماعية ن ففي هذه الدراسة تم تقسيم عدد من الأطفال الذكور ممن تتراوح أعمارهم حول سن السنوات العشر إلى مجموعات، كل مجموعة مكونة من خمسة أفراد وذلك في أندية النشاط التربوي ووزعوا على عدد من القادة، كلف كل قائد بأن يتبع في تعامله مع هؤلاء الصبية أحد الأنماط القيادية التالية: نمط ديكتاتوري تسلطي- نمط ديمقراطي- نمط الحرية المطلقة أو التسامح المطلق، وقد أسفرت النتائج على أن النمط الديمقراطي أفضل من النمطين الآخرين حيث كان الصبية أكثر إنتاجا حتى في غيبة القائد وأكثر سعادة مع بعضهم البعض ومع قائدهم وأقل عدوانية، بينما التحرر المطلق أدى إلى

١- دروسمكي: الموجز في علم الإجرام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، لم يذكر تاريخ النشر، ص ١٩٦ .

٢- ايلين دمعة صعب : مرجع سابق ٨ .

٣- عبد الرحمن العيسوي : سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ط١، دار الفكر العربي - بيروت - لبنان، ٢٠٠٥، ص ١٢ .

حالة من الفوضى وعدم النظام وزيادة الملل وأقل كفاءة وأكثر ميلا إلى الشجار، أما أطفال المدرسة الاستبدادية فكانوا أكثر سلبية وتمردا وعصيانا وعدوانية في تفاعلهم الجماعي وأقل إنتاجا في غيبة القائد.

٣- المعلم: يرى - عمر بشير طويبي^١ - أن مسؤولية العنف تقع بالدرجة الأولى على المعلم الذي يتطلب إعداده واختياره إعادة نظر، حيث أصبح من الضروري ترجمة الشروط الموضوعية لاختيار معلمي المستقبل بكليات إعداد المعلم بمختلف أنماطها إلى آليات عمل حقيقية مع إعادة صياغة المحتويات الدراسية، بالإضافة إلى ممارسة أساليب تربوية غير سليمة كعدم تقدير التلميذ والنظر إليه كإنسان، والتركيز على جوانب الضعف لدى التلميذ والمبالغة في انتقاده وتعنيفه، وقلة الاهتمام بالتلميذ مما يؤدي به إلى ممارسة العنف للفت الانتباه، وبعد المسافة بين المعلم والمتعلم والخوف من سلطته مما يحول دون محاورته أو مناقشته، بالإضافة إلى أساليب التلقين التقليدية التي يعتمدها المربون والتي تعيق التواصل ولا تلي حاجيات التلميذ، ويرى - عمر بشير طويبي^٢ - فمن الممارسات التي يلجأ إليها المعلم وتزيد في منحى العنف المدرسي نذكر: سيطرة لغة التهديد والوعيد على لغة الحوار، التغيب المتكرر مما يقلل من فرص متابعة المناهج الدراسية وبالتالي الرسوب - الدروس الخصوصية التي تعتبر وسيلة ضغط تمارس لجلب التلاميذ لتعاطيها - عدم توجيه العقاب لأصحاب النفوذ مما يخلق نزعة الحقد والكراهية والرغبة في الانتقام لدى الآخرين.

٤- العلاقات المدرسية: يقصد بها كل السلوكيات المدرسية والتفاعل بين الفاعلين التربويين في الوسط المدرسي، ومن أهم هذه المظاهر ما أبرز العديد من الباحثين:

- العلاقات المتوترة وكثرة التغيرات: وتتمثل خاصة التغيير المستمر للسلطة المدرسية لأن التغيير يحدث طريقة عمل جديدة يصعب تقبلها مما يؤدي على التمرد والمقاومة، واستبدال معلم بأخر مما يؤدي إلى تغيير أساليب التدريس وغالبا ما يؤدي كذلك إلى الرفض من قبل المتعلمين، صدور قرارات تخص المتعلم دون أن يكون له الحق في المشاركة في اتخاذها، كما أن ضعف الاتصال أو انعدامه بين الفريق التربوي والإداري والتلاميذ من شأنه إحداث القطيعة بين مختلف الفاعلين داخل الوسط المدرسي.

- المناخ التربوي العام للمؤسسة: ويتمثل في عدم وضوح القوانين والمعايير المعتمدة في المؤسسة التعليمية، واكتظاظ التلاميذ في الوحدات الصفية، النظرة التقليدية للمفاهيم والأساليب التربوية من طرف كل الفاعلين التربويين باعتبار أن استخدام العنف والقسوة هي من أساليب التربية الناجحة.

بالإضافة إلى عوامل أخرى نذكر منها: الاعتماد في التقييم العام للتلاميذ على معايير أخرى كالمركز الاجتماعي للوالدين وأصحاب النفوذ بدل مقاييس الكفاءة والقدرة لدى المتعلمين، وسعة المؤسسة التعليمية مقارنة مع مواردها البشرية مما يصعب من مهمة مراقبة التلاميذ وملاحظة سلوكياتهم، وسهولة الاتصال بين المراهقين وذلك راجع على التدفق الإعلامي والتطور التكنولوجي

^١ - عمر بشير طويبي: التدريس والصحة النفسية للتلميذ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصرية، ليبيا، ١٩٩٢، ص ٧ .

^٢ - المرجع السابق، ص ٤٢ .

كما يرى - رشدي شحاتة أبو زيد¹ - أن هناك عدة عوامل مرتبطة بالمدرسة والجو المدرسي السائد وبيئة الفصل ومعاملة المدرسين وغمارة المدرسة والعلاقات داخل المؤسسة تؤدي إلى العنف وعدم اندماج التلميذ وتوافقته مع بيئة المدرسة ويذكر من تلك العوامل :

- حرمان التلميذ من الحياة الاجتماعية داخل المدرسة مما يعوق نموه ويسهم في نفوره منها وشعوره بالملل وتعطل نموه الدراسي خاصة أمام عدم ملائمة المناهج الدراسية للمراحل العمرية للتلميذ وغلبة أسلوب التلقين - عدم الاهتمام بالأنشطة الرياضية لعدم توفر أماكن ممارستها أو عدم توفر المعلم الكفاء مما لا يتيح للطفل الفرصة لتفريغ طاقاته مما يسهم في كرهه ونفوره من المدرسة .

- ضعف اللوائح المدرسية الحالية للتعامل بحزم مع ظواهر العنف والانحراف.

- غياب القدوة والتربية والتوعية في المدرسة- التأثير على اتجاهات التلميذ بسبب غياب الحوار وضغط جماعات السوء ووجود الصراع النفسي.

- عدم توفر الموجهين النفسانيين والاجتماعيين في المدارس مما يؤدي على إهمال المدرسين في مواجهة مشكلات التلاميذ.

قائمة الواجع :

- 1- مراد زعيبي : مؤسسات التنشئة الاجتماعية ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، الجزائر ، ٢٠٠٢ .
- 2- صلاح الدين شروخ: علم الاجتماع التربوي ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، عنابة ، الجزائر ، ٢٠٠٤ .
- 3- هشام شرابي: النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي تر: محمود شريح ، ط ٤ ، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران، الجزائر، ٢٠٠٢ .
- 4- علي سموك: إشكالية العنف في المجتمع الجزائري من أجل مقارنة سوسيولوجية، ط ١ ، جامعة عنابة الجزائر . ٢٠٠٦ .
- 5- سامي محمد نصار: قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة مصر ، ٢٠٠٢ .
- 6- يحي محمد نيهان: الأساليب التربوية الخاطئة وأثرها في تنشئة الطفل ، دار اليازوري ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٨ .
- 7- علي بن هدفة وآخرون : القاموس الجديد للطلاب ، ط ١ ، تونس ، ١٩٧٩ .
- 8- المعتمد : " قاموس عربي .عربي " دار صادر ، طبعة ٢٠٠٠ ، بيروت ، لبنان .
- ١٠- كنزاي محمد فوزي ، مورفولوجيا العنف المدرسي : العوامل والتجليات / من سلسلة دراسات اجتماعية: مشكلات وقضايا المجتمع في عالم متغير ، ٢٠٠٧ ، الجزائر .
- ١١- هشام طلحة : العنف في الوسط المدرسي - الدلائل والحلول المتوخاة ، من موقع www. Seha. Com .

¹ - رشدي شحاتة أبو زيد: العنف ضد المرأة وكيفية مواجهته، ط ١ ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٨، ص ٦٤ - ٦٥ .

- ١٢- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي: **المجتمع والعنف** ، تر: إلياس الزحلاوي ، دمشق ، ١٩٧٥.
- ١٣- إبراهيم نصار: **علم الاجتماع التربوي** ، دار الجيل بيروت ومكتبة زائد العلمية ، لم يذكر تاريخ النشر ، عمان ، الأردن.
- ١٤- جواد دويك: **العنف المدرسي** ، المعهد مرة للعلوم والتكنولوجيا والاستثمار على الانترنت. www.morah.com
- ١٥- محمد الجلاي: **مجلة العصر (من اجل منظومة ناجحة)** ، العدد ٧ ، السلسلة الرابعة ، ١ ماي ١٩٩٧.
- ١٦- حاتمغندي: **مجلة العصر (المدرسة والمجتمع جدلية التأثير والتأثير)** ، العدد ٧ . السلسلة الرابعة ، ١ ماي ١٩٩٧.
- ١٧- عبد الله الرشدان ونعيم جعيني: **المدخل إلى التربية والتعليم** ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، لم يذكر تاريخ النشر ، عمان ، الأردن.
- ١٨- إيلين دمة صعب: **التربية والتعليم والعنف المدرسي** ، مركز الدراسات أمان ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٤.
- ١٩- دردوس ملتي: **الموجز في علم الإجرام** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، لم يذكر تاريخ النشر ، الجزائر.
- ٢٠- عبد الرحمن العيسوي: **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية** ، ط ١ ، دار الفكر العربي – بيروت – لبنان ، ٢٠٠٥.
- ٢١- عمر بشير طويبي: **التدريس والصحة النفسية للتلميذ** ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، مصراتة ، ليبيا ، ١٩٩٢.
- ٢٢- رشدي شحاتة أبو زيد: **العنف ضد المرأة وكيفية مواجهته** ، ط ١ ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، ٢٠٠٨.
- ٢٣- عبد الحافظ سلامة: **علم النفس الاجتماعي** ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٧.
- ٢٤- Larousse, **Dictionnaire de poche** ,librairie Larousse ,paris ,1979

أثر البرنامج العلاجي النفسي الجماعي في الامتناع عن الإدمان على المخدرات عند المراهق المتمدرس

أ. شيهان عبد المالك/جامعة وهران، الجزائر

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تصميم برنامج علاجي نفسي جماعي سلوكي في الامتناع وخفض أعراض الإدمان على المخدرات، لدى المراهقين المدمنين المتمدرسين، وتبرز إشكالية هذه الدراسة في التساؤل التالي: ما أثر البرنامج العلاجي النفسي الجماعي في الامتناع عن تعاطي المخدرات، عند المراهقين المدمنين المتمدرسين؟

تألفت حالات الدراسة من الأفراد المراهقين المدمنين على الحشيش والمواد ذات التأثير النفسي، من رواد المركز الوسيط لعلاج الإدمان بولاية الشلف، وتكونت حالات الدراسة من سبعة (٥) أفراد من المدمنين؛ وهم الأفراد المتواجدون في المركز أثناء فترة إجراء الدراسة. وقد اهتمت الدراسة بمعرفة أثر البرنامج العلاجي النفسي الجماعي كمتغير مستقل، والامتناع عن التعاطي كمتغير تابع، ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام قائمة تشخيص الاعتماد على المواد المخدرة وسوء الاستخدام (DSM/IV) كتطبيق قبلي وبعدي لتحديد مستوى الامتناع في أعراض الإدمان.

ولأغراض الدراسة تم استخدام المنهج العيادي بأدواته المختلفة، (دراسة الحالة، والمقابلة العيادية، والملاحظة العيادية)، حيث خضعت حالات الدراسة للتدريب على البرنامج العلاجي الجماعي، وقد استغرقت نحو شهرين بواقع جلستين كل أسبوع، ومدة كل جلسة ساعتان تقريبا في اثنتي عشرة (١٢) جلسة علاجية، من الفترة الممتدة بين ٢٠١٥/٥/٢٠ و ٢٠١٥/٦/٢٠، وشهرين للمتابعة يتم فيها التطبيق التتابعي للقائمة التشخيصية.

وكان من أهم نتائج البرنامج العلاجي النفسي الجماعي سلوكي، أن له تأثيرا فعالا لدى معظم الحالات السبعة (٧) في مساعدتهم على الامتناع عن التعاطي، وانخفاض مستوى الاعراض الإدمانية والانسحابية لديهم، وتجنبيهم الانتكاسة. فالزيادة المتدرجة بالتحسن كانت ملحوظة أثناء وبعد الجلسات العلاجية الجماعية. ويشير هذا إلى تأثير البرنامج الذي تم تطبيقه في تخفيض سلوك الإدمان لدى حالات جماعة من المراهقين، حيث عمل البرنامج على زيادة امتناع المدمنين عن المخدرات، و اقناعهم بعدم فائدتها.

الكلمات المفتاحية: البرنامج العلاجي النفسي الجماعي، الامتناع عن الادمان، المخدرات، المراهق المتمدرس.

مقدمة:

إن الإدمان على ما فيه من سلبية فهو ظاهرة جماعية بشكل أو بآخر، وسواء تعاطى المدمن المادة منفردا أم في جماعة، فإن السلوك الإدماني يجذب أفراد هذه الفئة بعضهم إلى بعض، سواء رجع ذلك إلى تماثل في الصفات قبل التورط، أو إلى طريقة الحصول على المواد، أو أماكن التعاطي والمشاركة في التجربة، أو فرص التجمع في مراكز العلاج، كل ذلك يخلق منهم جماعة خاصة بالضرورة، ومن هذا المنطلق فإن معظم برامج العلاج والتأهيل تتم في جماعة، ويعد العلاج النفسي الجماعي من بين أهم الوسائل الحديثة لعلاج المدمن على المخدرات.

١ - الإشكالية: نتيجة لمرحلة النمو السريع التي يشهدها المجتمع سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو العمرانية، نجد كثيرا من شبابنا -وحتى الأطفال والمراهقين- أصبحوا هدفا سهلا للوقوع في تعاطي المواد المخدرة. وتعد الجزائر من بين الدول التي تعرف ارتفاعا في معدلات الترويج والاستهلاك للمخدرات، حيث أوضحت التقارير الصادرة عن الديوان الوطني لمكافحة المخدرات، ارتفاعا في عدد المستهلكين سنويا، أضف إلى ذلك انخفاض سن المستهلك للمخدرات؛ فقبل سنوات لم يكن يقل عن ٢٩ سنة، وفي الخمس (٠٩) سنوات الأخيرة تم تسجيل أقل من ذلك، حيث أن هناك حالات لا يقل سنها عن ١٣ سنة، وخاصة في الأوساط المدرسية التي تنتهي إلى فئة المراهقين.¹

وفي هذا الإطار أولت الدولة اهتماما كبيرا لفئة المدمنين الذين وقعوا ضحية الإدمان على المخدرات، حيث قامت بإنشاء مراكز للعلاج، خاصة لعلاج الإدمان، في أغلب ولايات التراب الوطني ذات التجمع السكاني الكبير، أطلق عليها اسم - المركز الوسيط لعلاج الإدمان - التابعة لوزارة الصحة والسكان، بهدف العلاج الطبي والنفسي والوقاية من الانتكاسة لدى مدمني المخدرات.

يثير علاج الإدمان العديد من القضايا والإشكالات، لعل أهمها كثرة الانتكاسات بعد المرور بالخبرة العلاجية، إضافة إلى وجود العديد من المفاهيم الخاطئة التي تسود الساحة العلاجية؛ منها مثلا أن تطهير الجسم من الأعراض الانسحابية يقود إلى التعاطي، وهنا يؤكد "وكلر" Wiklar وآخرون على تكرار حدوث الانتكاسات عقب الخروج من المؤسسات العلاجية التي يتم فيها تحرر المتعاطي من المخدر لفترة أو لأخرى، ناهيك عن أن الرغبة في التعاطي تظل رغبة قهرية، تدفع المتعاطين إلى الانتكاس، خاصة مع توفر المثبرات كالأقران، ورائحة المخدر، وأماكن التعاطي، وأدوات التعاطي.²

ومن ثمة أصبحت المشكلة بحاجة إلى علاج نفسي فعال، نظرا لكل هذه التحولات التي تمت في السنوات الأخيرة، من حيث ازدياد عدد المتعاطين، وتعدد أنواع المخدرات المستخدمة وانتشارها بين فئات لم تكن قد انتشرت بينها من قبل، خاصة فئة المراهقين، وفتح مراكز جديدة للعلاج، ولأن العلاج الطبي وحده لا يقوم بإشباع احتياجات المدمن النفسية الداخلية، فإنه لا بد من إدراج العلاج النفسي ضمن دائرة المعالجة النفسية المتكاملة، إذ أصبحت الحاجة تدعو إلى إجراء دراسات، ووضع برامج علاجية نفسية حديثة، قصد محاولة التعامل مع المدمن علاجيا، وصولا إلى مرحلة الشفاء التام، مع استبعاد أي نسب عالية في الانتكاسة، أو العودة للتعاطي.

¹ - دولامية بويددي، واقع تعاطي المخدرات في المجتمع الجزائري، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد (٠٣)، ٢٠١٢، ص ٤٣.

² - غانم محمد حسن، العلاج النفسي الجماعي بين النظرية والتطبيق، مصر، ٢٠٠٣، ص ١٨٩.

لذا فإن إخضاع مدمني المخدرات من المراهقين ضمن برنامج علاجي نفسي جماعي سيؤدي إلى تعدد الزوايا والقنوات التي يستطيع المراهق المدمن المتمدرس من خلالها الحكم على الأمور، وتقييمها بطرق صحيحة، نتيجة للتغيرات التي تحدث في شخصيته عن طريق تحسين نظرته لنفسه وللآخرين.

وعلى ضوء ذلك، تنحصر مشكلة الدراسة في التساؤل التالي:

٢- ما أثر البرنامج العلاجي النفسي الجماعي في الامتناع عن تعاطي المخدرات عند المراهقين المدمنين المتمدرسين؟

وبناء على هذا التساؤل كانت فرضية الدراسة كالتالي:

- يؤثر البرنامج العلاجي النفسي الجماعي في مساعدة المدمنين على الامتناع عن تعاطي المخدرات عند المراهقين.

٢- أهداف الدراسة: تحاول الدراسة الحالية أن تبين بوضوح مدى فاعلية العلاج النفسي الجماعي في علاج حالات من المدمنين المراهقين المتمدرسين في إحدى المراكز العلاجية. ويمكن باختصار إيجاز أهداف الدراسة كما يلي:

١. التعرف على تأثير البرنامج العلاجي النفسي الجماعي في التقليل من حدة الإدمان، والتخفيف من أعراضه، عند عينة البحث من مدمني المخدرات المراهقين المتمدرسين.

٢. تعليم مرضى الإدمان من المراهقين بعض التقنيات من مهارات وأساليب في الفهم والتفسير والتحاور، تجعلهم قادرين على مواجهة ردود الفعل النفسية لهذا المرض، واختبار مدى أثر هذه التقنيات العلاجية النفسية الجماعية في التحكم عند انتكاسته.

٣. تبصير المدمن المراهق بحالته قبل العلاج؛ ليتسنى له إدراك أثر البرنامج العلاجي النفسي وتطبيقه.

٣- أهمية الدراسة: تكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال الموضوع الذي تتصدى لدراسته؛ وهو الكشف عن الإدمان على المخدرات لدى المراهق المتمدرس، وفحص تأثير البرنامج العلاجي النفسي الجماعي المصمم لعلاج الإدمان، ويتجلى ذلك من خلال:

١. إن العلاج النفسي الجماعي حديث الرثاء، وتطبيقاته في الجمهورية الجزائرية في مجال معالجة الإدمان، لا يزال ضمن حدود ضيقة، حيث أن كل الممارسات العلاجية سواء في المستشفيات النفسية العامة، أو العيادات الخاصة، أو مراكز علاج الإدمان، تقوم على أساس جهود فردية لا تحظى بالاهتمام من قبل الممارسين والبلحنيين، بحيث تسمح تلك الممارسات بإجراء البحوث العيادية.

٢. إن هذه الدراسة ستؤدي إلى تشجيع تطبيق البرامج العلاجية النفسية الجماعية في معالجة الاعتماد على المواد المخدرة، وجميع الاضطرابات النفسية، حتى لا تحدث لهم انتكاسة، وهم منتظمين في برامجهم العلاجية، وبهذا جعله في رأس قائمة الأساليب العلاجية الفاعلة في حالات الإدمان.

٣. إن هذه الدراسة تتبنى منهج دراسة الحالة الذي تقوم عليه معظم الدراسات العيادية، ويمكن قياسه وملاحظته والتأكد من نتائجه.

٤. تساعد الدراسة الحالية - في حال نجاحها - المعالجين النفسيين على تقويم أداء أعمالهم بكفاءة وعلم، وفق إطار منهجي عيادي، بدلا من المحاولات العشوائية الارتجالية. كما يمكن لهذه الدراسة أن تتوصل إلى مقترحات تساعد الديوان

الوطني لمكافحة المخدرات، بالاشتراك مع وزارة الصحة والسكان، في بناء استراتيجية وطنية للوقاية والعلاج الجماعي من الاعتماد على المواد المخدرة، لهذه الفئة المهمة في المجتمع: ألا وهي فئة المراهقين، وبالتالي التوصية باستخدامها، وتفعيلها، وإدراجها ضمن الأنشطة العلاجية في مراكز علاج الإدمان.

٥- تتناول الدراسة علاج الإدمان على المواد المخدرة، كونه من أكثر الآفات انتشارا وخطرا على الفرد والمجتمع، والمصنف علميا ضمن اضطرابات التعاطي والإدمان، مع إلقاء الضوء على شريحة هامة في بناء المجتمع وهم المراهقون، والتعرف على خصائصهم النفسية، بهدف الوصول إلى صورة واضحة للعوامل التي تدفع تلك الحالات إلى الاتجاه نحو تعاطي المواد النفسية.

٤- التحديد الإجرائي لمتغيرات الدراسة:

أ. الإدمان على المخدرات: يعرف الإدمان على المخدرات في هذه الدراسة بأنه حالة من الاعتماد النفسي والجسمي، ناتجة عن تفاعل المراهق مع المادة المخدرة (الحشيش- والعقاقير)، وتؤدي إلى استخدام قهري لهذه المادة المخدرة بصورة دورية أو متصلة، وينتج عنها آثار سلوكية ونفسية وعقلية واجتماعية، ويشعر برغبة ملحة وقهرية للعقار يضطره إلى أن يزيد الجرعة، حتى يحصل على نفس التأثير، ويعاني المدمن من أعراض تسمى أعراض الانسحاب.

ب. البرنامج العلاجي النفسي الجماعي: هو برنامج مخطط ومنظم، يستند إلى مبادئ وفنيات محددة، تتعلق بالجوانب المعرفية والسلوكية والانفعالية عند المراهقين المدمنين على المواد المخدرة، الذين تتشابه مشكلاتهم واضطراباتهم معا، وذلك طبقا للبرنامج والجلسات العلاجية، ويتضمن هذا البرنامج القيام بمجموعة من الأنشطة والعمليات المقصودة، عن طريق التفاعل الاجتماعي، مع المجموعة حالات الدراسة، وبعض المناشط التي يتم تدريبهم عليها، ويتعلمون أنماطا جديدة من السلوك، أو التخفيف من الأعراض المرضية، وإكسابهم خبرة علاجية مفيدة، والعمل على منع حدوث الانتكاسة بعد انتهاء البرنامج العلاجي. ويختبر أثر البرنامج من خلال تطبيق تقويم أثره الذي يهتم بفحص ما إذا كان البرنامج سببا في إحداث تغيرات في الاتجاه المطلوب، لتخفيف أعراض الإدمان لدى المراهقين المدمنين، ومساعدتهم على الامتناع عن تعاطي المخدرات.

ج. الامتناع عن الإدمان: هو التوقف عن تعاطي المخدرات برغبة وإرادة في التعافي والعلاج والتخلص من الإدمان.

ويعرف الإقلاع عن الإدمان إجرائيا، بأنه: عبارة عن استجابة يقوم بها الفرد، من خلال برنامج علاجي، ووجود أثر بين القياس القبلي والبعدي.

د. المراهقون المتمدرسون: هم الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ سنة و١٩ سنة، الخاضعين لتلقي العلاج الطبي والنفسي، بالمركز الوسيط لعلاج الإدمان على المواد المخدرة أثناء فترة الدراسة بولاية الشلف، وهم من مستخدمي نوعين فأكثر من أنواع المخدرات ويزاولون الدراسة.

٥- أدوات ومنهج الدراسة: لما كانت هذه الدراسة تتعلق بظاهرة الإدمان على المخدرات وعلاجها، ولصعوبة إجراء وضبط أجواء تجريبية أو شبه تجريبية بأعداد يتيسر من خلالها المعالجة الإحصائية المناسبة (فئة المراهقين الراغبين في العلاج)، ولما للموقف الإكلينيكي من صفة تشابك المتغيرات والعلاقات به، إلى الحد الذي يجعل المعالجة التجريبية أمرا صعبا في غالب الأحوال، فقد شارك الطالب نفس الرؤية التي وجدها الباحثون من قبل؛ في أن دراسة أمثلة قليلة تؤدي إلى

استبصارات قد لا تصل إليها دراسة أعداد كبيرة، ومن هنا رأى الطالب أيضا ملاءمة المنهج الإكلينيكي ومناسبته لجوانب دراسته: باعتباره مركزا على الفرد، ويهدف إلى التوصل إلى فروض، أو الحكم عليها بواسطة فنيات العمل الإكلينيكي المتمثلة في:

أ- دراسة الحالة: تعتمد دراسة الحالة في إطار المنهج الإكلينيكي على حالات إدمان المخدرات عند المراهقين في الدراسة الحالية، نظرا لصغر حجم عينة الإدمان عند هذه الفئة الراغبة في العلاج، كما أن هذه العينة -لكي يتم علاجها أو تخفيف الأعراض الإدمانية لديها- تتطلب دراسة مستفيضة ومتعمقة، حول ماضي أفراد العينة وحاضرهم، وما يمكن التنبؤ به من خلال مشروعات في مستقبلهم، ولا يمكن القيام بذلك إلا من خلال دراسة الحالة في إطارها الإكلينيكي. وقد قامت دراسة الحالة عند الطالب على استخدام ما يسمى بـ(تصميمات بحث الحالة الواحدة)، على حالات الإدمان على المخدرات في الدراسة.

ب- المقابلة العيادية: اعتمدنا في دراستنا على المقابلة العيادية كأداة رئيسية ملائمة، لما لها من أهمية في تحقيق الأهداف التالية:

١/ جمع البيانات: من خلال المقابلة استطعنا الحصول على المعلومات اللازمة لغرض العلاج النفسي، وتقويم الأعراض المرضية، وانطلاقا من هذا التقويم اخترنا الأساليب العلاجية الملائمة، وقد أجريت المقابلات مع الطالب (أخصائي نفسي بالمركز)، وطبيب الأمراض العقلية.

٢/ تطبيق العلاج: حيث تم الاعتماد على الأنواع التالية من المقابلة عند تطبيق العلاج النفسي:

- المقابلة الحرة: وقد تم استخدامها في أول مراحل العلاج بهدف تقويم مشكلات الحالة وتثبيتها نفسيا لتقبل العلاج النفسي.

- المقابلة نصف الموجهة: تم استخدامها خلال المراحل اللاحقة من العلاج بهدف تطبيق التقنيات العلاجية التي تم انتقاؤها، وقد تمت المقابلة في دراستنا مع الحالة، ومع بعض أفراد الأسرة.

ج- الملاحظة العيادية:

من أهم العناصر التي لوحظت في الدراسة الحالية عن طريق الطالب: طريقة الحديث، والعلاقة بالمرضى الآخرين والمشرفين، والمظهر الخارجي، والرغبة في مغادرة المركز، ودافعية المدمن نحو العلاج، والسلوك الشخصي داخل الجناح، وفي المقابلات الجماعية، والنشاط اليومي، والسمات النفسية والاجتماعية.

د- قائمة تشخيص سوء الاستخدام والاعتماد على المواد المخدرة: بناء على الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع للاضطرابات النفسية DSM-IV تعتبر هذه القائمة أساسية في تشخيص الاعتماد على المواد المخدرة من الجمعية الأمريكية للطب النفسي.

هـ- مسار البرنامج العلاجي النفسي الجماعي: يعتبر البرنامج العلاجي النفسي الجماعي المعد خصيصا في هذه الدراسة، الجانب التطبيقي لها؛ حيث تم صممه الطالب على أساس استخدامه مع الحالات السبعة (٥)، المنتقاة بشكل عشوائي

من بعض مدمني المخدرات من المراهقين رواد المركز الوسيط لعلاج الادمان بمدينة الشلف، من الذين يعانون من أعراض الادمان على الكيف والمواد النفسية التأثير.

وقد تم استخدام برنامج العلاج النفسي الجماعي المنتهي للمدرسة السلوكية المعرفية؛ الذي يدعو إلى تغيير السلوكيات الادمانية والأفكار السلبية لدى المدمن، وذلك من خلال تبصيره بمرضه وسلوكياته التي تؤثر عليه.

١- الهدف من البرنامج: يهدف البرنامج الحالي إلى التعرف على أثر برنامج علاجي نفسي جماعي في علاج الادمان، وفي الوقاية من الانتكاس، من خلال العمل على تحقيق ما يلي:

١-١ تقوية الدافعية العلاجية لدى المريض، وكيفية الحفاظ على التفاعل وتماسك الجماعة العلاجية.

٢-١ تعليم المدمن كيفية منع الانتكاسة؛ من خلال المهارات الاجتماعية التي يكتسبها من البرنامج.

٣-١ تحسين وتنمية المهارات الاجتماعية، وتشجيع المدمن على المشاركة الفكرية في حل المشكلات، وتعديل أنماط التفكير السلبية المرتبطة بالإدمان على المخدرات.

٤-١ التدريب على أسلوب حياة أكثر صحة، بعيدا عن الانغماس في الإدمان.

٥-١ تدريبه على كيفية تحمل المسؤولية؛ وذلك من خلال معرفة وحساب درجة المسؤولية الملقاة على عاتق المتعالج نفسه، وفق كل حدث قد يواجهه، أو هدف يسعى إليه.

٦-١ المساعدة على الامتناع عن التعاطي لحالات الدراسة من المراهقين، لما لهما من أثر في تغيير نمط حياة الأفراد، وإيجاد طرق جديدة للحياة بدون مخدرات.

٧-١ مساعدة المدمنين على الشعور بأنهم قادرين على العيش، وعلى تقبل الآخرين لهم، دون اللجوء إلى المخدرات.

٨-١ التخلص من المشكلات النفسية التي تؤدي إلى تعاطي المخدرات والإدمان عليها.

٩-١ مساعدة المدمن على تجنب الانتكاسة؛ من خلال المهارات الاجتماعية التي يكتسبها من البرنامج، وتطوير مفهوم الذات لديه.

١٠-١ مساعدة المدمنين على تكوين أسلوب جديد للتفاعل مع الآخرين، من خلال المهارات التي تعلموها.

٢- الفنيات والأساليب المستخدمة في البرنامج العلاجي:

- الحوارات المتبادلة (يثير الطالب الحوار بين اثنين من المتعالجين لتوضيح فكرة معينة).

- المناقشات الجماعية (تطرح فكرة للنقاش، وتعطى فرصة لكل حالة للتعليق وإبداء الرأي، لمدة لا تتجاوز دقيقتين، ومن ثمة التعليق وتحليل الآراء).

- لعب الأدوار (يقوم الطالب بدور المتعالج؛ بحيث نعلمه كيفية مواجهة الأمور والتعامل معها).

- الاسترخاء النفسي.

- الواجب المنزلي.

- مهارة حل المشكلات، ومهارات الاتصال.

- التدريب على مهارة رفض المخدرات والعقاقير (منع الانتكاسة).

- التدريب على مهارات قضاء وقت الفراغ.

- التدريب على مهارة البحث عن عمل.

٣- الحدود الإجرائية للبرنامج:

١٣ الحدود الزمانية: لقد اتضح للطالب-من خلال الأطر النظرية والدراسات السابقة التي تناولت العلاج النفسي الجماعي- أن أفضل زمن للجلسة هو ساعة ونصف ساعة؛ إذ أن الجلسات التي تمتد لتتجاوز ساعتين تؤدي إلى نوع من الملل والرتابة والتعب، سواء أكان ذلك بالنسبة للمعالج، أم بالنسبة للمرضى، كما أن الجلسات التي تمتد ساعة واحدة تعد غير كافية؛ حيث لوحظ أن أفراد الجماعات العلاجية يكونون في قمة تفاعلهم في نهاية الساعة الأولى من الجلسة، وبناء على ذلك، كان زمن الجلسة هو ساعة ونصف ساعة، وتتم غالبا في الفترة ما بين (١٥:٣١:٤) من مساء يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع، حيث أن هذه الفترة الزمنية لا تتضارب مع نشاطات الجماعة، سواء من حيث التوقيت، أم من حيث الأيام.

ويتكون البرنامج من (١٢) جلسة، مدة كل جلسة (٩) دقيقة، تم تطبيقها على مدى (٦) ستة أسابيع، بمعدل جلستين في كل أسبوع، باستثناء الأسبوعين الأخيرين اللذين تضمن كل منهما ثلاث (٣) جلسات، اعتبارا من (٥٦:٠٧) إلى تاريخ ٢٠١٥/٠٨/٢٠، وشهرين للمتابعة، يتم بعدها التطبيق التبعي للقائمة التشخيصية للاعتماد، واستنتاج الملاحظات الإكلينيكية، وقد تضمنت كل الجلسات التقنيات العلاجية الموصوفة في البرنامج سابقا.

٢٣ الحدود المكانية: طبق البرنامج في حجرة كبيرة، جيدة الإضاءة والتهوية، وتوسع لجلسات عينة البحث بالمركز الوسيط لعلاج الإدمان بالشلف.

٣٣ الحدود البشرية: تتضمن عينة الدراسة سبعة (٧) أفراد من الذكور المراهقين المدمنين على المخدرات الواغبين في العلاج بالمركز.

٤- آلية تطبيق البرنامج:

١-٤ يتم تطبيق البرنامج في المركز الخاص بعلاج الإدمان على المخدرات، على المراهقين الراغبين في العلاج، الموجودين بالمركز.

٢-٤ يقوم الطالب باختيار ٧ أفراد من الذكور المدمنين المراهقين الراغبين في العلاج الموجودين في المركز، ويسعى بعد ذلك إلى عمل إجراءات تمهيدية للجلسات العلاجية، التي ستكون على النحو التالي:

أ- جلستان فرديتان، ويتم فيهما مقابلة كل عضو على حدة مع أسرته (تمهيدا للعلاج الجماعي)، وذلك بهدف:

ب- التأكد من مدى دافعية ورغبة العضو في الانضمام للجلسات العلاجية، والمواصلة، والالتزام بالتعليمات.

ت. الاتفاق على نظام الجلسات، وأسلوب العمل، وتوقيت الجلسات، وفق ما يلائم أفراد العينة.

- ث. تعريف العضو بأهمية العلاج النفسي، ومن ثمة تهيئته وإعداده لها.
- ج. تعريفه بأهمية وفائدة انضمامه إلى الجماعة.
- ح. إعطاؤه فكرة واضحة عن كيفية المشاركة في هذا البرنامج العلاجي.
- خ. التأكيد على مبدأ السرية المطلقة.
- د. تبصيره بالدور المتوقع منه، للقيام به كعضو في الجماعة.
- ٣-٤ يتم تطبيق البرنامج في المرحلة الثانية بعد الانتهاء من مرحلة العلاج الدوائي، وهي مرحلة مهمة في العلاج والتأهيل النفسي.
- ٤-٤ يتم تطبيق البرنامج العلاجي، الطالب (أخصائي نفسي بالمركز) بطريقة العلاج النفسي الجماعي.
- ٥- أهداف البرنامج العلاجي: يتكون البرنامج من (١) جلسة علاجية:
- الأهداف المتضمنة في كل جلسة:
 - الجلسة الأولى: وتتضمن:
 - أن يقوم الأعضاء بالتعرف على بعضهم البعض، والتعرف على المعالج النفسي.
 - تطبيق القياس القلبي للقائمة التشخيصية للاعتماد، على المواد وسوء الاستخدام.
 - أن يقوم الأعضاء بالتعرف على بعض الأسس والمعايير التي ستحكم عمل المجموعة.
 - أن يقوم الأعضاء بالتعرف على العلاج الجماعي، والبرنامج العلاجي.
 - أن يقوم الأعضاء بالتعرف على توقعاتهم من البرنامج.
 - الجلسة الثانية: وتتضمن:
 - إعادة التعارف.
 - التعامل مع الأعمال غير المنتهية من اللقاء السابق.
 - توضيح أهمية الاستبصار بالمشكلة.
 - الواجب المنزلي.
 - الجلسة الثالثة: وتتضمن:
 - التعامل مع الأعمال غير المنتهية من اللقاء السابق.
 - مناقشة الواجب المنزلي.
 - التعرف على الأسباب المؤدية إلى الإدمان.

- التّعرف على العلاقة بين مفهوم الدّات والمهارات الاجتماعية من جهة، والتّعافي من الإدمان من جهة أخرى.

الجلسة الرابعة: وتتضمن:

- التّعامل مع الأعمال غير المنتهية من اللّقاء السابق، ومناقشة الواجب المنزلي.

- التخطيط للوقاية من اللّهفة أو الانتكاس (خطة الطوارئ المستقبلية).

- التدريب على تمرين المفكرة وخطة الطوارئ.

- الواجب المنزلي.

الجلسة الخامسة: وتتضمن:

- التّعامل مع الأعمال غير المنتهية في الجلسة السابقة.

- مناقشة الواجب المنزلي.

- أن يقوم الأعضاء بالتّعرف على مفهوم الدافعية وأهميتها في الامتناع عن التعاطي.

الجلسة السادسة: وتتضمن:

- التّعامل مع الأعمال غير المنتهية في الجلسة السابقة.

- مناقشة الواجب المنزلي.

- أن يقوم الأعضاء بالتّدريب على مهارة حل المشكلات.

الجلسة السابعة: وتتضمن:

- التّعامل مع الأعمال غير المنتهية في الجلسة السابقة.

- مناقشة الواجب المنزلي.

- التدريب على مهارات الاتصال.

الجلسة الثامنة: وتتضمن:

- التّعامل مع الأعمال غير المنتهية في الجلسة السابقة.

- مناقشة الواجب المنزلي.

- التدريب على السلوك الحضوري.

الجلسة التاسعة: وتتضمن:

- التّعامل مع الأعمال غير المنتهية من الجلسة السابقة.

- التدريب على مهارة رفض المخدرات والعقاقير (منع الانتكاسة).
 - الجلسة العاشرة: وتتضمن:
 - التعامل مع الأعمال غير المنتهية من اللقاء السابق.
 - متابعة الواجب المنزلي
 - التدريب على مهارات قضاء وقت الفراغ (لمنع الانتكاسة).
 - الجلسة الحادية عشر: وتتضمن:
 - التعامل مع الأعمال غير المنتهية.
 - متابعة ومناقشة الواجب البيتي.
 - التدريب على مهارات البحث عن عمل (وظيفة).
 - الجلسة الثانية عشر: وتتضمن:
 - التعامل مع الأعمال غير المنتهية من الجلسة السابقة، ومن البرنامج بشكل عام.
 - مناقشة الواجب المنزلي.
 - تقبل الذات وتقبل الآخرين.
 - إنهاء العمل والتقييم.
 - شكر أعضاء المجموعة على المشاركة والالتزام بالحضور وأداء الواجبات.
 - إعطاء نصائح فيما يخص مرحلة المتابعة.
 - الجلسة الثالثة عشر: (مرحلة التقييم والمتابعة) وتتضمن:
 - الترحيب بالأعضاء مرة أخرى، والثناء على مواظبتهم.
 - الاستماع إلى التقارير اللفظية لكل مفحوص عن حالته النفسية، إلى غاية هذه الجلسة.
 - الإجابة على الأسئلة إن طرحت.
 - تعميم الأثر بتطبيق ما تم تعلمه على باقي موضوعات الحياة.
 - القيام بالقياس البعدي.
- ٦ - الأساليب المستخدمة في تقييم البرنامج:
- ١٦ القياس القبلي: حيث نقوم بتطبيق قائمة تشخيص سوء الاستخدام والاعتماد على المواد بناء على الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع للاضطرابات النفسية.

٢٦ القياس البعدي: يتم إعادة تطبيق قائمة التشخيص بناء على الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع للاضطرابات النفسية.

٣٦-٦ التقويم خلال تطبيق البرنامج: وذلك من خلال تسجيل الملاحظات عن مشاركة أفراد المجموعة، وتنفيذ التعليمات، وإجراء الواجبات المنزلية، وإعطاء مؤشرات التحسن في كل جلسة.

٧ - عرض نتائج البحث ومناقشتها:

- تنص فرضية الدراسة على ما يلي:

يؤثر البرنامج العلاجي النفسي الجماعي في خفض مستوى أعراض الإدمان، ومساعدة المدمنين على الامتناع عن تعاطي المخدرات عند المراهقين المتدمرين، وقد أسفرت نتائج الدراسة الإكلينيكية على التحقق من صحة الفرض، إذ دلت المقابلات الإكلينيكية التشخيصية، ونتائج القياس بأدوات الدراسة، أن دور البرنامج العلاجي الجماعي كان فاعلا في سلوك حالات الدراسة الإدماني، ومصدرا رئيسيا في دافعية هذا السلوك الإدماني، بتأثير العمليات السلوكية المعرفية لديهم؛ فالزيادة المتدرجة بالتحسن كانت ملحوظة أثناء وبعد الجلسات العلاجية الجماعية.

للتحقق من صحة هذه الفرضية تم دراسة سبعة (٧) حالات عن طريق سلسلة من الجلسات العلاجية (٢١ جلسة علاجية)، ودراسة حالاتهم وتاريخ تعاطيهم، إضافة إلى الملاحظة، وتطبيق القائمة التشخيصية للاعتماد على المخدرات وسوء الاستخدام حسب DSM /IV.

فيمما يخص نتائج الفرضية وتفسيرها، فقد تحققت صحتها؛ حيث أن النتائج لكل مرحلة دلت على ظهور تحسن في الشكل العام للصورة الإكلينيكية للحالات عما كانت عليه بعد خضوعهم للمداخلة العلاجية (البرنامج العلاجي النفسي الجماعي)، مما يوضح تأثير العلاج بفنياته المختلفة في خفض مستوى الأعراض الإدمانية والامتناع عن التعاطي، وذلك منسوب لاستجابات الحالات على القائمة التشخيصية للاعتماد وسوء الاستخدام، في هذه الدراسة التي ظهرت نتائجها على كل الحالات الدراسية، وفقا للجدول التالي:

المتابعة (التطبيق البعدي)	مدة العلاج	التشخيص (التطبيق القبلي)	العلاج المعتمد	مدة الادمان (بالسنوات)	نوع مادة الادمان	السن (سنة)	الحالات
انخفاض الأعراض الإدمانية	انتهاء الفترة العلاجية	-اعتماد نفسي وفيزيولوجي، وسوء الاستخدام	-دوائي (للأعراض الانسحابية فقط). - البرنامج العلاجي.	٠٤ سنوات	الكيف (الحشيش)، والحبوب المنبهة.	١٨	الحالة الأولى (ف.ب)
اختفاء الأعراض الإدمانية	انتهاء الفترة العلاجية	- اعتماد نفسي، وسوء الاستخدام	- دوائي (للأعراض الانسحابية فقط). - البرنامج العلاجي.	٠٣ سنوات	الكيف، والحبوب المهلوسة.	١٧	الحالة الثانية (د.م)
اختفاء الأعراض الإدمانية	انتهاء الفترة العلاجية	- اعتماد نفسي مع سوء الاستخدام.	- البرنامج العلاجي في الدراسة الحالية.	٠٤ سنوات	الكيف، والمستنشقات	١٩	الحالة الثالثة (ع.ص)
شفاء من الأعراض الإدمانية	انتهاء الفترة العلاجية	اعتماد نفسي وسوء الاستخدام	- البرنامج العلاجي في الدراسة الحالية.	٠٣ سنوات	الكيف (الحشيش)	١٧	الحالة الرابعة (ب.م)
انخفاض الأعراض الإدمانية	انتهاء الفترة العلاجية	اعتماد نفسي وفيزيولوجي وسوء الاستخدام.	- دوائي (للأعراض الانسحابية فقط). - البرنامج العلاجي في الدراسة الحالية.	٠٣ سنوات	الكيف (الحشيش)، والمستنشقات، والحبوب المنبهة.	١٦	الحالة الخامسة (س.ر)
انخفاض الأعراض الإدمانية	انتهاء الفترة العلاجية	اعتماد نفسي وسوء الاستخدام.	- البرنامج العلاجي في الدراسة الحالية.	٠٣ سنوات	الحبوب المنبهة، والكيف (الحشيش)	٢٠	الحالة السادسة (ر.ز)
انخفاض الأعراض الإدمانية	انتهاء الفترة العلاجية	اعتماد نفسي وفيزيولوجي وسوء الاستخدام.	- دوائي (للأعراض الانسحابية فقط). - البرنامج العلاجي.	٠٣ سنوات	المستنشقات، والحبوب المنبهة	١٦	الحالة السابعة (د.ج)

جدول رقم: (٠) يوضح النتائج وخصائص المجموعة العلاجية في الدراسة.

يوضح الجدول السابق أن هناك تشابها وتلازما في هذه الحالات بعد القيام بدراسة الحالة ومعرفة التاريخ المرضي والأعراض الإكلينيكية، والتشخيص، والوسائل والطرائق العلاجية، ما يفسر لنا السبب في عرض الطالب لنتائج المفحوصين

التي تميز أفرادها بالوصول إلى مرحلة حرجة في الإدمان على المواد المخدرة، وهي الاعتماد على الكيف، والمستنشقات، والحبوب المهلوسة: نفسيا وفيزيولوجيا، بحيث يتصف أفرادها بسلوك التعاطي المزمن، لدرجة تأثير هذا السلوك على صحتهم وعلاقاتهم الأسرية والاجتماعية والاقتصادية، بحيث لا يمكنهم التوقف عن هذا التعاطي والامتناع عنه.

وهذه الأعراض الاعتمادية تتصف بها كل الحالات، فيوضح الجدول السابق أن المفحوصين في تطبيق القائمة التشخيصية للاعتماد على المخدرات وسوء التعاطي قد عانوا من الآثار السلبية للتعاطي، ووقعوا في حدود فئتين:

- الفئة الأولى: تعاني من الاعتماديين معا (الاعتماد النفسي والفيزيولوجي) وهما الحالات (ف.ب) و (س.ر) و (د.ج)، والتي تعني أن معدل الآثار السلبية لتعاطي المواد المخدرة عند تلك الحالات قد بلغ درجة الخطورة.

- أما الفئة الثانية: التي تعاني من الاعتماد النفسي فقط عند الحالة (د.م) و (ع.ص) و (ب.م) و (ر.ز) التي تبين أن معدل الآثار السلبية لتعاطي المواد المخدرة، وتنعكس بلوغ هذه الآثار إلى حد المتوسط.

وعلى الرغم من نسبة تلك الآثار السلبية عند الحالات السبعة (أ) إلا أن برنامج الطالب في العلاج النفسي الجماعي قد حقق نسب شفاء عالية، وذلك ما كشف عنه تقويم مدى أثر البرنامج العلاجي، من خلال التطبيق البعدي، والملاحظات العيادية، والجلسات العلاجية، على النحو التالي:

- جميع الحالات ما عدا (س.ر) و(د.ج) حسب تصنيف الطالب، تعكس أعلى نسب الشفاء في البرنامج العلاجي النفسي الجماعي، وانخفاض الأعراض الإدمانية إلى حد كبير، وبخاصة عند الحالات (ع.ص) و(د.م) و(ف.ب) و(ر.ز) التي حققت نسب عالية جدا في الشفاء، مما يعكس اختفاء الأعراض الاعتمادية إلى حد كبير عند تلك الحالات.

- أما الحالة (د.م) فقد وقعت في الحدود التي تعكس بلوغ المفحوص (د.م) نسبة في الشفاء أعلى من المتوسط، وهي نسبة مشجعة جدا.

فالحالات التي كانت تعاني من أعراض الاعتماد النفسي فقط، هي الحالات التي كانت نسبة شفاءهم أعلى من الحالات التي تعاني النوعين معا (النفسي والفيزيولوجي).

وللتأكد من صحة ثبوت فرض الدراسة، فإن الطالب قارن نتائج القائمة التشخيصية للاعتماد بالمواد التي تم تطبيقها على جميع الحالات قبل البرنامج العلاجي (التطبيق القبلي)، وبعد مرحلة المتابعة (التطبيق البعدي)، لتقويم مدى فعالية البرنامج العلاجي، وكانت النتائج على النحو التالي:

- ١ - ارتفاع نسبة اعتماد الحالات على المواد المخدرة قبل مرحلة العلاج الجماعي.
- ٢ - التجانس بين الحالات في ما يتعلق بنوع الإدمان، حيث يوجد تعاطي على أنواع مختلفة من المواد المخدرة، مما قد يكون له تأثير على نتائج الدراسة.
- ٣ - ارتفاع نسب الآثار السلبية لتعاطي المخدرات قبل إجراء البرنامج العلاجي الجماعي.
- ٤ - ارتفاع نسب الشفاء عند الحالات السبعة بعد تطبيق البرنامج العلاجي.
- ٥ - إن ارتفاع نتائج الحالات في التطبيق البعدي على القائمة التشخيصية في تقويم أثر البرنامج العلاجي يعكس دور البرنامج العلاجي الجماعي في تخفيف حدة الآثار السلبية، وأيضا في تقليل مدى اعتماد المفحوصين على المواد المخدرة.

أما عن النتائج النهائية لتطبيق البرنامج العلاجي، فقد برزت بعض النتائج الإيجابية من تطبيق هذا البرنامج العلاجي الجماعي ومنها:

- تحسن وتفاعل أفراد الجماعة سواء بأنفسهم أو مع أسرهم، حيث كانت لهم قبل المشاركة في البرنامج مواقف سلبية مع أسرهم بسبب عدم قدرة المرضى على التعامل مع أسرهم بالطريقة الصحيحة، وذلك بسبب ضعف العلاقة، وعدم القدرة على مواجهة أحداث الحياة.

- زيادة رغبة الجماعة في التعرف أكثر على أسباب الانتكاسة، ودخول هذا المفهوم ضمن المفاهيم التي يحتاجها الواقع في الإدمان، للعلاج والتعافي، وعدم العودة للتعاطي، بالإضافة إلى زيادة الإدراك لديهم (أي المرضى) بأن ذوي الإرادة المرتفعة والدافعية في العلاج، هم أفضل حالا وقدرة على التحكم من أصحاب الشخصية الضعيفة.

- تحول النظرة لدى أغلب حالات الدراسة من أنهم ضحايا لعوامل أخرى أدت إلى إدمانهم، إلى أفراد أسوياء لديهم القدرة على اتخاذ القرارات، كما أنهم وحدهم هم المسؤولون عن عدم العودة للتعاطي، وبالتالي فإن لديهم القدرة على ذلك.

- تغير وجهة نظر أغلب الحالات من حيث طرق صياغة الأهداف، سواء كانت أهدافا رئيسية، أو أهدافا فرعية؛ حيث أنها كانت لا تعني لهم شيئا في السابق قبل تطبيق البرنامج، بالإضافة إلى حرصهم على تطبيق مهارات مراقبة وتأكيد الذات، لتحقيق الأهداف، وتقويم الانحراف من البداية، والعودة إلى الخطة المرسومة من قبل المريض نفسه، وهي الخطة التي التزم بها مع نفسه، وتحكم في نفسه من أجلها، وبالتالي فهو يتحدى كل الأحداث والضغوط التي تواجهه من أجل تحقيقها.

- التفاعل الإيجابي بين الحالات والطالب، وقد بدأ واضحا من الجلسة الثالثة تقريبا.

- تنمية الدافعية للاستمرار في العلاج بشكل واضح على الحالات، بعد تطبيق البرنامج العلاجي النفسي المعد من أجل هذه الدراسة، بالمقارنة مع معدل مستوى الاعتماد على المواد قبل تطبيق هذا البرنامج.

- احتوى البرنامج على مجموعة من المهارات العلاجية النفسية، وفتيات العلاج المعرفي السلوكي، بطريقة تكاملية كان لها دور كبير في جذب انتباه المرضى، كما أنها أسهمت في جلب مجموعة أخرى من المرضى الآخرين غير معنيين بالدراسة، مطالبين بالاستفادة من البرنامج.

- يعتبر تطبيق البرنامج العلاجي النفسي الجماعي المستخدم في هذه الدراسة فرصة جيدة للطالب، لتطبيق واختبار ما تعلمه من أساتذته من مهارات وخبرات نظرية وعملية، خلال فترة دراسته في الجامعة.

كما تؤكد هذه النتائج على أن التدريب على تلك المهارات النفسية والاجتماعية في هذا البرنامج له دور كبير في معالجة حالات الإدمان على المخدرات، وتدل هذه النتيجة على أهمية استخدام البرامج العلاجية الجماعية السلوكية، عند العمل مع المدمنين على المخدرات، لمساعدتهم في التخلص من أعراض الإدمان.

مما سبق يتضح أثر أسلوب العلاج النفسي الجماعي في خفض الأعراض الانسحابية الجسمية والنفسية والاعتماد على المواد المخدرة باعتبارهما محكين للامتناع عن الإدمان، في ضوء أن المدمنين لديهم الشجاعة-وسط جماعتهم العلاجية- للمواجهة والإصرار على الشفاء، كما أن انضمامهم إلى الجماعة نابع من إحساسهم بالإرادة للامتناع عن الإدمان.

٨ - توصيات الدراسة:

- ١- إجراء دراسات تستخدم عينات أكبر حجما من حجم عينة البحث الحالي، حتى تعميم النتائج بشكل مقبول.
- ٢- إجراء دراسات مقارنة بين فئات عمرية مختلفة (مراهقين، شباب، كبار)، وفئات جنسية مختلفة (ذكور وإناث)، وفئات تعليمية مختلفة (تأهيل متوسط - تأهيل عالي)، للوقوف على مدى اختلاف تأثير هذه المتغيرات.
- ٣- ضرورة إجراء دراسات مقارنة بين أنواع المخدرات بعضها البعض، وبين المخدرات والمسكرات (الكحول) من جانب آخر، لتوضيح التباين في الفعالية لنفس الأسلوب العلاجي، طبقا لنوع المادة المخدرة.
- ٤- تبني أقسام علم النفس في الجامعات الجزائرية، والمهنيين بمراكز علاج ورعاية المدمنين، ببذل الجهود في مجال القياس النفسي، وتقنين الاختبارات المختلفة اللازمة في مجال الإدمان، حتى يتسنى للباحثين النفسيين سهولة الحصول على أدوات القياس المناسبة لموضوع وبيئة الدراسة.
- ٥- دراسة أثر برنامج العلاج النفسي الجماعي باختلاف مستوى التطبيق الفردي أو الجماعي؛ حيث أن الدراسات الحديثة أبدت اهتماما شديدا في الآونة الأخيرة بتطبيقات العلاج الجماعي.
- ٦- يرى الطالب أن الجمع بين الأسلوبين في العلاج (أسلوب العلاج الفردي وأسلوب العلاج الجماعي) عند تطبيق تقنيات العلاج الجماعي، التي تهدف إلى تعديل السلوك والمعرفي، يحقق نتائج أفضل من الاقتصار على أحدهما، لذا ينصح بالجمع بين الأسلوبين في الممارسات العلاجية.
- ٧ - تقديم معززات إيجابية لهم بشكل مستمر أو متقطع عند خروجهم للإجازات المنزلية وعودتهم، دون حدوث انتكاس.

قائمة المراجع:

أولا: بالعربية:

١. . ابراهيم عبد الستار وعبد الله عسكر : علم النفس الإكلينيكي في الطب النفسي ، ط ٤، الانجلو مصرية، القاهرة، ٢٠٠٨.
٢. . الباراشد، الأداء المهني لمدمن المخدرات، شؤون اجتماعية، العدد (٦٢)، ١٩٩٩.
٣. . الجوير أحمد: أساليب وإجراءات مكافحة المخدرات، مركز البحوث والدراسات الأمنية، الرياض، ١٩٩٦.
٤. . الحراشة أحمد حسن: ادمان المخدرات والكحوليات وأساليب العلاج، دار الحامد، عمان، ٢٠١٢.
٥. . الحسيني أكرم فتحي زيدان : في الديناميات النفسية للمقامر كما تتبدى في العلاج الجماعي ، رسالة مقدمة للحصول على شهادة الدكتوراه في علم النفس، جامعة المنصورة، كلية الآداب قسم علم النفس، ٢٠٠٢.
٦. . الخطيب جمال: تعديل السلوك القوانين والإجراءات، ط ٢، الرياض، ١٩٩٠.
٧. . الدرمداش عادل، الادمان مظاهره وعلاجه، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢.
٨. . الديدي عبد الغني: المراهقة والتعليل النفسي، بيروت، ١٩٩٧.
٩. . الرخاوي يحيى: ملف الإدمان، إصدار شبكة العلوم النفسية العربية، لبنان، ٢٠٠٠.

- ١٠ . الشربيني مروة ساحر: المراهقة وأسباب الانحراف، دار الكتاب الحديث، بدون طبعة، 2006.
- ١١ . الشناوي محمد محروس: نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨.
- ١٢ . العامري منى محمد صالح علي: دراسة فاعلية الارشاد العقلاني الانفعالي والعلاج المتمركز على العميل في علاج بعض حالات الادمان، مذكرة تخرج للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة، جامعة القاهرة، معهد الدراسات والبحوث التربوية، ٢٠٠٠.
- ١٣ . العيداني آمال: مفهوم الذات وعلاقته بالسلوك العدواني لدى المدمنين وغير المدمنين من المساجين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس، قسم العلوم الاجتماعية، شعبة علم النفس، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠١١-٢٠١٠.
- ١٤ . القذافي رمضان محمد، علم نفس النمو والطفولة والمراهقة، المكتبة الجامعية، الإسكندرية 2000.
- ١٥ . القطان سامية: كيف تقوم بالدراسة الإكلينيكية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩.
- ١٦ . القناوي هدى محمد: سيكولوجية المراهقة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1992.
- ١٧ . المحارب ناصر بن ابراهيم: ممارسة العلاج الجمعي، النشر العلمي والمطابع، السعودية، ١٩٩٨.
- ١٨ . المغربي سعد زغلول: تعاطي الحشيش، دراسة نفسية اجتماعية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣.
- ١٩ . أوزي أحمد: المراهق والعلاقات الأسرية، مطبعة النجاح الجديدة. الرباط، دون سنة.
- ٢٠ . أومليلي حميد: اثر الأحداث الصدمية داخل الأسرة في ظه ور الادمان على المخدرات عند المراهق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠١٠-٢٠١١.
- ٢١ . بول سون وآخرون: سيكولوجية الطفولة والمراهقة، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة الكويت، 1986.
- ٢٢ . تيسير حسون: المرجع السريع الى الدليل التشخيصي والاحصائي الرابع المعدل للاضطرابات النفسية، جمعية الطب النفس الأمريكية، دمشق، ٢٠٠٤.
- ٢٣ . حافظ أحمد خيري وحسن مجدي محمود: أثر العلاج النفسي الجماعي في تخفيض القلق والسلوك العدواني وازدياد الثقة بالنفس وقوة الأنا لدى جماعة عصابية، مجلة علم النفس، العدد الرابع عشر، ١٩٨٩.
- ٢٤ . حبيب أحمد علي: المراهقة، مؤسسة طبية للنشر والتوزيع. القاهرة، 2006.
- ٢٥ . حداد رباح: مفاهيم الإدمان وتعريفه في التكفل بالمدمنين. ملتقيات تكوين الأطباء في الجزائر، ٢٠٠٨.
- ٢٦ . خريبة صفاء صديق: مدى فاعلية العلاج الجمعي بالتحليل النفسي في علاج مشاعر الذنب والخزي لدى مرضى الإدمان، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب، قسم علم النفس، عين شمس، ١٩٩٨.
- ٢٧ . خيري حافظ أحمد ومجدي حسن محمود : أثر العلاج النفسي الجماعي في ازدياد تأكيد الذات وتقديرها وانخفاض الشعور بالذنب وانعدام الطمأنينة الانفعالية لدى جماعة عصابية، مجلة علم النفس، العدد ١٤، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠.

- ٢٨ . دردار فتحي: الادمان على المخدرات، مكتبة بغدادي، دار حسين، الجزائر، ٢٠٠٠ .
- ٢٩ . دولامية بويدى، واقع تعاطي المخدرات في المجتمع الجزائري، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد (٠٣)، ٢٠١٢ .
- ٣٠ . رشاد محمد عبد اللطيف: الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات، المركز للدراسات والتدريب، الرياض، السعودية، ١٩٩٢ .
- ٣١ . زهران حامد عبد السلام: الصحة النفسية والعلاج النفسية، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٨ .
- ٣٢ . زهران حامد عبد السلام: علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، ط٥، عالم الكتب، القاهرة، 1995 .
- ٣٣ . زرواتي رشيد: تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٢ .
- ٣٤ . زيدان محمد مصطفى: النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، دار الشروق، ط3، جدة، 1990 .
- ٣٥ . زيور مصطفى: تعاطي الحشيش مشكلة نفسية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، ١٩٧٣ .
- ٣٦ . سامي سفيان : الجزائر والمخدرات ، المجلة الالكترونية الحوار المتمدن، عدد ١٠٢٧ (اطلاع مباشر)، (٢٠٠٤/١١/٢٤) .
- ٣٧ . صابر احمد عبد الموجود: جماعة المدمنين المجهولين ما لها وما عليها، القاهرة، ايتك للطباعة والنشر، ٢٠١٠ .
- ٣٨ . صالح عبد النور : سياسة الجزائر في مكافحة المخدرات والإدمان عليها ، ملتقيات تكوين الإطفاء في مشروع Mednet، الجزائر، ٢٠٠٨ .
- ٣٩ . صفوت وفيق مختار: مشكلة تعاطي المواد النفسية المخدرة، القاهرة، ٢٠٠٥ .
- ٤٠ . صقر نبيل: جرائم المخدرات في التشريع الجزائري، موسوعة الفكر القانوني، دار الهدى، عين ميله، الجزائر، ٢٠٠٦ .
- ٤١ . طالب حسن: علاج المدمنين على المخدرات، المجلة العربية للدراسات الأمنية، عدد ١٧، المركز العربي للدراسات الأمنية، ١٩٩٤ .
- ٤٢ . عباس محمد: المخدرات والإدمان، المواجهة والتحدي، القاهرة، ١٩٨٩ .
- ٤٣ . عرموش هاني: المخدرات إمبراطورية الشيطان، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٩٩٣ .
- ٤٤ . عفاف محمد عبد المنعم: الادمان دراسة نفسية لأسبابه ونتائجه، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٣ .
- ٤٥ . غانم محمد حسن : الدافعية للعلاج لدى المدمنين ، دراسة نفسية مقارنة، المجلة المصرية للدراسات النفسية، عدد ٢٥، مجلد ١٠، ٢٠٠٠ .
- ٤٦ . غانم محمد حسن: العلاج النفسي الجمعي بين النظرية والتطبيق، مصر، ٢٠٠٣ .
- ٤٧ . غباري محمد سلامة: الادمان – اسبابه، نتائجه، علاجه- المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩١ .
- ٤٨ . فاخر عاقل: معجم العلوم النفسية، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨ .
- ٤٩ . فايد حسين: سيكولوجية الادمان، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر، ١٩٩٤ .

- ٥٠ . فايد حسين: علم النفس المرضي، مؤسسة طبية للنشر، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٤.
- ٥١ . فتحي عيد محمد: مسؤولية الدولة عن علاج متعاطي المخدرات ، المجلة العربية للدراسات الامنية، العدد ١٠، الرياض، ١٩٩٠.
- ٥٢ . فرغلي بدوي وآخرون: الادمان ورحلة الشفاء، مؤسسة مطابع المنار، الرياض، ١٩٩٧.
- ٥٣ . فطيم لطيف: العلاج النفسي الجماعي، الانجلو مصرية، القاهرة، ١٩٩٤.
- ٥٤ . قرني محمد: الادمان: المركز العربي الحديث، القاهرة، مصر، ١٩٨٦.
- ٥٥ . متولي فؤاد بسيوني: التربية وظاهرة انتشار وإدمان المخدرات، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية.
- ٥٦ . مشابقة محمد أحمد: الادمان على المخدرات الإرشاد والعلاج النفسي، دار الشروق، عمان.
- ٥٧ . مصباح عبد الهادي: الادمان، دار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٤.
- ٥٨ . مكتب الإنماء الاجتماعي : سلسلة تشخيص الاضطرابات النفسية، اضطرابات التعاطي والإدمان ، الكويت، ٢٠٠٠.
- ٥٩ . منظمة الصحة العالمية: المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، المراجعة العاشرة للتصنيف الدولي للأمراض النفسية والسلوكية: الأوصاف السريرية (الإكلينيكية) والدلائل الإرشادية التشخيصية، ترجمة احمد عكاشة، ١٩٩٩.
- ٦٠ . هنري شابرول: الادمان في سن المراهقة، ترجمة فؤاد شاهين، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.
- ثانيا: الأجنبية:

- 1 . Bensmail Belkacem: **Psychiatrie d'aujourd'hui**, Office de publication universitaire, réim- Pression. Alger, 1994.
- 2 . Bergeret Jean، LeblancJean: **Précis des toxicomanies**, 2 édition, Masson: Paris, 1988.
- 3 . Schiffer F: **psychothérapie de neuf cocaïnomanes traités avec succès, techniques et dynamique**, le journal de la toxicomanie traitement, Harvard Médical School, Hôpital McLean, Belmont, Massachusetts, 1988.
- 4 . Cooper & Mccrmack: **short – term – Group Treatment children of Alcoholics**, J. of counseling Psychologg, u3, ١٩٩٢.
- 5 . Debesse Maurice : **L'adolescent**, PUF, Paris, 19٦٤.
- 6 . Ey Henri, Bernard P,Brisset CH: **Manuel de psychiatrie**, 6 édition, Masson, Paris, 1989.
- 7 . Fesian Hocine: Y-aurait –il une question du père à l'adolescence dans l'éclosion de la violence en Algérie, département de psychologie, Oran.



- 8 . Girard Michel: **Consommation et abus de drogues chez les adolescents**. In PRISM : Ecole et santé mentale. vol.7, n 3-4.Hôpital sainte Justine, 1997.
- 9 . Goodman Aviel: **Addiction, Définition and implication**, British. journal Addiction, 1990;1990.
- 10 . Hélène Harcel-Biraud: **Manuel de psychologie à l'usage des soignants**, 2ème édition, Masson, Paris, 1994.
- 11 . Isabelle Varescon: **Les addiction comportementales**, Paris, 2007.
- 12 . Marc Valleur et Jean chaude Matysiak: **Les addiction**, Armand colin, Paris.2006.
- 13 . Merdaci Mourad: **Une psychologie du champ Algérien**, Office de la publication
- 14 . Varescon Isabelle: **les addiction comportementales**, Paris, 2007.

Le bénévolat dans le milieu associatif : entre engagement et militantisme.

Mr : ALLOU ZOUHIR. Doctorant/ Université Alger 2.

M^f : MAHDID FATAH. Doctorant/ Université Mouloud Mammeri Tizi-Ouzou.

Résumé :

ce présent article dresse un aperçu sur le travail bénévole dans les associations, cette forme libre d'engagement est primordiale dans le milieu associatif, car elle est confédérée comme le noyau capital dans le fonctionnement est bien évidemment dans la réussite de l'action des militants au sein de l'association. Le bénévolat est une action volontariste et collectiviste qui est d'une part d'utilité publique et qui suscite d'autre part un certain développement et une dynamique dans son territoire d'exercice.

Mots clés : bénévolat, engagement, association, militantisme.

a. le bénévolat associatif ; quelle définition ? et quelle compréhension ? :

Bénévolat associatif, qui se définit d'abord comme « une action libre sans rémunération pour la communauté », est un concept récent. Il s'est peu à peu dégagé des notions de philanthropie, d'entraide et de militantisme, pour s'affirmer à partir des années quatre-vingt comme l'expression dominante des implications non salariées dans les associations. Mais ce concept ne recouvre pas pour autant une réalité simple à appréhender. Alors que le bénévolat est l'objet d'une attention soutenue de la part du mouvement associatif et des pouvoirs publics.¹

« Le bénévole est celui qui s'engage librement pour mener à bien une action en direction d'autrui, action non salariée, non soumise à l'obligation de la loi, en dehors de son temps professionnel et familial ».²

Le bénévolat est la situation dans laquelle une personne fournit à titre gratuit une prestation de travail pour une personne ou un organisme. Le bénévolat se distingue donc de la situation de travail (ou salariat) essentiellement par les critères suivants :³

- Le bénévole ne perçoit pas de rémunération. Il peut être dédommagé des frais induits par son activité (déplacement, hébergement, achat de matériel...).
- Le bénévole n'est soumis à aucune subordination juridique. Sa participation est volontaire : il est toujours libre d'y mettre un terme sans procédure ni dédommagement. Il est en revanche tenu de respecter les statuts de l'association, ainsi que les normes de sécurité dans son domaine d'activité.

¹ DEMOUSTIER Danièle, « Le bénévolat, du militantisme au volontariat », *Revue française des affaires sociales*, 4/2002 (n° 4), p. 97.

² Rapport au conseil économique et social sur l'essor et l'avenir du bénévolat, facteur d'amélioration de la qualité de la vie. Par Marie Thérèse Cheroutre juin 1989.

³ Ministère d'éducation nationale jeunesse vie associative, *Le guide du bénévolat à l'usage des dirigeants associatifs*, 2011, paris, p 5.

Ces quelques éléments de définition montrent qu'il n'existe pas une seule définition, mais une série de notions caractérisant le bénévolat, dans lesquelles méritent d'être soulignées les notions d'engagement libre et gratuit.

Le bénévolat est une forme particulière, structurée et organisée, d'engagement des citoyens ; il consiste à consacrer du temps, sans contrepartie financière, au fonctionnement d'une organisation. Le secteur associatif est de loin le plus concerné.¹

L'engagement bénévole obéit à des motivations diverses et complexes. Être bénévole, entre vocation et stratégie individuelle. La première des motivations identifiées renvoie à un comportement altruiste d'utilité sociale dépourvu de contrepartie si ce n'est symbolique reconnaissance, dignité, fierté. Les valeurs de citoyenneté, de don de soi et d'engagement au service des autres, et notamment des plus fragiles, demeurent fortes chez les bénévoles.

Leur objectif peut parallèlement être de "tester" une vocation ou de contrebalancer l'exercice, par ailleurs, d'un métier vécu comme peu épanouissant ou manquant de "sens". En outre, dans de nombreux cas, l'engagement bénévole résulte moins d'un choix isolé que d'interactions sociales, au premier rang desquelles le rôle déterminant joué par la famille ou les groupes de pairs : en 2010, 48,9 % des Français de 15 à 18 ans dont les parents pratiquaient une activité bénévole faisaient de même, contre 27,7 % pour les autres.²

La participation à des activités bénévoles peut également être motivée par le souhait d'acquérir une expérience, des compétences ou une légitimité professionnelle susceptibles, par la suite, d'être mobilisées dans une recherche d'emploi ou une stratégie de carrière(25).C'est l'un des fondements du service civique.

Enfin, le bénévolat peut faire figure d'occupation de substitution à une activité professionnelle. C'est particulièrement vrai pour les femmes dans certains contextes familiaux, où le travail féminin est peu développé. C'est aussi le cas de certains retraités, toutes catégories socioéconomiques confondues : l'engagement bénévole est alors un moyen de prolonger une carrière professionnelle, surtout s'il consiste à faire appel à des compétences autrefois utilisées dans la sphère du travail (aide aux devoirs pour les anciens enseignants, encadrement dans les clubs pour les anciens sportifs de haut niveau, etc.). Il permet aussi de maintenir actifs des réseaux amicaux ou sociaux.³

Le bénévolat est un indicateur de certaines mutations sociales on peut tout d'abord faire l'hypothèse que le développement de l'engagement associatif et donc bénévole pallie en partie l'affaiblissement des liens familiaux et tend à se substituer à l'entraide informelle à l'échelle d'un quartier ou d'une commune. Les informations sur la raison sociale des nouvelles associations sont éclairantes.⁴

b. augmenter le nombre des bénévoles dans les associations ; Pourquoi faire?

Sur le plan collectif, l'engagement bénévole profite en premier lieu à la société dans son ensemble, parce qu'il répond ou contribue à répondre, de manière très souple et adaptée, à de multiples besoins sociaux. Certains secteurs associatifs comme le sport fonctionnent du reste quasi exclusivement avec des bénévoles.⁵

¹ Centre d'analyse stratégique, Développer, accompagner et valoriser le bénévolat Septembre 2011 no 241. P, 2.

² Ibid, pp, 5-6.

³ Ibid, pp, 5-6.

⁴ Ibid.

⁵ Ibid, pp, 5-6.

Sur le plan individuel, l'existence d'un lien direct entre la pratique d'une activité bénévole et l'amélioration du bien-être physique et psychologique a été mis en évidence par plusieurs recherches menées aux États-Unis, au Canada ou aux Pays-Bas – même si le lien de causalité peut parfois être difficile à établir. Chez les seniors en particulier, les bénévoles auraient un taux de mortalité et de dépression plus faible et de meilleures capacités fonctionnelles. Une étude française réalisée par des sociologues et des professionnels de santé au sein du Centre d'étude et de recherche sur la philanthropie tend à démontrer que la vitalité, le capital social, l'estime de soi et la satisfaction de rendre service dans un cadre associatif fondé sur l'autonomie des bénévoles sont des facteurs directs d'amélioration de la santé.¹

c. Le bénévolat ; non seulement une volonté individuelle :

Quand on les interroge, les bénévoles mettent toujours en avant dans les raisons qui les ont poussées à s'engager, le désir d'être utile, de servir aux autres. Cette aspiration à l'utilité sociale est souvent formulée dans le registre de l'élan, de la volonté, toutes formulations qui présentent ces envies d'agir comme le résultat d'un choix individuel, personnel, celui d'une pure subjectivité soucieuse des Autres et du monde. À l'extrême, le registre de la vocation est utilisé, comme si une force incoercible (divine ou laïque, intérieure ou extérieure) poussait les individus, les attirait, les appelait à s'engager. De la même manière que l'amour se vit comme un sentiment affranchi des contingences et des contraintes sociales, l'amour de l'humanité (et le bénévolat a souvent partie liée à la philanthropie) prend les atours d'une disposition spontanée, en dehors des normes sociales. Présentée comme un penchant intérieur, la volonté d'agir tend à naturaliser le bénévolat et les bénévoles : ils seraient « naturellement » altruistes, quand d'autres, plus nombreux, seraient individualistes et donc incapables de souci pour les Autres. Or, l'altruisme (et inversement l'individualisme) n'est ni un « virus », que les personnes auraient contracté, ni une disposition inscrite dans leur personnalité. L'engagement ne se déroule pas hors des contraintes du monde social.²

D'autres auteurs ont montré combien ce désir d'utilité, cet élan vers les Autres est le produit de contextes socio-économiques, historiques et politiques précis¹. Le propos de cet article est de montrer qu'au-delà des contextes qui forment les envies d'agir, leur donnent une légitimité ou pas, la pratique bénévole est toujours le produit d'un ajustement entre une histoire personnelle et le cadre associatif dans laquelle elle se déroule. L'engagement bénévole ne peut tenir sur la seule volonté individuelle. Il doit trouver où et comment s'incarner dans des structures précises, le plus souvent des associations pour donner effectivement lieu à des pratiques de bénévolat. Le bénévole agit certes parce que sa trajectoire familiale, sa socialisation, notamment dans l'enfance, lui a permis de se fabriquer des dispositions à s'engager, tellement intériorisées qu'elles peuvent lui sembler « naturelles », allant de soi². Ces dispositions seules n'expliquent cependant pas l'engagement bénévole et surtout son maintien dans la durée. Pour s'exprimer, ces dispositions doivent s'appuyer, s'étayer sur des organisations, c'est-à-dire sur un ensemble de relations sociales et de règles structurelles. Non relayé, non pris en charge par des associations précises, l'élan s'épuise en effet bien vite. Bernard Pudal, en rapprochant le prêtre rural, le prêtre ouvrier, l'instituteur laïc et l'intellectuel organique du parti communiste, a ainsi montré que la

¹Ibid, p, 6.

² Le bénévolat : Article écrit par : Bénédicte Havard Duclos, sociologue, enseigne à l'Université de Bretagne Occidentale et est membre du laboratoire ARS (Brest) Et Sandrine Nicourd, sociologue, est maître de conférences à l'Université Paris XIII et membre du laboratoire PRINTEMPS de l'Université Versailles-Saint-Quentin-en-Yvelines. P, 1.

vocation, loin des présupposés individualistes, « résulte d'un processus interactif complexe entre une histoire sociale personnelle de l'individu et l'institution reconnaissante».¹

Dans une démarche comparable, nous souhaitons identifier d'une part les conditions sociales qui ont construit le désir d'engagement, l'élan vocationnel chez les bénévoles ; d'autre part comment cet élan est parvenu à s'incarner, à se pérenniser dans des associations et des pratiques particulières, qui ont su saisir les attentes identitaires des bénévoles ; enfin comment cet élan est en permanence réactivé et entretenu par les associations et leurs leaders, via la reconnaissance et la réassurance trouvées par les personnes dans leur activité bénévole, au risque sinon de leur défection.²

Les bénévoles et militants qui restent fidèles à une association, se sentent habités du désir d'être utile et le perçoivent comme allant de soi. Ils trouvent dans leur engagement un sens par rapport à leur histoire singulière, à leur trajectoire biographique. Ce sens est très largement construit par les collectifs d'engagement, - associations, syndicats, partis, collectifs moins institués -, qui fournissent à leurs membres les plus investis, de multiples ressources identitaires. Ils leur permettent de penser le rapport à leur propre histoire et à leur avenir, de conquérir estime de soi et reconnaissance. Ces ressources identitaires, gages du maintien des engagements et par là même de la pérennité des collectifs, sont largement construites par les associations.³

Les associations peuvent permettre d'établir une continuité dans des trajectoires bénévoles clivées. Elles peuvent permettre aux bénévoles de restaurer des trajectoires brisées. Elles leur offrent enfin la possibilité de rester en adéquation avec des idéaux, notamment religieux.

d. le bénévolat permet à établir une continuité biographique :

Les expériences associatives sont, pour certains bénévoles et militants, des moyens de résoudre les contradictions de leur histoire sociale en leur permettant de construire des continuités et de la cohérence, là où il pourrait y avoir discontinuités et dissonances, leur trajectoire passée dans le sens d'une promotion ou d'un déclassement se trouve particulièrement interpellée par cette expérience. Des individus qui ne trouvent pas leur « place », qui cherchent « leur » place parce qu'ils connaissent des situations de décalage, des habitus déchirés, clivés, peuvent ainsi particulièrement vivre leur engagement comme une manière de résoudre, provisoirement, ces contradictions.⁴

Les sociologues ont ainsi montré depuis longtemps que l'ascension sociale couplée au souvenir vif du milieu d'où l'on vient et d'une volonté de fidélité à celui-ci était propice à l'engagement, sans qu'on sache d'ailleurs ce qui est premier, l'action militante ou la réussite sociale. Défendre les exclus, les pauvres, les ouvriers ou les migrants permet de se rapprocher de ses origines, de ne pas vivre un sentiment de rupture consécutif de toute promotion sociale. Le sentiment subjectivement vécu du décalage, du porte-à-faux, de la distance sociale entre ce qu'on est, ce qu'on a été et ce qu'on pensait être, est ainsi un principe générateur d'un élan, d'une volonté désengagée.

L'essentiel des travaux ont par exemple montré l'importance des individus aux profils atypiques, déplacés par rapport à leur destin social possible ou probable, dans le militantisme ouvrier. Ce déchirement potentiel a été extraordinairement bien utilisé par le Parti Communiste qui a su

¹ Ibid, p, 2.

² Ibid, pp, 2-3.

³ Ibid.

⁴ Ibid, p, 3.

offrir des promotions sociales à ses militants, tout en leur garantissant la fidélité subjective à leur milieu d'origine.¹

e. Le bénévolat, une action collective :

Le bénévolat apparaît comme une manière d'être ensemble, une façon de marquer son rapport à l'autre, et constitue le support indispensable de tout lien social.²

Le bénévolat ne relève pas uniquement d'une action individuelle, mais d'une activité qui s'insère dans une structure collective s'articulant autour d'une conception de vie en société et tout particulièrement d'un type d'organisation sociale,³

Cela dit, une réflexion sur l'action bénévole moderne va bien au-delà des motivations individuelles qui poussent les individus à agir. En effet, elle permet d'éclairer, de manière nouvelle, les relations entre la société civile et l'État.⁴

f. Les motivations de l'engagement bénévole :

L'engagement bénévole répond souvent à une pluralité de motivations, même si elles n'ont pas toutes la même force d'incitation. Le désir d'aider autrui est le motif le plus fréquemment invoqué, mais la recherche de relations interpersonnelles est également mise en avant dans près de six cas sur dix, à titre de mobile principal ou de raison plus secondaire. L'étude conjointe des profils des bénévoles et de leurs motivations souligne la grande diversité qui marque de son empreinte l'univers du bénévolat. Cette diversité est à la source des difficultés que rencontrent les tests des modèles économiques de bénévolat lorsqu'ils sont réalisés sur des données très agrégées.⁵

g. Les facteurs sociodémographiques de l'engagement associatif.

Différents facteurs sociologiques sont souvent remarqués chez les volontaires engagés dans des associations militantes : « le sociologue repère des régularités dans les profils des individus qui s'engagent plus souvent que d'autres et dans certaines organisations plutôt que d'autres » (Sandrine Nicourd, 2008, p 103).⁶

Toutes organisations confondues, un des premiers facteurs favorisant l'engagement est le fait d'avoir grandi dans une famille au sein de laquelle les engagements politiques ou associatifs étaient valorisés et où une pratique d'engagement existait. L'engagement des enfants peut être d'une toute autre nature que celui des parents ou mêmes être en contradiction avec ce dernier. C'est le fait d'être engagé qui semble se transmettre plus que l'objet et le sens de l'engagement. Le fait d'avoir été membre d'une organisation de jeunesse ou d'une autre association dans son adolescence contribue également à une poursuite de l'engagement à l'âge adulte. Cet engagement spécifique dans des mouvements de jeunesse se transmet par ailleurs au sein des familles.⁷

¹ Ibid, p, 3.

² ROBICHAUD Suzie, Le bénévolat. Entre le cœur et la raison. Chicoutimi, Québec, Les Éditions JCL inc., septembre 2003. P, 19.

³ Ibid, p, 25.

⁴ Ibid, p, 26.

⁵ PROUTEAU Lionel et CHARLES-François Wolff, Donner son temps : les bénévoles dans la vie Associative, ÉCONOMIE ET STATISTIQUE N° 372, 2004.

⁶ PDF, Le processus de l'engagement volontaire et citoyen : des valeurs, des individus et des associations Anne-Marie Dieu, p, 13.

⁷ Ibid.

Un autre élément jouant sur la propension à l'engagement est le fait d'avoir accompli des études supérieures et ceci pour différentes raisons. Tout d'abord, le temps des études supérieures, moins contraint que le temps des études secondaires, est favorable à l'engagement associatif. D'autre part, « les travaux sur le monde étudiant mettent en évidence que l'entrée à l'université doit s'accompagner d'une affiliation institutionnelle et cognitive nécessaire à l'exercice du « métier d'étudiant » (Coulon, 1998).¹

Notons cependant que cette affiliation varie d'une discipline à l'autre, donnant lieu à des niveaux d'intégration très inégaux... (Becquet, p, 70). Par ailleurs, les personnes diplômées sont aussi celles qui développent plus facilement les sentiments d'estime de soi et les compétences, notamment discursives qui supportent l'engagement.²

Les différents types d'organisations attirent également différents types de publics. Ainsi, il a été constaté que les mouvements politiques, moins formalisés, plus localisés et moins hiérarchisés, attirent plus de cadres et de professions intellectuelles supérieures que les partis politiques. Une des hypothèses explicatives seraient que les modes de recrutement y sont plus basés sur la cooptation qui favorise une homogénéité socioculturelle. Les modes de fonctionnement et d'action de ces mouvements exigeraient également un certain capital culturel. Alors que les partis politiques n'en comptent que 30%.³

Les organisations formalisées attirent les hommes de plus de 30 ans. La répartition entre les femmes et les hommes est par contre équilibrée dans les associations locales centrée sur des objectifs concrets d'utilité sociale.

Les associations locales sont celles où l'on rencontre le moins de diplômés du supérieur, notamment parce que différents types de compétences peuvent y être mobilisées, comme la connaissance des réseaux locaux. Enfin, plus l'objet de l'organisation est précis et spécialisé, plus le niveau de diplôme est élevé.

Plusieurs auteurs ont plus spécialement étudiés le profil, les valeurs et les modes d'engagement des classes moyennes diplômées, qui forment le gros des troupes des volontaires associatifs. R. Barbier (1993), met ainsi l'accent sur le caractère à dominante intellectuelle de leur travail et leur statut de salariés « Ils forment une sous élite qui ne dispose ni du pouvoir économique, ni du pouvoir politique, ni de la gestion des grandes institutions culturelles, mais se trouve dotée d'un certain pouvoir intellectuel et culturel et d'une certaine capacité de contrôle et d'encadrement social » (R. Barbier in J. Chancel et Leur formation intellectuelle oriente leur mode de vie dans lequel le loisir « instructif » prend une grande place. Ils développent à la fois le désir de « prendre le temps de vivre », de « travailler et consommer autrement » et une éthique du travail. Le militantisme est une voie possible pour répondre à la fois à leurs préoccupations sociales et leur manière de considérer les loisirs et le travail.⁴

h. le bénévolat, élément qui suscite un changement social:

Le bénévolat, le volontariat et le militantisme social sont des moyens efficaces d'encourager la participation au changement social et au développement humain. C'est l'une des principales conclusions d'une étude menée en 2007/2008 par **CIVICUS** :

Alliance mondiale pour la participation citoyenne, l'Association internationale pour l'effort volontaire (IAVE) et le programme des Volontaires des Nations Unies (VNU).

¹ Ibid.

² Ibid.

³ Ibid.

⁴ Ibid.

Le bénévolat et le volontariat recouvrent toute une série d'activités, des visites aux malades à la sensibilisation au **VIH/SIDA** en passant par la plantation d'un arbre et le plaidoyer pour les droits humains. Alors que l'on a parfois tendance à considérer le bénévolat et le militantisme social comme deux sphères d'activités séparées, il y a, en réalité, une relation dynamique entre les deux. L'un comme l'autre contribue à l'implication des individus dans la réalisation d'objectifs de développement tels que les Objectifs du Millénaire pour le développement (OMD) Comme le militantisme social, le bénévolat peut servir un but précis et être orienté vers le changement. Il peut, par exemple, être utilisé pour influencer sur la définition des agendas ou celle des politiques, sur les processus de décision et sur les représentations. Il peut aussi promouvoir le changement social en contribuant à transformer des individus, qui, prenant conscience d'une situation particulière ou la comprenant mieux, peuvent être amenés à changer d'opinion, de façon de voir et de comportement.¹

Le bénévolat et le militantisme social s'épaulent mutuellement pour stimuler la participation de personnes provenant de différents milieux. Le bénévolat peut aider à faire le premier pas vers un engagement à long terme, tandis que le militantisme social joue un rôle important pour le leadership, la définition des secteurs d'engagement et la mobilisation des personnes. Les militants sociaux ont besoin des contributions des volontaires pour réaliser le changement qu'ils recherchent. Forts de leurs caractéristiques communes et de leur complémentarité, le bénévolat ou le volontariat et le militantisme favorisent l'inclusion sociale en offrant à des groupes marginalisés la possibilité de s'impliquer dans des processus de développement participatif. Les bénévoles représentent un important réservoir de connaissances et peuvent ainsi contribuer au bien-fondé et à la légitimité des campagnes de plaidoyer relatives au développement. En étant bénévole ou militant, ou les deux à la fois, un individu peut acquérir l'assurance, les compétences et les savoirs nécessaires pour faire réellement changer les choses.²

Pour développer et pérenniser la participation, il faut créer des opportunités nouvelles et variées. Par exemple, les organisations de volontaires ou les associations peuvent contribuer à augmenter le nombre de possibilités d'engagement offertes au public. Investir dans une bonne gestion des bénévoles et valoriser leur rôle peut avoir un très fort impact. Les gouvernements, la société civile, le secteur privé et les agences internationales ont tous un rôle à jouer dans la création d'un environnement favorable à la participation des individus. La réalisation des Objectifs du Millénaire pour le développement d'ici 2015 repose sur la participation des citoyens ordinaires.³

Cet essai montre que le bénévolat, le volontariat et le militantisme social ont le potentiel de contribuer à augmenter le niveau et la diversité de la participation - participation sans laquelle on ne pourra faire face aux tensions et aux problèmes de développement de notre temps.

i. la place et le rôle des bénévoles dans la sphère associative:

Les bénévoles ont aujourd'hui une place et un rôle primordiaux dans une société où la crise économique et sociétale, l'individualisme, la montée des extrêmes, les taux d'abstention aux élections... sont en évolution constante. À travers leurs engagements associatifs, les bénévoles :⁴

- défendent, protègent et transmettent des valeurs telles que le faire ensemble, le vivre ensemble, la valeur humaine, la solidarité, la démocratie, la citoyenneté.

¹ Article : L'engagement Associatif, Septembre 2014 Rhône-Alpes

² Ibid.

³ Ibid.

⁴ Ibid.

- apportent des réponses à des situations non prévues par la loi : ils sont en ce sens des agitateurs d'idées, des développeurs d'innovation sociale qui ont le pouvoir de transformer la société.
- contribuent aux dynamiques territoriales en étant force de proposition pour la mise en œuvre d'initiatives locales ; - prouvent par leur engagement que tout n'est pas marchand dans l'activité humaine.
- participent à la cohésion sociale et sont une composante du dialogue civil, l'engagement bénévole constitue le socle de toute association. Au sein de l'association, les bénévoles :¹
- sont le cœur du projet associatif et les garants de l'intérêt général, ils assurent la mise en œuvre du projet politique de l'association et garantissent la gouvernance transparente et démocratique d'un projet porté collectivement.
- assument les responsabilités liées au statut d'employeur et sont responsables des salariés dans leurs missions en tant que Président, trésorier ou administrateur.
- assurent l'activité de l'association en assumant un rôle opérationnel essentiel et diversifié, qui va de l'accompagnement de personnes en situation de fragilité à la tenue d'une buvette : autant de tâches assurées par les bénévoles, véritables moteurs des projets de l'association.

j. la formation des bénévoles : un outil pour l'association et ses bénévoles :

Les bénévoles possèdent des compétences indépendamment de leur engagement associatif, mais cet engagement les conduit à les développer et à en acquérir de nouvelles, jugées nécessaires dans leur parcours. La formation les accompagne pour :²

- exercer leurs fonctions dans la gestion de l'association : on parle ici de formations générales portant sur des thèmes tels que la fonction de trésorier ou de secrétaire, la responsabilité juridique des dirigeants associatifs, la gestion des ressources humaines, le projet associatif, les outils de communication, ... ;
- assurer les activités de l'association : il s'agit là de formations spécifiques (exemples : préparer un camp de scoutisme, connaître la littérature jeunesse, prévenir l'usure professionnelle et soigner les soignants, animer un atelier sociolinguistique, ...) ;
- anticiper les mutations sociales pour apporter des outils de réflexion aux questionnements citoyens. En plus de sa contribution à la construction des compétences générales ou spécifiques, la formation fonctionne doublement comme lieu d'intégration : les bénévoles intègrent le projet associatif de leur structure et ses valeurs de référence en même temps que l'association les intègre au sein de son collectif d'acteurs. L'apprentissage s'inscrit dans la durée, à la fois au cours des temps qui y sont spécifiquement consacrés (formations) et au cours de temps porteurs d'opportunités d'apprentissage (accompagnement formatif).

La vie associative présente de nombreux moments porteurs d'opportunités d'apprentissage : les temps d'instances statutaires, les conférences, les journées, les outils internes.

Conclusion :

Nous nous déduisons que l'engagement non rémunéré des jeunes militants au sein des associations est nécessaire pour assurer leurs fonctionnements et leurs pérennités dans son environnement, la où le sentiment d'individualité commence à prendre son ampleur dans notre

¹ Ibid.

² Ibid.

société qui a été autrefois caractérisée par une solidarité et d'un esprit collectiviste. Le bénévolat demeure l'un des principales formes de sociabilité, d'entraide et d'assistance sociale etc.

Pour conclure, le bénévolat est le moteur incontournable de l'association.

Liste bibliographie :

- Article : L'engagement Associatif, Septembre 2014 Rhône-Alpes
- Centre d'analyse stratégique, Développer, accompagner et valoriser le bénévolat Septembre 2011 no 241.
- DEMOUSTIER Danièle, « Le bénévolat, du militantisme au volontariat », Revue française des affaires sociales, 4/2002 (n° 4).
- Le bénévolat : Article écrit par : Bénédicte Havard Duclos, sociologue, enseigne à l'Université de Bretagne Occidentale et est membre du laboratoire ARS (Brest) Et Sandrine Nicourd, sociologue, est maître de conférences à l'Université Paris XIII et membre du laboratoire PRINTEMPS de l'Université Versailles-Saint-Quentin-en-Yvelines.
- Ministère d'éducation nationale jeunesse vie associative, Le guide du bénévolat à l'usage des dirigeants associatifs, 2011, paris.
- Rapport au conseil économique et social sur l'essor et l'avenir du bénévolat, facteur d'amélioration de la qualité de la vie. Par Marie Thérèse Cheroutre juin 1989.
- ROBICHAUD Suzie, Le bénévolat. Entre le cœur et la raison. Chicoutimi, Québec, Les Éditions JCL inc., septembre 2003.



جميع الحقوق محفوظة

لمركز جيل البحث العلمي © 2017

ISSN 2311-5181